راية اليماني الموعود

أهدى الرايات

بحث في منهج اليماني ودوره ومعركته

الشيخ جلال الدين علي الصغير

مؤسسة الصديقة الطاهرة (ع) للتبليغ الإسلامي
جامع براثا - بغداد

راية اليماني الموعود

رايةُ اليماني الموعود

أهدى الرايات

بحث في منهج اليماني ودوره ومعركته

الشيخ جلال الدين علي الصغير

مؤسسة الصديقة الطاهرة(ع) للتبليغ الإسلامي

جامع براثا ـ بغداد

الطبعة الأولى
بغـداد
١٤٣٠هـ/٢٠٠٨م

الإهداء

لا يسعني وأنا أقدم هذه الأوراق بين يدي نصرة الإمام الحجة المنتظر (روحي وأرواح العالمين له الفدا) إلا أن أذكر بإجلال شهداء صلاة الجمعة الدامية في جامع براثا، الذين سقطوا في محاريب عبادتهم على يد وحوش النواصب، لا لذنب اقترفوه، إلا ما تميّزوا به من عشقهم للإمام المنتظر (عجّل الله تعالى فرجه)، فهنيئاً لهم ما غنموه من رضوان الله الأكبر..

إلى دمائهم الزاكية التي عبّدت طريق الانتظار المقدّس أقدم هذا المجهود، عرفاناً وامتناناً وبيعةً لطريقٍ تعاهدنا أن نثبتَ من أجل إدامة السير عليه.

المقدمة

والحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيد الأنام، حبيب إله العالمين محمّد، وعلى الهداة الميامين من أهل بيته الطيبين الطاهرين، ولا سيّما بقيته في الأرضين، عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

منذ باكورة وعيي للقضية المهدوية أسرتني شخصية العبد الصالح الوارد في الروايات تحت عنوان «**اليماني**»، وتحديداً فقد بهرتني قضية أن يطلق أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) على رايته وصفاً عظيماً يرقى إلى وصف رايته بأنها «**أهدى الرايات**» بمعية حضور رايات أساسية وحاسمة في معركة الهدى، كراية «**الخراساني**» وراية «**الحسني**».

إن هذا التمييز بين رايته المباركة وبين الرايات المؤمنة أو الهادية الأخرى، فيه دلالة بالغة الخطورة لا يمكن للمرء المؤمن أن يستغني عن التمعن فيها، والوقوف عندها، وحسم ما يترتب عليه تجاهها، ولا سيّما أن زمنه يوصف من قبل رواياتهم عليهم السلام بأنه زمن الفتن الشديدة التي سيطاح

فيها بدين أكثر الناس وبإيمان عديد هائل منهم، وستتجاذبهم تيارات سوء العاقبة وأمواجها يميناً وشمالاً، لتطيح ليلاً بمن كان في الصباح نحسبه مؤمناً، وستتقاذفهم لججها لتذهب صباحاً بمن كان يُعَدّ ليلاً من المؤمنين، ولذلك فإن مثل هذا الوصف الذي وُصف فيه هذا العبد الصالح يغدو مغرياً ومثيراً بشكل كبير لمن يهمه أين سيكون موقعه يوم غد!!

وسط هذا الإغراء الكبير وجدت نفسي متشبثةً بقصة هذا العبد الصالح، فطفقت مع الأيام أبحث عن مواصفاته، وقلّبت لذلك عشرات المجلدات الخاصة والعامة وأنا أحاول أن أتقفى أثر هذه الشخصية العظيمة، فعاد بحثي المُضني بعدد هو الأقل من نوعه من الروايات، بشكل لا ينسجم مع عظمة منزلة هذه الشخصية وفق ما ذكرته روايات أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وبأفكار متناقضة طرحتها كتب عديدة من التي تناولت هذه الشخصية الحاسمة، في الوقت الذي لم يخل كثير من هذه الكتب والأبحاث من أفكار جاء بعضها مختلاً مع طبيعة ما طرحه أهل البيت (صلوات الله عليهم) عنه.

ومن الواضح جداً أن هذا العدد القليل من الروايات التي وردت بحقه رغم سمو وصفه فيها، يتعمد إبقاء هذه الشخصية بمحيطٍ من الغموض المتعمد لأسباب عديدة سنفصل الحديث عنها لاحقاً، ولكن هذا الغموض الذي لا نلحظه محيطاً ببقية الشخصيات العامة على طريق الهدى أو لا تتعارض معه[1]، ربما يبين في نفس الوقت القدر الكبير من الأهمية الذي أولته نفس هذه الروايات لمنهج هذه

---

(١) كالخراساني والحسني وشعيب بن صالح.

الشخصية، فلولا خطورة هذا المنهج الذي بموجبه صار يوصف بـ(أهدى الرايات)، لما تم إحاطة مهندس هذا المنهج وراعيه بكل هذا الغموض!

إلا أن ما يجعل المرء يأسف عليه أن هذه العناية التي سنلحظها في روايات أهل البيت عليهم السلام بهذه الشخصية الأساسية من شخصيات عصرَي التمهيد والظهور، لم تقابل من قبل كثير من الكتّاب والمحللين إلا بإجحاف وظلم كبيرين، فما بين كذّاب مفترٍ ادَّعى لنفسه هذا المقام، وراح يروّج عن نفسه أنه هو اليماني، كما نلحظ ذلك في عدة من الدجّالين المعاصرين، كدجّال البصرة المدعو (أحمد بن الحسن)، الذي حاول أن يوهم الغرّ والجهلة بأنه هو اليماني، وبين من حاول أن يسقط تحليلاته الذاتية على أهوائه ومشاعره تجاه فلان أو فلان، فراح يصفهم بأن هذا أو ذاك هو اليماني الموعود!!

إن هذا المنهج فيه من الخطورة ما يفزع أهل التحقيق والتدقيق، فاليماني من الشرائط الحتمية (على ما سنبين لاحقاً) التي سيتزامن خروجها مع أشهر قليلة من ظهور الإمام المهدي (روحي وأرواح العالمين له الفدا)، وبالتالي فإن التشخيص بأن فلاناً أو فلاناً هو اليماني يستدعي الاستعداد لما يترتب عليه مِنْ بعد ذلك، ولو لم يحصل فإن الأمر سيشكّل خطراً كبيراً على إيمان الناس ومعتقداتهم.

فهب أننا قلنا: إن زيداً هو اليماني، فإن المترتب على ذلك هو الانتظار لأشهر قليلة لكي يظهر الإمام (عجَّل الله تعالى فرجه)، وهذا يعني إما وضع الناس أمام ضلال كبير في إمكانية اعتقادهم بمهدي دجّال، كما حصل في قضية الدجّال المدعو (عبد الزهرة الكرعاوي)،

الملقب بـ«قاضي السماء»[1]، أو أن نضعهم أمام وصف أهدى الرايات واستحقاقاته الإيمانية، فالطاعة هنا واجبة، أو ما يشبه الواجب، في كون الراية هي الأهدى، عندئذ كيف سيكون الأمر لو أطاع الناس مَن لا يحقّ لهم طاعته؟! ومن سيتحمل مسؤولية ذلك؟!

هذا، ناهيك عن أن تشجيع العوام على مثل هذا المنهج فيه من المفاسد ما لا يخفى على ذي لبٍّ.

ولمّا قُدّر لأهل البيت عليهم السلام أن يحيطوا هذه الشخصية بكلّ هذا الغموض، فهل يا ترى يحق لأحد ـ أياً كان ـ أن يكشف النقاب عنها، حتى لو علم علماً يقينياً بهويتها، بأن هذه الشخصية هي ـ فعلاً ـ اليماني الموعود الذي تحدثت عنه روايات أهل البيت عليهم السلام؛ فتأمّل.

وكنت لسنواتٍ مصرّاً على عدم الكتابة عن شخصيات الظهور رغم إلحاح عديد من طلبتي الأعزاء وكثير من الأصدقاء؛ لمخاوف عديدة يرتبط قسم منها بالخشية من الإسقاط السيّىء الذي قد يعمد إليه بعضهم بهذا الاتجاه أو ذاك مستغلاً هذه الأفكار لغرض الاستفادة السيئة، أو توجيه الأمور باتجاه نتيجة سيئة خدمة لبعض العواطف أو المصالح، مما

---

(١) ادعى هذا الدجال أنه علي ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأوهم بعض من غرّر بهم من السذج والحمقى بأنه هو الإمام المهدي (صلوات الله عليه)، واستعد لذلك وسط تاريخ مشبوه، وسلوك أخلاقي شائن، وارتباط خارجي مريب، وتمويل مالي مثير، ودعم من جماعات عرفت بقربها من نظام المجرم صدام بعد سقوطه.
وقد حاول هذا الأفّاك في قضية ما عرف لاحقاً باسم قضية (الزرگة) أن يحرك الناس لقتل المراجع، واحتلال مدينة النجف، واستخدامها قاعدة للانقضاض على النظام السياسي في العراق، ولكن تم سحقه قبل الشروع بحركته بسويعات قليلة عام ٢٠٠٦م.

قد يجعل هذه الكتابة لا تحقق الهدف المطلوب منها، بل تحقق أهدافاً معاكسة والعياذ بالله.

وقد تملكّني هذا الخوف نتيجة لما رأيته من الاستفادة السيئة من مثل هذه الروايات من قبل أصحاب الأهواء والمصالح الدنيوية، وطبيعة فتك هؤلاء بدماء الناس وأعراضهم وأموالهم، فضلاً عن دينهم، وما حركة الدجّال أحمد بن الحسن، أو سعي بعضهم للصق صفة اليماني الموعود بشخصيات سياسية أو أمنية في هذا البلد أو ذاك، إلا نذيراً ربما ينذر بما هو أكبر منه، والله العاصم من كل ذلك.

إلا أن كتاباً قد وقع في يدي لأحد الأفاضل يتحدث عن اليماني مباشرة، وهو الذي دفعني ـ بعد تردد ـ لكي أمسك القلم لأخط هذه السطور؛ لما وجدت فيه من منهج للتعامل مع هذه القضية الحيوية بطريقة قد تؤسس لوعي لا يخدم قضية الإمام المهدي (روحي وأرواح العالمين له الفدا)، ولا سيّما أن الكتاب قد صدر عن جهة يعوّل عليها ـ إن شاء الله ـ في الإسهام بتوعية أصيلة لقضية شائكة وخطرة كقضية الإمام (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف).

وعلَيَّ أن أشير هنا ـ قبل أن أختم المقدّمة ـ إلى أن في بعض متون هذا الكتاب أبحاثاً تخصصية، كما هو الحال في مناقشة بعض الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، وقد سعيت في أن أقتفي فيها آثار علمائنا الأعلام في طريقة تعاملهم مع روايات أهل البيت عليهم السلام.

وأعتقد أن من نافل القول بأن المطلوب من المتابع لمثل هذه الأبحاث أن لا يجعل ولا يُبقي المسبّقات المعلوماتية التي لديه سيدة الموقف، وليدع منهج التواصل مع الحقيقة هو الرائد له، وذلك وفق

الموازين العلمية المتبعة في هذا المجال، فالمسبّقات المعلوماتية مهما كانت دقيقة، ربما لم تتواصل مع كل المساحة المطلوبة للجزم بكمال المعلومة، فالمعلومة حينما تبتنى على صورة ما يجب أن تقترن بالنظر لكل الصورة وبيئتها وحيثيات موقعها.

فالذي ينظر ـ على سبيل المثال ـ إلى لوحة فنية رائعة بمفردها ربما ينبهر بجمالها، ولكن حينما يرقب إطارها، والمحل الذي وضعت فيه، ومن وضعها، وما هي دوافعه، ربما يختفي هذا الانبهار ليتحول إلى شيء معاكس، ولهذا ـ وحتى لا نقع فريسة للخداع العلمي ـ يجب أن نتوخى الدقة العلمية المطلوبة في التعامل مع مثل هذه الأمور.

وحين أقول: اقتفاء آثار العلماء الأعلام، فإني أسعى لكي أركز المنهج في حدود الآليات العلمية دون الخروج إلى المسوّغات الذوقية[1] من دون الاستناد إلى هذه الآليات لمحاكمة هذه المسوّغات، فلقد نما ـ وللأسف الشديد ـ منهج منذ مدة من الزمن يسعى لمحاكمة هذه الآليات من خلال المسوّغات الذوقية، لا العكس، ولهذا نما معه منهج الشك، ومن بعده منهج النكران لكثير من الحقائق العقائدية، لأن المسوّغات الذوقية تختلف من شخص لآخر، وهي في الغالب بلا معيار علمي يمكن الركون إلى صحته.

وفي الوقت الذي أشير فيه إلى خطورة المنهج الذوقي في التعامل مع

---

(١) على طريقة (هذا لا يعقل)، و(هذا غير محتمل)، و(ذاك مستبعد)، وما إلى ذلك من مجالات تختفي وراء ذوق الإنسان وعواطفه أكثر مما ترتكز على مجالات التدقيق العلمي المطلوب في كل قضية، وهنا يجب أن نفرّق بين جملة (لا يعقل) التي تبتنى على أساس وقوع الأمر في دائرة المستحيل العقلي، وبين نفس الجملة التي تطلق بناء على عدم تحمل ذوق المتكلم بها أو عقله.

هذه القضايا، وفي الوقت الذي أحذّر من ضرورة الوعي للمصداقية التي تتمتع بها مسبّقاتنا المعلوماتية، أشير إلى خطر ثالث هو أخذ الأمور على علّاتها دونما تحقيق في مصداقية ما وَصَلَنا من نصوص ومن شروح لها، وفي كثير من الأحيان سنجد أن النص في كمال الدقة، ولكن ربما يتنكب التفسير طريقاً مجانفاً لهذه الدقة، فيقع القارىء غير المحصّن علمياً في فخ كبير، ولاسيّما مع الآراء التي حاول بعض المؤلفين أن ينسبوا تفسيرها إلى أهل البيت (صلوات الله عليهم) دون تدقيق وتمحيص كبيرين، فوقعوا وأوقعوا قارئهم في مطبات هم في غنى عنها.

وغني عن البيان بأن كل هذا التحذير إنما هو لإبقاء الأمور في دائرة النص المعصوم، وليس لإيجاد منهج لمحاكمة النص المعصوم، فالنصوص حينما تكتسب درجة القطع بعصمة قائلها، تكون حاكمة على أفكارنا، وليست تابعة لها، كما قد يحاول جملة كبيرة من أنصار العلمانية الحديثة وأنصارهم أن يؤسسوا لمثل هذا الفهم البليد، فنحن أبناء مدرسة تتميز بتبعيتها المطلقة للمعصوم (صلوات الله عليه)، وبالتالي فإن كل نقاشاتنا إنما تدور أولاً في التأكد من صحة صدور النص من المعصوم عليه السلام عبر سياقات وآليات علمية يعرفها أهل الفن، وحين يتم التأكد من ذلك فإن كل الأمور اللاحقة من النقاشات ستكون في مجالات فهم النص، وليس محاكمته.

ولهذا كله أقول ـ وبناء على ما رأيته من بعض ردود الفعل على كتابات مماثلة، بل حتى على ما نشر من هذا البحث ـ: إن محاكمة مثل هذه الأبحاث يجب أن تستخدم نفس الآليات التي استخدمتها هذه الأبحاث، بمعنى أن بحثاً روائياً يتناول الروايات على أساس آليات

محاكمة سند الرواية ومتنها، يجب أن نتابعه وفق آليات علم الرجال وموازين مناقشة الحديث، فلقد رأيت في بعض المناقشات أن بعضهم قد يعمد إلى مناقشة الرواية بطريقة تصطدم بنفس علم الرواية، وبالنتيجة لا توصل الباحث إلى مظان الحق في بحثه.

ولا يبقى علَيَّ كي أختم هذه المقدمة إلا أن أشير إلى أن الكتاب ليس كتاباً سردياً قصصياً، وإنما هو بعيد جداً عن ذلك، فهو بحث في عمق الروايات، ومحاولة وضع الأمور المطروحة في الروايات ضمن واقعيات الحياة، وهنا لا بُدّ من التأكيد بأني لم أسعَ لأي إسقاط لطبيعة هذه الأمور على واقعنا المعاصر، ولا أبتغيه أبداً، فاليماني الموعود هو وعد رباني، ولا يمتلك علم وقته إلا الله سبحانه وتعالى ومَن رسخ في العلم الإلهي، فقد يكون هذا وقته، وقد لا يكون.

ولهذا، فالذي أتمناه أن لا يحاول أي أحد إسقاط مواصفات اليماني الموعود على هذا الشخص أو ذاك، وليركّز على المنهج الذي بموجبه وُصف بأنه أهدى الرايات، فالمنهج هو الأهم، وإن كان الشخص مهماً فبسبب أهمية منهجه في أغلب الظن، أقول ذلك وأنا أنظر بعين القلب لبعض الكتابات المتأخرة والتي عمدت وللأسف الشديد ـ إلى محاولة إسقاط هذه الروايات على وقائع تاريخية معينة.

ومكمن القلق يعود إلى أن هذه الإسقاطات قد تصح وقد لا تصح، فإن صحّت فهو أمر حسن ومفيد جداً، ولكن ماذا لو لم تكن صحيحة، كما في اعتماد بعضهم إلصاق صفة اليماني على شخصيات في اليمن ولبنان والعراق وإيران؟! أليس العائد من ذلك سيكون فادحاً على شتى المستويات؟!

ولا أدعي لنفسي العصمة في ما كتبت، ولكنها محاولة للتقيد بما تحدّث عنه أهل البيت (صلوات الله عليهم)، ومحاولة وضع هذه الأحاديث في إطارها المنسجم مع ما أراده صاحب النص عليه السلام، فإن وُفّقت في ذلك فالفضل والمنّة لهم (بأبي وأمي)، وإن شططتُ ـ والعياذ بالله ـ فمن نفسي، وأملي أن يغفر لي القارىء الكريم أي سهو أو زلل، فحسبي أني أردت الإصلاح والاستقامة وفق ما أُمرت.

وآخر دعوانا أن الحمد لله أولاً وآخراً، وصلواته وسلامه على رسوله وآله الطاهرين أبداً.

جلال الدين علي الصغير

جامع براثا ـ بغداد

٢٥ رجب المرجب ١٤٢٨هـ

بين يدي البحث

كنت قد تحدثت في كتابنا «**ظهور الإمام المهدي** (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف) **وعلاماته. . بحث في منهج التعامل وآليات التعرف**» عن كيفية التعامل مع الروايات المتعلقة بعلامات ظهور الإمام (روحي فداه)، ومنها الروايات المتعلقة باليماني الموعود، فهذه الروايات لم تطلق لمجرد الرواية، ولا بهدف سرد قصص تتوخى استشراف المستقبل أو لغرض التباهي بمعرفة المستقبل، وإنما تتمتع هذه الروايات بهدفية خاصة خطط لها صاحب الرواية (صلوات الله عليه) نفسه، وهذه الهدفية ترتبط بمنهاجٍ أكبر من خصوصيات هذه الرواية أو تلك، فالرواية في هذا المجال ـ مهما كانت ـ تبقى حلقة ضمن سلسلة وضعت للتعامل مع مهمة تحقيق هذا الهدف.

وعليه: فإن التعامل الحذر معها هو السبيل الوحيد لإدراك كنهها وطبيعة ما ترمي إليه، فهي تحتل موضعاً محدداً ضمن خارطة زمانية أو مكانية أو الأمرين معاً، وأي استخفاف في التعامل معها يؤدي إلى بعثرة معطياتها ويمنع من الاستفادة التي أرادها صاحب نص الرواية منها، وهي

تمثل معلماً من معالم منهج محدد تمَّ التخطيط له بعناية بالغة، مما يجعل الإسفاف في التعامل مع هذه الروايات ـ سلباً أو إيجاباً سعة وضيقاً ـ سبباً في عدم فهم هذا المنهج، وقد يؤدي التمادي بذلك إلى الخروج عنه.

وحينما تغدو القضية حساسة كحساسية قضية اليماني الموعود في معركة الهدى والضلال، فلا بُدّ للباحث عندئذ أن يتوخى الحذر الكامل في التعامل مع هذه الروايات، فهناك أكثر من إغراء يسمح للدجالين وأصحاب الأهواء أن يستغلوه في هذه القضية، وأحسب أن كثيراً من المحققين كان بإمكانهم ملاحظة أن هذه الإغراءات تدخلت في صياغة بعض الأخبار والروايات الموضوعة بطريقة أو أخرى، فضلاً عن طبيعة التفسير لهذه الأخبار والروايات.

وبعيداً عن هذا وذاك، فإن أموراً أساسية يجب مراعاتها بشكل كامل في ما يتعلق باليماني الموعود كما طرحتها الروايات الشريفة، ومنها:

الأمر الأول: يتعلق بكونه «**أهدى الرايات**»، وهذه الصفة تعطي المجال لأصحاب الأهواء أن يطوّعوها بأي طريقة، كي يضفوا هذه الصفة وهذا الامتياز لمن يرون أنه يحقق لهم هذه الأهواء، ثم ليفتحوا بوابات الخطر بكل الاتجاهات، سواء كانت تتعلق بالوجاهة الاجتماعية الزائفة التي تصنع لمن يخدع بعض الناس بأن فلاناً له هذه الشأنية، أو استغلالها في المآرب السياسية التي تمكّن من ينصّب نفسه في مثل هذا الموضع لغرض جمع الحاشية والأنصار وتوظيف ذلك في السعي لتلك المآرب، أو استعمالها لغرض الاختراق العقائدي، فمن يملك هذا المقام يتمكن من الضرب بأكثر من اتجاه لتحقيق هذا الاختراق، تارة من خلال ما يفترض له من وجاهة تمكّنه من خداع الأنفس الغر والعقول التافهة، وأخرى من

خلال خلط المقدّس في نفوس الناس، مع السيء في سلوكيات أمثال هؤلاء الدجالين، مما يسقط المقدّس ويهينه، أو ما شاكل.

ولو أضفنا إلى ذلك الميزة التي أضفاها أهل البيت عليهم السلام على اليماني الموعود بوجوب طاعته وحرمة التخلي عنه وعدم مناصرته، فإن طبيعة الإغراء لأصحاب الأهواء ستكون عظيمة جداً، كما إن طبيعة الخطر على الموالين هو الآخر سيكون فادحاً للغاية؛ فتأمل!!

وبطبيعة الحال فقد استُغِلّت هذه الصفة لكي يمتدح الزيديون أنفسهم ـ كونهم سكّان اليمن ـ ويشيروا إلى أنفسهم بأن اليماني الذي وُصف بأنه أهدى الرايات سيخرج من بيئتهم، وبالتالي فإن هذا الأمر ينسحب عليهم بشكل طبيعي، فهذه الراية ستخرج من بين أظهرهم وهم سيكونون القاعدة التي ستعتمد عليها، مما يعطي لمذهبهم الحق في مقابل بقية المذاهب.

الأمر الثاني: يتعلق بكون اسمه يمكن أن يُستغل على نطاق واسع في معركة المناطق والشعوب التي تحتل قسطاً وافراً في عالم الروايات المنحولة وتأويل غيرها، فلطالما عبث السلاطين ووعّاظهم وأصحاب العمائم الزائفة والمصالح المريبة، فوضعوا الروايات وجعلوا وعّاظهم يفسرون لهم وفق أهوائهم.

ففي أيام سلطة بني أُمية بلغت الروايات التي تمدح الشام وأهلها حداً يخال فيه المرء أنها هي التي نزل فيها الوحي!!

وحينما اشتدت المعركة بين أهل الرأي من الأحناف والمعتزلة في بغداد والبصرة، وبين أهل الحديث والحشوية في مكة والمدينة، بالغ كل طرف في مدح هذه المناطق بما لا شائبة في غلوهما وافترائهما على الحديث وصاحب نصه.

ولهذا فكون لقب اليماني يوحي بأنه من اليمن أو أنه من الشعب الفلاني، فإنه يدخل سلفاً في معارك اليمنيين مع أقرانهم من الشعوب والقبائل الأخرى، كالشاميين والعراقيين والمصريين والفرس وغيرهم.

ومن الواضح أن هذه المعارك كلفت الحديث وتفسيراته أعباء باهضة من التزوير والتصحيف والتحريف والتطويع لكي يكون الشعب الفلاني حاضراً في قضية معينة، فما بالك في قضية مقدّسة كقضية الإمام المهدي عليه السلام؟! فكل شعب يريد أن يثبت لنفسه موضعاً في هذه القضية التي تسالم على خطورتها ومنزلتها العظيمة الفريقان، الشيعة والسُنة، رغم اختلافهم في التفاصيل؛ واليمنيون لهم حظ ليس بقليل في عملية وضع الحديث والتمحّل في تفسيره كما يعرف ذلك أهل الاختصاص؛ فلا تغفل.

الأمر الثالث: يتعلق بالظرف الزماني لقضية اليماني فهذا العبد الصالح وُقّت له بشكل محدد، وهذا التوقيت مرتبط مباشرة بعملية التمهيد المباشر للظهور الشريف، وبالتالي فإن أي خلل في التعامل مع الأحاديث المتعلقة به، يمكن أن يخلق مشاكل جمّة في أكثر من صعيد، فهو قريب من الناحية الزمانية ـ كما سنرى ـ من الإمام عليه السلام ومن الخراساني والسفياني والحسني.

كما أنه قريب ـ كذلك ـ من جملة من الحوادث الحاسمة المعلنة عن ظهور الإمام، كقتل النفس الزكية والصيحة في ليلة القدر، وبالتالي فإن أي إخفاق في هذا الصدد سيعود بضرر بالغ على منظومة روائية جمعت منهج أهل البيت عليهم السلام في شأن الظهور.

فما نتحدث عنه إنما هو حديث عن العلائم الحتمية[1]، وهذه العلامات قريبة جداً من زمن الظهور، وقد أشير إليها لكي تدلّ مباشرة على الإمام (روحي فداه)، ولكي يحتجّ بها أيضاً على ظهوره (صلوات الله عليه) في زمن ستكثر فيها الكذَّابة من أدعياء المهدوية، مما يجعل التساهل في التعامل مع قضيته ينطوي على مخاطر فائقة جداً.

* * *

وعلى صعيد آخر، فإن الباحث في مثل هذا الأمر سيخوض في بحار تتعدد ألوانها، بين خبر صحيح وآخر موضوع، وبين موثق الأخبار وضعيفها، وبين المجمل والمفصل منها، هذا فضلاً عن مسألة التعارض الظاهري والواقعي بين الأخبار، ولهذا لا بُدّ أن يعتمد جملة من المعايير لملاحقة عملية التمحيص في الأخبار، والتدقيق في طرق وصولها، وآليات تصحيحها.

وهنا لا بُدّ من التنبيه على أن أحاديث مثل اليماني وغيره حينما تكون لها مثل الأهمية التي أشرنا إليها، يجب أن تحظى بمراقبة حذرة على مستوى الجرح والتعديل، فمن غير الصحيح الإدعاء أن مثل هذه الأحاديث باعتبار أنها تاريخية يمكن أن تلحظ ضمن آليات التعامل مع الأخبار التاريخية، بالشكل الذي جعل بعضهم يأخذ أحاديث اليماني من كل مصدر دون التدقيق في طبيعة هذه المصادر وفي هوية الرواة والمحدّثين.

كما أن من غير الصحيح التعامل معها وفق منهج التشدد السَّنَدي، بحيث يتم إخضاع كل حديث لصرامة ميزان الجرح والتعديل السندي،

---

(١) انظر مبحث الفرق بين العلامات والشرائط في كتابنا: ظهور الإمام المهدي(عج) وعلاماته (لم يطبع بعد).

فلسنا هنا في معرض استنباط الأحكام الشرعية، أو في صدد التعامل مع القضية الفتوائية، حتى نحتاج إلى كل هذه الدقة والتمحيص الذي يتسم بها منهج التشدد السندي، وإنما نحن أمام قضية يتشابك فيها الموضوع العقائدي (العقدي)، مع الموضوع التاريخي بشكل دقيق، مما يستوجب علينا اعتماد منهج التوازن في التعامل مع مصدرية الروايات، فلا التشدد بنافعٍ، وليس التراخي بمجدٍ؛ فلا تغفل!!

فمن الملاحظ أن التحديث بعلامات آخر الزمان وشؤونه، له أكثر من اقتران بطبيعة الأجواء السياسية، وكثيراً من الأحيان كان الرواة يحذرون من نسبة الرواية إليهم، ولهذا قد يضعون الرواية بطرق أخرى لتأمين أنفسهم من الخطر.

كما أن المعصوم (صلوات الله عليه) حينما يتحدث كان حذراً هو الآخر من طبيعة التداعيات التي تحصل من بعد ذلك، ولاسيّما الأئمة (صلوات الله عليهم) الذين عايشوا العصر العباسي[1]، الذين كانوا يعانون من شدة العنت والظلم، ووطأة المراقبة الأمنية وشدة المحاسبة؛ ولهذا ما كانوا ليتحدثوا كيفما اتفق ولكل من طلب الحديث!!

إن ما هو ضروري هنا هو مراقبة الأخبار بحيث لا يكون هناك تسامح في أدلة السنن بالشكل الذي يفتح الباب عريضاً أمام كل خبر يأتي في هذا المجال لكي يكون جزءاً أساسياً من أجزاء الصورة التي نريد لها أن تتشكل بشكل واضح، مع لحاظ المزايا التي يجب أن تولى للأخبار ذات البعد التاريخي، من حيث عدم الملازمة بين قبولها وعدم محاسبة السند وفق آليات الجرح والتعديل، وقد يضاف إلى ذلك عامل ملاحقة التلازم

---

(١) مع العلم بأن غالبية أحاديث الظهور مرتبطة من حيث الصدور بهذا الزمان.

بين الشيء وتابعه، فحين يقال بخروج جيش ما، فإن هذا الخروج يستبطن جملة من القضايا كأن يكون له منفذ إلى تلك المنطقة التي يشير إليها الخبر، وكأن يكون له خلفيات توفّر له الدعم اللوجستي، وأسلحة يعمل بها ويسرّبها إلى المكان، وما إلى ذلك.

كما إن من اللازم هنا ملاحقة الأشياء ضمن تقريبات زمانية للمعطيات الموجودة في الروايات، فلا تؤخذ هذه المعطيات ضمن أفق ما يوجد في زمن المحقق لهذه الروايات وإنما يجب أن يوضع إطار لملاحقة هذه المعطيات ضمن ظروفها الزمانية التي طرحت لها، فعلى سبيل المثال هناك عدة روايات تشير إلى نموذج من البراذين[1]، كما في رواية الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وهو يتحدث عن أوضاع الشام، فقال في حديث: فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب والروايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام[2].

وقد اضطرب الكُتّاب في أمرها، بين مَن أعطى لهذه البراذين صفات الحيوان الخيالي نتيجة لأوصاف وصفت بها وردت في بعض الروايات، وبين من لم يستطع عقله أن يدرك إمكانية وجود دواب بهذه الصورة[3]، وكان بإمكان الاثنين أن يذعنا لقضية أن المعصوم (صلوات الله عليه)

---

(١) البراذين جمع برذون وهو الدابة، وتطلق على الحمار والبغل والخيل وغيرها (انظر: لسان العرب ١: ٣٧١)، والوصف الذي تتحدث عنه الرواية ربما يشير إلى الدبابات والمدرعات أو ما يقرب منهما، وفقاً لحديث الأمير (صلوات الله عليه) عن سرعتها وطول خراطيمها، وكونها تلقي من أفواهها شهباً وناراً، وما إلى ذلك.

(٢) غيبة الطوسي؛ ٤٦١ ح٤٧٦.

(٣) مثل هذه القضية ما تتحدث به تفاسير العامة عما يسمونه بالجسّاسة التي وضعها لكي تفسر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾، فقال المبار كفوري ـ مثلاً ـ بأن: طولها ستون ذراعاً ذات قوائم ووبر، وقيل هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات. (تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي ٦: ٣٤٤).

يتحدث عن زمان سيأتي من بعد مئات السنين بالنسبة لعصره، فلو وصف الأشياء على حقيقتها لما تمكن أحد أن يستوعب ما يقول، ولكن كان يتحدث بلغة الترميز والتقريب بالشكل الذي يمكن لمن يستمع الحديث أن يعرف أن ثمة دابة ستأتي بهذه الشاكلة، ولكن هذه الدابة ليست بالضرورة من الدواب الحية التي خلقها الله تعالى ليفترض أن مخلوقاً خيالياً سيأتي في آخر الزمان.

ولهذا نقول بأن التعامل مع هذه الروايات ينبغي أن يتم بملاحظة كل ما يبتغيه الناصّ لها، لا أن نجرد النصّ من شخصيته التاريخية لكي يكون نصّاً نفهمه بطريقته اللفظية البحتة، ومن خلال متابعة شخصية النص بكل ما يعني ذلك من إحاطة بظروف الناص والنص والمنصوص له، وبطبيعة السياقات الفكرية والثقافية والاجتماعية التي أحاطت بعصر النص، فعكس ذلك يعد خطأً شنيعاً وقع فيه بعض الكُتّاب، ويحاول بعضٌ آخر أن يؤسس لفهم أبتر للنصوص عن هذه الشخصية، ليدخل كثير من الوهم في فهم هذه النصوص.

كما إن أحد العناصر اللازمة هنا هو التدقيق في متون الأخبار الواردة في هذا المجال، ومراقبة توافقها مع المعطيات المتوافرة في الأخبار المقطوع بصحتها من جهة، وبين المعطيات الموضوعية التي تتوافر على الأرض من جهة أخرى، وعند الشك في ذلك، يكون عامل الدقة السندية بمنزلة أحد الضوابط للوصول إلى الاقتراب من مسألة القطع بسلامة الأخبار.

وهذا هو ما سنعمد إليه في بحثنا هذا، راجين من الله أن يمدنا بعونه، وأن يبعدنا عن الزلل والخطأ بمنّه.

* * *

الفصل الأول

اليماني في حديث أهل البيت "ع"

كما أشرت آنفاً، فإن حديث أهل البيت (صلوات الله عليهم) عن اليماني الموعود اتسم بقلّته، ولكن هذه القلّة في الحديث لم تمنع من تسليط الضوء على منهج اليماني وطبيعة خطه بالشكل الذي يؤمّن ما كان يتوخاه صاحب النص (صلوات الله عليه) حينما تحدّث عن اليماني وتعمّد ذكر قضية هذا العبد الصالح.

وسنحاول هنا وفي ما يعقب ذلك من أبحاث أن نستوضح جانباً من ذلك، ولكن قبل ذلك لا بُدَّ لنا من التوقف عند قضية تتعلق بما إذا كان اليماني من مجموعة العلامات المحتومة، أو أنه من مجموعة العلامات الموقوفة، بمعنى هل أن اليماني الموعود حتمٌ لازم، بحيث لا يتخلف لسبب من الأسباب؟ أم أن إمكانية توقف ظاهرته وخضوعها لحالة البَداء التي قد تحجب هذه الظاهرة عن الحصول هي الأصل، ليكون ظهوره خاضعاً لعالم الاحتمالات، وبالنتيجة لا حتم في ظهوره.

وحتى تتبين لنا الصورة بدقة، فإننا كنا قد تحدثنا في كتابنا عن علامات الظهور بأن العلامات في حديث أهل البيت عليهم السلام صنفان، فعلامة محتومة لا بُدّ من تحققها، وأخرى تركت لظروف عديدة، يمكن أن تحدث، ويمكن أن لا تحدث، وقد ورد في ذلك روايات عديدة..

منها: ما رواه المعلى بن خنيس (رضوان الله عليه)، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من الأمر محتوم، ومنه ما ليس بمحتوم[1].

ومنها: ما رواه حمران بن أعين (رضوان الله عليه)، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾، فقال: إنهما أجلان: أجل محتوم، وأجل موقوف؛ فقال له حمران: ما المحتوم؟ قال: الذي فيه لله المشيئة؛ قال حمران: إني لأرجو أن يكون أجل السفياني من الموقوف؛ فقال أبو جعفر: لا والله، إنه لمن المحتوم[2].

ومنها: ما رواه الفضيل بن يسار (رضوان الله عليه)، عن الإمام الباقر (صلوات الله عليه): إن من الأمور أموراً موقوفة وأموراً محتومة، وإن السفياني من المحتوم الذي لا بُدّ منه[3].

وكلا العلامتين ـ أي الموقوفة والمحتومة ـ في غاية الأهمية لعملية الهداية الربانية وللإعداد لظهور الإمام المهدي (صلوات الله عليه)..

فعبر الأولى ـ أي الموقوفة ـ وهي الغالبية العظمى من العلامات، يمكن لإرادة الإنسان الممهّد والجماعة الممهّدة أن تتحرك ولا تبقى أسيرة لحدث قيل: إنه سيحدث، وحتى إنّ قيل: إنَّ حدثاً سيحدث فإنه يمكن لها أن تغيّره إن أرادت وفق معادلات وآليات التغيير المطروحة من قبل الله سبحانه وتعالى، مما سيبعد المنتظرين عن أجواء التكاسل والتواكل إلى أجواء المثابرة وحمل المسؤولية، لأن كثيراً من هذه الأحداث التي

---

(١) غيبة النعماني: ٣١١ ب١٨ ح٢.
(٢) غيبة النعماني: ٣١٢ ـ ٣١٣ ب١٨ ح٥.
(٣) غيبة النعماني: ٣١٣ ب١٨ ح٦.

عُنونت بالموقوفة تصف حالاً مأساوياً فظيعاً، وهي بهذا الوصف إنما تستفزّ إرادة المنتظرين باتجاه التغيير كي لا يجعلوا لهذه الأحوال عليهم سبيلاً، أو يستسلموا لها في حال وقوعها، ولهذا نجد أن حمران بن أعين ـ ومَن مثله ـ يرجو أن يكون السفياني من الموقوف؛ لطبيعة ما وصفت الروايات أعماله بالفظائع والشنائع لكي يكون مدخلاً للتخلص منه.

أما الثانية ـ وأعني العلامات المحتومة ـ فهي الأخرى في غاية الأهمية أيضاً فمن دون القول بحتميات قادمة لا محالة، لا يمكن الاعتماد على منهج العلامات المطروحة في ساحة الظهور، فلو كانت كلها من صنف الموقوفات التي يمكن أن تتحقق أو أن لا تتحقق، فإن الناس بطبيعتهم السيكولوجية، وطبيعة حملهم للأمور على الأهون، لن تعتدّ بأية واحدة منها، وإنما ستجعل الجميع في صف واحد، وسيقال: إن ما تم التحدّث عنه قد يحصل وقد لا يحصل.

وبالنتيجة: فإن حديث علامات الظهور لن يحظى بقيمة ما يراد له، ولكن جعل الأمر بين قضيتين، بين محطات ثابتة لا بُدّ من الوصول إليها، وهذه المحطات المحتومة هي التي تعطي لصاحب منهج العلامات المصداقية المطلوبة في مثل هذه الأمور، وبين محطات قد تأتي وقد لا تأتي، ولكن عدم إتيانها لا يلغي المحطات التي ستأتي حتماً، ولهذا يُبقي هذا المنهج الإنسان في الإطار الذي رسمه له.

وقد شخّصت الروايات اليماني بأنه من المحتوم، وعلى الرغم من أن الرواية الصريحة في هذا الشأن تعاني من الضعف في السند، إلا أنها معضدة بالروايات الصحيحة التي تشير بالدلالة إلى أنه من المحتوم، فقد ورد في رواية عبد الله بن سنان (رضوان الله عليه)، وطريقها ضعيف

بمجهولية شيخ النعماني علي بن أحمد البندنيجي[1]، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه قال: النداء من المحتوم، والسفياني من المحتوم، واليماني من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم... إلى آخره[2].

وستأتيك روايات عديدة تؤكد في مدلولها أن اليماني الموعود هو بالفعل من المحتوم، ولا سيّما رواية (نظام كنظام الخرز، يتبع بعضه بعضاً) القادمة، فإنها ذكرت اليماني ضمن ما هو متيقن بأنه من المحتوم، كالسفياني والصيحة والخسف وقتل النفس الزكية، كما في رواية الكافي عن عمر بن حنظلة، عن الإمام الصادق عليه السلام: خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة، والسفياني، والخسف، وقتل النفس الزكية، واليماني[3].

بل إن بعضها تحدث عن اقتران لازم ما بين السفياني والخراساني، وهذا الأخير مع اليماني، واستخدام صفة مشتركة بين كل اثنين منهما هي عبارة: (كفرَسَيْ رهان)، ففي رواية يقول فيها الإمام الباقر عليه السلام عن السفياني والخراساني: يخرج عليهم الخراساني والسفياني، هذا من المشرق، وهذا من المغرب، يستبقان إلى الكوفة كفرسَي رهان[4].

فيما تشير رواية الإمام الصادق عليه السلام إلى أن السباق يكون بين السفياني واليماني[5]، وبما أن من المتيقن أن الخراساني والسفياني هما

---

(١) إذا كان هذا هو علي بن أحمد بن نصر فقد ورد تضعيف ابن الغضائري له رغم أنه ضبطه بالبندبنجي كما في الخلاصة، والبندليجي كما في رجال ابن داود، إلا أن كتاب ابن الغضائري لم يثبت له، ولذلك قلنا بمجهولية حاله، بالرغم من مدح الشيخ النعماني لمشايخه، وقد روى عن البندنيجي روايات كثيرة، ومن الواضح أن البندنيجي هو راوي كتاب عبيد الله بن موسى العلوي.

(٢) غيبة النعماني: ٢٦١ ـ ٢٦٢ ب١٤ ح١١.

(٣) الكافي ٨: ٣١٠ ح٤٨٣.

(٤) غيبة النعماني: ٢٥٥ ب١٤ ح١٣.

(٥) غيبة النعماني: ٣٠٥ ب١٨ ح١٥، وأمالي الشيخ الطوسي: ٦٦١.

من المحتوم، إذاً فإن الرواية التي يذكرها النعماني عن علي بن أحمد البندنيجي يصح محتواها وإن كان في البندنيجي ضعف لمجهوليته؛ فتنبّه.

وعلى أية حال، فنحن نجد أن الحديث عن اليماني في روايات وأحاديث أهل البيت عليهم السلام يمكن تقسيمه إلى أقسام ثلاثة، وهذه الأقسام هي:

المبحث الأول: الأحاديث الزمانية

ركّز هذا القسم على تشخيص زمن محدد لليماني، وتم رد كل زمن آخر غير هذا الزمن، وأن خروجه يكون قبل الإمام (روحي فداه) بفترة وجيزة جداً.

وهذا القسم من الأحاديث جاء لتقوية المؤمنين وتثبيتهم من جهة، ولرد مدّعي المهدوية من جهة ثانية؛ إذ لا بُدّ أن يتقدم اليماني قبل الظهور بحيث يكون دالاً عليه، ولا سيّما أن اليماني هو من الشرائط الحتمية لظهور الإمام حسب وصف الروايات[1]، ومن جهة ثالثة لرد مدّعي اليمانية ـ إن صح التعبير ـ؛ إذ إن اليماني يخرج في وقت محدد قُدّر له أن يكون في شهر ربيع الآخر، أي قبل ظهور الإمام بتسعة أشهر ـ كما سيأتي ـ بناء على الروايات التي تؤرخ الظهور بالعاشر من المحرم.

ففي حديث يرويه النعماني ـ عن الإمام الرضا عليه السلام، وهو يردّ ادعاء أحدهم[2] بأنه هو القائم ـ، بإسناده عن محمد بن همام، عن جعفر بن محمد بن مالك، عن علي بن عاصم، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر،

---

(١) غيبة النعماني: ٢٦٢ ب١٤ ح١١.

(٢) لعله محمد بن إبراهيم المعروف بابن طباطبا، أو غيره.

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قبل هذا الأمر السفياني واليماني والمرواني[1] وشعيب بن صالح، فكيف يقول هذا، هذا؟![2].

وفي حديث الشيخ الكليني (أعلى الله مقامه)، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبي أيوب الخزاز، عن عمر بن حنظلة، عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه)، أنه قال: خمس قبل قيام القائم عليه السلام: الصيحة، والسفياني، والخسف، وقتل النفس الزكية، واليماني؛ فقلت: جعلت فداك إن خرج أحد من أهل بيتك قبل هذه العلامات، أنخرج معه؟ فقال: لا[3].

وفي حديث أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة، عن أحمد بن يوسف بن يعقوب الجعفي، عن إسماعيل بن مهران، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه؛ ووهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز، يتبع بعضه بعضاً[4].

وفي رواية صحيحة أوردها الشيخ الطوسي عن الفضل بن شاذان، عن [محمد ابن أبي عمير]، عن سيف بن عميرة عن بكر بن محمد الأزدي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: خروج الثلاثة؛ السفياني والخراساني واليماني في سنة واحدة، في شهر واحد في يوم واحد[5].

وكذا ما أورده النعماني، عن علي بن أحمد، عن عبيد الله بن موسى،

---

(١) لعله تصحيف كلمة (الخراساني).
(٢) غيبة النعماني: ٢٦٢ ب١٤ ح١٢.
(٣) الكافي ٨: ٣١٠ ح٤٨٣.
(٤) غيبة النعماني: ٢٥٥ ـ ٢٥٦.
(٥) غيبة الشيخ الطوسي: ٤٤٦ ـ ٤٤٧ ح٤٤٣، والشيخ المفيد في الإرشاد ٢: ٣٧٥.

عن إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّه قال: اليماني والسفياني كفرسَي رهان[1].

يشير الحديث هنا إلى أن زمن اليماني سيكون متزامناً تحديداً مع زمن الخراساني والسفياني بشكل دقيق، وباعتبار أن السفياني الملعون والإمام المهدي (روحي فداه) في سنة واحدة كما هو صريح حديث محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: السفياني والقائم في سنة واحدة[2]؛ فيكون اليماني والإمام المهدي (صلوات الله عليه) في سنة واحدة أيضاً.

وبما أن الروايات قد أشارت بشكل متواتر إلى أن ما بين خروج السفياني إلى العراق وظهور الإمام المنتظر (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف) هو مدة حمل امرأة، أي تسعة أشهر[3]، ولهذا فإن من الطبيعي أن يشار إلى أن توقيت خروج اليماني سيكون موازياً لذلك أيضاً.

ونرى هنا ـ أيضاً ـ أن الأحاديث قد أشارت بشكل عام إلى أن خروج اليماني في هذا الزمن، مما يعني أن خروجه براية الحرب محددة في هذا الزمن، ولكن هذا لا يمنع من وجوده في الزمن السابق لذلك على مستوى الشهرة أو الوجاهة أو الشأنية في عالم السياسة أو في عالم المنتظرين، وإن كان الراجح أن يكون اليماني من أصحاب الشأنية السياسية والأمنية الطاغية في محيطه، بحيث يقرن إلى الأسماء الأخرى، ووجوده قبل ظهور وقت خروجه كقائد لمحيطه هو المقطوع به، وسيأتي الحديث عن كل ذلك لاحقاً إن شاء الله تعالى.

---

(١) غيبة النعماني: ٣٠٥ ب١٨ ح١٥.
(٢) غيبة النعماني: ٢٦٧ ح٣٦.
(٣) غيبة النعماني: ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ح١.

المبحث الثاني: الأحاديث المكانية

وفي هذا القسم من الأحاديث أشارت الروايات إلى مكان عمل اليماني والساحة التي يخرج لأجلها.

وما يجب الإشارة إليه هنا هو أني لم أجد في هذه الأحاديث أية إشارة من قريب أو بعيد يمكن أن تفيد ـ بشكل قطعي ـ في تشخيص مكان ساحة عمل اليماني قبل ظهور الإمام المهدي المنتظر (روحي فداه) غير العراق.

وينبغي التأكيد ـ هنا ـ على ما توصلنا إليه في فصل (هوية اليماني)[1]، من أن الروايات الخاصة بأهل البيت عليهم السلام، إن راعينا الدقة العلمية المطلوبة حتماً في مثل هذا المجال، فإنه يمكن القول بأنها لم تتطرق أبداً إلى كونه يخرج من اليمن، أو أن له أية علاقة بالساحة الحضارية والاجتماعية في اليمن، وكل ما موجود في هذا الصدد إنما هو في غالبيته روايات أهل العامة وكتبهم، وما يوجد في مصادرنا ـ وفق ما أحصيناه ـ إنما هو من تأويل المؤلفين أو النسّاخ لهذه الكتب، أما مَن أكّده من المؤلفين فعليه أن يبرز الدليل في هذا المجال، ودون ذلك خرط القتاد على ما يبدو.

وهذا القسم ـ كسالفه ـ يحاول أن يقلّص الخيارات على الأدعياء، فكما رأينا في القسم الأول كيف يتم تحديد زمن اليماني؛ لكي يقطع الطريق أمام أدعياء المهدوية واليمانية على حد سواء، فلا يماني قبل ما حددته الروايات من زمانه، وهنا أيضاً يتم التحدث عن مكان محدد توخياً لنفس الأسباب السالفة، فاليماني له مهمة محددة لمكان محدد في زمن محدد.

---

(١) سيأتي لاحقاً إن شاء الله.

وبالتالي فإنّ أيّ دَعيٍّ لهذا المقام الخطير يمكن أن تحاصره دلالات المكان والزمان المشار إليها في هذه الأحاديث، فضلاً عن طبيعة المواصفات والمؤهلات التي سيتم تحديدها في المجموعة الثالثة من الروايات، وفي كل ذلك تقوية للمؤمنين، ودلالة لهم على شخصية اليماني لمن كان قريباً منه، وثباتاً على طريق الإمام المنتظر لمن كان بعيداً عن موضع اليماني.

على أي حال ففي هذه القسم من الروايات سنلاحظ أن بعضها يتحدث عن حركة أو إقبال أو سير لليماني باتجاه ساحة معارك السفياني تحديداً، دون أن تحدد للوهلة الأولى مكان هذه الساحة، ولا من أين يقبل اليماني.

ففي الرواية الواردة عن علي بن أحمد البنديجي، عن عبيد الله بن موسى العلوي، عن محمد بن موسى، عن أحمد بن أبي أحمد الوراق، عن يعقوب بن السراج، قال: قلت لأبي عبد الله: متى فرج الشيعة؟ قال: إذا اختلف وُلد العباس، ووهي سلطانهم... إلى أن قال: وظهر السفياني، وأقبل اليماني، وتحرك الحسني، خرج صاحب هذا الأمر...[1].

وفي رواية طويلة يرويها السيد علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد النيلي النجفي في كتابه (سرور أهل الإيمان) ـ وينقلها عنه العلامة المجلسي في (بحار الأنوار) ـ، بإسناد يرفعه إلى الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، فبعد أن يتحدث عن مذابح السفياني في الزوراء (وهي بغداد) والكوفة، قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبلت خيل اليماني والخراساني يستبقان كأنهما فرسَي رهان، شعث غبر جرد... إلخ[2].

---

(١) غيبة النعماني: ٢٧٠ ح٤٢.

(٢) سرور أهل الإيمان: ٥٣ ـ ٥٤، بحار الأنوار ٥٢: ٢٧٤ ح١٦٧.

وروى الكليني، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن يعقوب السراج، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: متى فرج شيعتكم؟ قال: فقال: إذا اختلف... إلى أن قال: وخلعت العرب أعنتها[1]، ورفع كل ذي صيصية صيصيته[2]، وظهر الشامي[3]، وأقبل اليماني، وتحرك الحسني، وخرج صاحب هذا الأمر...[4].

وفي (دلائل الإمامة)، روى الشيخ الطبري بإسناده إلى علي بن إبراهيم بن مهزيار، عن الإمام الحجة (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف)، أنه قال في حديث طويل: يا ابن مهزيار ـ ومد يده ـ، ألا أنبئك الخبر؛ إنه إذا قعد الصبي[5]، وتحرك المغربي، وسار العماني[6]، وبويع السفياني، يأذن لولي الله[7].

وفي رواية يرويها شيخ الطائفة الطوسي[8] في كتاب الغيبة، من طرق

---

(١) أعنة الخيل: لجامها الذي يمسك بها.

(٢) صياصي البقر: قرونها، والصياصي: الحصون.

(٣) الشامي وفقاً لبقية الرواية هو السفياني.

(٤) الكافي ٨: ٢٢٥ ح٢٨٥.

(٥) في نسخة الحر العاملي: إذا فقد الصيني.

(٦) في نسخة الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة (ص٢٦٨ ح١٠٨)، وكذا في مختصر بصائر الدرجات (٤٢٩ ح٥٠٨): وسار العباسي، ولعل كليهما تصحيف، وقد احتمل بعضهم أن يكون الصحيح هو اليماني، ولو صح ذلك فهي الإشارة الوحيدة التي تشير إلى سيره قبل خروج السفياني إلى قرقيسيا، لأن مبايعته عليه لعائن الله تكون قبل خروجه لها.
وعلى أي حال، فنسخ الخبر تشير إلى أنه عليه السلام يتحدث عن العماني أو العباسي، ولو أخذنا باحتمال اليماني فإن هذا يفيدنا فقط في كونه يبدأ حركته وليس خروجه قبل وصول السفياني إلى قرقيسيا.

(٧) دلائل الإمامة: ٥٤٢ ح٥٢٢.

(٨) الرواية ليست من حديث أهل البيت عليهم السلام، وإسنادها عامي، ولكن ورودها في كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي جعلني أتوقف عندها.

العامة، بإسناده إلى عمار بن ياسر[1]، وهي تشير إلى معركة قرقيسيا ونتائجها، قال: ويسبق عبدُ الله، عبدَ الله، حتى يلتقي جنودهما بقرقيسياء على النهر، ويكون قتال عظيم، ويسير صاحب المغرب، فيقتل الرجال ويسبي النساء، ثم يرجع في قيس حتى ينزل الجزيرة [إلى] السفياني، فيسبق [فيتبع] اليماني فيقتل [قيساً بأريحا]، ويحوز السفياني ما جمعوا، ثم يسير إلى الكوفة فيقتل أعوان آل محمدﷺ... إلخ[2].

ونلحظ ـ هنا ـ أن الأحاديث الشريفة استخدمت كلمتَي السير والإقبال لليماني، وهاتان الكلمتان مرتبطتان بالمكان، وفي بعضها تصريح بأن الإقبال يكون إلى الكوفة، وفي بعضها لا يتكلم الخبر إلا عن حركة اليماني دون أن يشير إلى المكان، والرواية الوحيدة التي تشير ـ احتمالاً ـ إلى مكانٍ لليماني خارج الكوفة ـ على ما يبدو ـ هي الرواية الأخيرة، التي تشير ـ على فرض صحتها ـ إلى أن السفياني يسبقه إلى الكوفة، مما يدل على عدم وجوده في واحدة من الاحتمالات، وإن كان الدليل ليس باتاً، لأنه قد يعني السيطرة التامة على مركز الكوفة ولا يعني بالضرورة كل المنطقة، ومهما يكن فإن من الواضح أن موقعية اليماني أثناء هذه التحركات تكون داخل العراق.

ومن الملاحظ أن الروايات الشريفة أشارت في مجموعة القسم الأول السابقة إلى أن اليماني والسفياني والخراساني يستبقون كفرسَي رهان، وهذا السباق إنما يكون مختصاً بالساحة العراقية دون غيرها،

---

(١) وهي نفس رواية نعيم بن حماد في كتاب الفتن، ولعل لفظها في الفتن أصح مما في غيبة الطوسي؛ انظر كتاب الفتن ص١٧٠، وما بين المعقوفتين منه.

(٢) غيبة الطوسي: ٤٦٤ ح٤٧٩، وكتاب الفتن: ١٧٠ وما بين المعقوفتين منه.

فحركة الثلاثة حينما تقترن بوقت واحد كما في الروايات السابقة، إنما تكون مكانياً متلازمة مع حركة السفياني مكانياً، فاليماني والخراساني إنما يخرجان لرد كيد السفياني، كما قد يلاحظ من الروايات، والسفياني في الحدود الزمانية والمكانية لهذا التلازم إنما يقصد العراق تحديداً بعد انتصاره في قرقيسيا، كما عبّرت روايةٌ ـ ستمر بنا ـ بأنه لن يكون له همّ بعد معركة قرقيسيا، إلا التوجه إلى العراق.

ولهذا فإن حديث الروايات ضمن هذا المقطع إنما تحدد العراق كساحة لحركة اليماني بعد ظهور السفياني وقبل ظهور الإمام (صلوات الله عليه)، وهي فترة تحدد بتسعة أشهر، كما هو صريح عدد من الروايات[1]، ومن الواضح أن معركة الخراساني واليماني ضد السفياني في العراق لا تنتهي إلا بعد دخول الإمام المهدي المنتظر (روحي وأرواح العالمين له الفدا) إلى العراق؛ إذاً فالحديث هنا سينحصر في العراق.

أما من أين يُقبل اليماني؟ ومن أين ينطلق سيره؟ ومن أين يتحرك؟ وأين يكون مبدأ أمره؟ فالروايات المعنية بشكل عام تسكت عن ذلك، ولا تتحدث عنه، وسنحاول أن نكتشف ذلك في حديث لاحق، إلا في بعض الروايات التي سيتضح عدم إمكان الاعتماد عليها.

يبقى أن نشير إلى رواية مضطربة وغريبة عن سياقات أحداث روايات أهل البيت عليهم السلام، ذُكرت في مخطوطة تنسب للفضل بن شاذان تحت اسم (مختصر إثبات الرجعة)[2]، وقد ذَكرت جملة من التحركات لليماني

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ٤٦٢ ح٤٧٧، وغيبة النعماني: ٣٠٤ ب١٨ ح١٣ و١٤.

(٢) ناقشنا مصداقية الرواية في بحث: هوية اليماني؛ وستأتيك في الأسطر القادمة إن شاء الله.

خارج العراق، وفي اليمن تحديداً، بل لم تشر إلى ساحة العراق أصلاً، وسنناقشها بالتفصيل إن شاء الله في المبحث القادم، وسنعرف بأن تلك الرواية لا يمكن الاستناد إليها أو التعويل عليها، لأنها مضطربة جداً في متنها، وغريبة بشكل يمكن معه الاطمئنان إلى عدم صحة نسبتها إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام.

المبحث الثالث: الأحاديث الشخصية

وفي هذا القسم سنرى أن الروايات الشريفة ركّزت على الحديث عن الهوية الشخصية لليماني، ولا نقصد بالشخصية هنا مواصفات هويته الذاتية، ومن أي عشيرة هو؟ وإنما تحدثت الروايات عن اليماني كعقيدة ونهج وخط ومؤهلات.

وهذا القسم هو الأهم من بين الأقسام الأخرى للكشف عن هوية اليماني؛ لأنه يركّز على الجانب القيمي والموضوعي لليماني.

وفي الوقت الذي عمل القسمان الأول والثاني على تقليص خيارات أدعياء السوء والأفاكين، نجد أن هذا القسم وإن كان سيتصدى لنفس المهمة إلا أنه سيتجاوز ذلك ليركّز على تبيان الخط العقائدي والعلاقة المتبادلة بين اليماني وبين الإمام (روحي فداه) من جهة، وبين اليماني وشيعة الإمام (صلوات الله عليه) من جهة أخرى، ورغم قلّة الحديث هنا إلا أننا ـ ولحسن الحظ ـ نظفر بحصيلة غنية عن ذلك.

فقد روى الشيخ الطوسي في (أماليه)، بسنده إلى محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: لما خرج

طالب الحق[1] قيل لأبي عبد الله عليه السلام: ترجو أن يكون هذا اليماني؟ قال: لا، اليماني يتوالى علياً، وهذا يبرأ منه[2].

وهنا يبرز الإمام الصادق عليه السلام الهوية العقائدية لليماني، فهو يتولى علياً (صلوات الله عليه) دون غيره، في قبال ذاك الذي لم يكن موالياً لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه)؛ لأنه كان من عيون الخوارج ورؤوسها، ويفترض أن هذا الالتزام بالولاء لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يعني الالتزام بكل ما يترتب عليه، فقد يقال إن أطرافاً لها بعض انتساب إلى التشيع، كالإسماعيلية والزيدية وغيرها، لها نمط ولاء لعلي عليه السلام، ولكن هذا الأمر لا يحقق الولاء وفق عقيدة الإمام الصادق (صلوات الله عليه) والتي تشير بوضوح إلى الإيمان بالأئمة الإثني عشر (صلوات الله عليهم) جميعاً؛ فلا تغفل.

وفي رواية طويلة للإمام أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) ـ تقدّم سندها عن أبي بصير ـ، قال: خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز، يتّبع بعضه بعضاً، فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناواهم، وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني، هي راية هدى؛ لأنه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليماني فانهض إليه، فإن رايته راية هدى، ولا يحلّ لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم[3].

وهذه من أهم الروايات التي أفصحت عن محتوى منهج اليماني،

---

(١) من رؤوس الخوارج.
(٢) أمالي الطوسي: ٦٦١ ح١٣٧٥.
(٣) غيبة النعماني: ٢٦٤ ب١٤ ح١٣.

وحددت طبيعة المسؤولية تجاهه بما لم تحدده مع أية راية هادية أو مؤمنة أخرى، ويجب أن يتم التوقف عندها ملياً لكل من يُعنى بدراسة ظاهرة اليماني.

وفي رواية صحيحة ذكرها الشيخان المفيد والطوسي، عن سيف بن عميرة، عن بكر بن محمد، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: خروج الثلاثة: السفياني والخراساني واليماني، في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، وليس فيها راية أهدى من راية اليماني؛ لأنه يدعو إلى الحق[1].

وفي خاتمة الرواية التي نقلناها عن كتاب (سرور أهل الإيمان)، ونقلها عنه الشيخ المجلسي في ما نقله في (بحار الأنوار)، عن أمير المؤمنين عليه السلام، في الحديث الذي يظهر فيه إقبال خيل اليماني والخراساني إلى الكوفة بعد المذبحة التي يرتكبها السفياني الملعون فيها، يقول: إذ أقبلت خيل اليماني والخراساني يستبقان كأنهما فرسَي رهان، شعث غبر جرد، أصلاب نواطي وأقداح، إذا نظرت أحدهم برجله باطنه فيقول: لا خير في مجلسنا بعد يومنا هذا، اللهم فإنّا التائبون؛ وهم الأبدال الذين وصفهم الله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2].

المبحث الرابع: المشخصات العامة لليماني

ومن مجموع الروايات المتقدمة نلاحظ التالي في تحديد ملامح هوية اليماني:

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٧٥، وغيبة الطوسي: ٤٤٦ ـ ٤٤٧ ح٤٤٣.

(٢) سرور أهل الإيمان: ٥٣ ـ ٥٤، وبحار الأنوار ٥٢: ٢٧٤؛ ولا تخلو بعض العبارات من تصحيف.

أولاً: إن هويته العقائدية منصبّة على ولاية أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وأئمة أهل البيت عليهم السلام، دون غيرهم، وبكامل التزامات هذا الولاء كما أشرنا.

ثانياً: إن من بين كل الروايات التي ترفع باسم الهدى والحق، أو التي تطلب الهدى والحق، وكذا الشخصيات الهادية ـ كرايات الحسني والخراساني وشعيب بن صالح ـ قبل الالتحاق بالإمام المهدي (روحي فداه)، فإن راية اليماني هي الأهدى.

هذا إذا قلنا بأن أفعل التفضيل هو المراد بكلمة «أهدى»، أي أنه أفضل هداية، أو أسبق منهم إلى طاعة الإمام (روحي فداه)، أما إذا لم يكن المقصود به هنا هو أفعل التفضيل، وجاءت كلمة (أهدى) بحكم قوله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[1]، فإن الرايات الأخرى ـ حصراً[2] ـ تكون طالبة للحق والهدى، ولكنها لا تصيبه بالضرورة كما يصيبه اليماني، ولعل تركيز الحديث عنه بأنه يدعو إلى صراط مستقيم يقوّي ذلك.

وعلى كل حال؛ فإن شأن الهداية في شخصية اليماني هو شأن ثابت لا مرية فيه.

ثالثاً: إن سر كونه أهدى الرايات ـ على ما يبدو ـ وفق التفسيرين، هو أنه لا يملك دعوة دنيوية خاصة به، ولا يدعو إلى نفسه، وإنما يسعى

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٢) باعتبار أن شخصية شعيب بن صالح لا تقترن قبل ظهور الإمام براية مميزة في طلب الإمام (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) على ما يبدو، فضلاً عن كونه ليس بصاحب دعوة كما هو الحال في الآخرين، ولكن من الواضح أنها شخصية مؤمنة هادئة.

باتجاه الدعوة للإمام (صلوات الله عليه) دعوة مباشرة خالصة، ويبدو أن الدعوة للإمام عليه السلام هي همّه الأوحد، أو هي المهيمنة على حركته العامة.

رابعاً: وجوب نصرته وعدم حلّيّة الالتواء عليه ومعاندته؛ لأنه يدعو إلى الحق وإلى صراط مستقيم، ومن فعل خلاف ذلك فهو من أهل النار، وتستدعي جملة وجوب النصرة كثيراً من التحليل، فكيف سيستدل المؤمن على من يجب عليه نصرته؟ فهل سيتم الكشف عن اسمه؟ وهذا مستبعد جداً لنفس السبب الذي تم إخفاء اسمه؛ ومن الذي سيتصدى للتحدث عن وجوب نصرته بالشكل الذي يمكن للناس أن تتبعه؟

خامساً: لديه خزين ضخم من الغضب لحق شيعة أهل البيت عليهم السلام نتيجة لما حلّ بهم، ولهذا لا يرى خيراً في القعود بمجلس ما لم يأخذ بثأر المظلومين من أهل الكوفة، كما مرّ في الرواية المتقدمة، ولعلها تتحدث عن سخط شديد لديه، لعدم التحرك لأخذ هذا الحق، وكأنه عوّل على غيره، أو لأن الأمور كانت بيد غيره، فأصيب بالإحباط والسخط، نتيجة للإخفاق الذي منيت به عملية التعويل على الآخرين.

سادساً: لديه تحالف عسكري أو ما يشبه ذلك ـ أثناء معركته ضد السفياني الملعون ـ مع الخراساني على ما يبدو، والدليل على ذلك ما في وصف الرواية الأخيرة.

وعلى أي حال؛ فهما غير متناقضين، ولا متضادّين، سواء كانت حركة الخراساني مناصرة للشعب العراقي من حيث الهمّ الأول لها، أو كانت قد تقدمت لكي تملأ الفراغ الأمني والعسكري الذي أوجدته نتائج معركة قرقيسيا مع السفياني مع ما يتضمنه ذلك من نصرة للشعب العراقي،

وهو الأرجح وفقاً للسياقات التي ستفرزها المعركة من استباحة الحدود العراقية من قبل جيش السفياني، مما يهيىء لعمليات مماثلة، ولا سيّما أن أطراف معركة قرقيسيا تنبىء عن استباحة أخرى للحدود العراقية من قبل جيش وُصف مرة بأنه من الترك، وما يرجح ذلك الروايات التي تتحدث عن نزول الترك الجزيرة[1] (وهي المنطقة الجنوبية للموصل) قبل السفياني[2]، وأخرى من أبناء عم الترك، وهم الروم على الأغلب.

ومهما يكن فإن الحديث ينمُّ عن انتهاك متعدد لهذه الحدود من أطراف عديدة، مما يفسح المجال بداعي الحفاظ على الأمن القومي الإيراني، وما أشبه ذلك للقوى المعنية الأخرى، للدخول إلى العراق لردع التداعيات الأمنية المخلّة بأمن بلدانها.

سابعاً: شجاعته المميزة، واستعداده الكامل لمجابهة طغيان السفياني ومواجهته ومقاتلته، وحرصه على الدفاع عن شيعة أهل البيت عليهم السلام في العراق، ويجب أن يلحظ ذلك وفق طبيعة قوة السفياني وما تحدثت عنه الروايات بشأن بطشه وشدة قسوته على مناوئيه، ولهذا تراه يوقّت خروجه بإقبال السفياني باتجاه العراق.

ثامناً: لديه من الشهرة والمنزلة والمكانة الأمنية والعسكرية، بالشكل الذي يجعل الساحة التي تحتضنه أو يرعاها تستجيب له فور معركة قرقيسيا في الأقل، إذا لم يكن قبل ذلك، وهو الأقوى.

أو في أقل تقدير لديه من الظروف والإمكانات ما يجعله مستعداً

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٦٨، ٣٧٢.

(٢) الأصول الستة عشر (أصل جعفر بن محمد بن شريح الحضرمي): ٨٠.

بصورة كافية للتمكن من تحقيق ذلك، وبشكل يجعله أحد الأقطاب العسكرية الثلاثة التي تبرز في الساحة العراقية القادرة على تشكيل منظومة دفاعية بديلة، بعد انهيار القوة العسكرية الوطنية في معركة قرقيسيا على الحدود ما بين العراق وسوريا.

تاسعاً: من خلال إلزام المؤمنين بالطاعة له وعدم الالتواء عليه ـ كما في الرواية المارة آنفاً ـ تبرز الشأنية الاجتماعية للرجل، وأنه من أصحاب الشأن قبل حصول معركة قرقيسيا، فالإلزام بالطاعة عادة لا يتحصل لعدم المتصدين للعمل العام، والتصدي يعني البروز الشأني له، ولعل الرواية واضحة في وجود أتباع له قبل خروجه بالشكل الذي يجد في نفسه أهلية التصدي لمثل السفياني.

ومن الواضح أن بعض هذه الخطوط يرتبط بجوهر منهاج اليماني في التحرك، وبعضها يرتبط بمعطيات هذا التحرك ونتائجه، وبعضها الآخر يرتبط بالدلالة عليه من أجل الإسهام في تقليص خيارات الأدعياء من جهة، وعدم ترك المؤمنين حيارى من دون قيادة من جهة أخرى، وسنعود للحديث المفصل عن كل ذلك في الأسطر القادمة إن شاء الله.

* * *

الفصل الثاني

هوية اليماني

تمهيد: هل اليماني من اليمن؟

قد يبدو السؤال غريباً بعض الشيء على القارىء الكريم الذي أَلِفَ التفسيرات التلقائية، ولم يألف طبيعة التعامل العلمي الدقيق مع حديث أهل البيت (صلوات الله عليهم)، أو تسامح فيه، ولكنه سؤال حيوي ترتبط به أمور عديدة، ومن الواجب الإجابة عنه بدقة، ولا سيّما أن عدداً من الباحثين ـ ولعلهم الأغلب ـ قد تناولوه بتسليم كبير دون تدقيق، فوقعوا وأوقعوا قراءهم في أوهام عديدة!! بل تسببت تلك الأوهام بتمرير روايات دخيلة دون تمحيص ودونما تدقيق.

والأدهى من ذلك أنّا بدأنا نرى تفعيلات على الأرض الميدانية بتوصيف شخصيات معينة بهذا الوصف اعتماداً على هذه التلقائية والتسليم في التعامل مع أمر وشأن عظيم كهذا.

وأحد مناشىء هذا الواجب هو طبيعة البيئة العقائدية التي تحكم الساحة اليمنية، التي يفترض وفق هذا التسليم أن تكون هي الحاضنة لهذه الراية، والتي تمكّن من إيجاد جيش له هذه القوة والمنعة بالشكل الذي يتمكن من مقارعة جيش السفياني الذي وصف بأوصاف متعددة تشير إلى

القوة والضخامة، مما يجعل هذا الجيش مستنداً لبيئة اجتماعية ضخمة تمكّن من إيجاد مثل هذا الجيش، ولا سيّما أن هذا الجيش لم يوصف بأوصاف عادية على المستوى العقائدي، بل كانت أوصافه عالية المضامين، بالشكل الذي ينعكس عليه ـ حكماً ـ المحتوى العقائدي لهذه الساحة.

وأيضاً: فإن هذا السؤال يرتبط بموضوع ما إذا كانت الساحة اليمنية تصلح لكي تكون ساحة ممهدة بشكل مباشر لا لظهور الإمام (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف) على المستوى الموضوعي فحسب، بل لتحقق دولته؟! وأي تمهيد أعلى وأكثر حساسية من أن تكون فيه أهدى الرايات؟!

لذلك لا بُدّ من التروي كثيراً في الإجابة عن هذا السؤال، ولا سيّما أن من أجاب عنه اعتمد غالباً على ما يوحي اسم اليماني من اقترانه باليمن كموطن جغرافي وكحاضن عقائدي، ولذلك لم يتوقف عند الروايات توقف المحقق والمدقق، ونحن إذ نحاول أن نفتش عن إجابة دقيقة لا بُدّ من أن ننتبه إلى ما يلي:

إن اليمن كانت منذ عهد بعيد وما زالت حاضنة للعقيدة الزيدية، وهذه العقيدة اتجهت مع مرور الزمن لتقترب أكثر من العقيدة السلفية، أو لتبتعد بشكل عام وبصورة أكثر عن العقيدة الإمامية، ولا مجال للشك بأن ما يجري في اليمن حالياً دليل على ذلك، واحتمال أن تكون في مستقبل بعيد منظور حاملة لهذه العقيدة، وحاضنة لقاعدة ثورية تتبناها بشكل قوي على مستوى أن تكون حاضنة لجيش اليماني، لا وجود له بالمرة.

بل الأمور تسير بأفق معاكس تماماً، وذلك ضمن الحسابات البشرية

المعتادة، ولا مجال للشك ـ أيضاً ـ أن تكرار ما جرى في زمن الصفويين في إيران، وفي أصفهان بالذات، التي كانت تمثل إحدى القلاع الأساسية في الفكر المناهض لأهل البيت عليهم السلام، قبل حادثة الشاه خدابنده مع العلامة الحلي (رضوان الله تعالى عليه)، وهي الحادثة التي أدّت إلى تشيُّع إيران وتحوُّلها إلى العقيدة الإمامية قبل نحو ٧٠٠ سنة، ضمن الآفاق المحتملة المنظورة، هو الآخر بعيد جداً.

وهذا كلُّه يجعلنا أمام تناقض كبير ـ وفق ما أشرنا إليه سابقاً من احتياجات جيش اليماني إلى الحاضن العقائدي والإجتماعي ـ بين أن تكون راية أهل البيت (صلوات الله عليهم) هي راية الإمامية (أعلى الله شأنهم)، وبين أن لا تخرج أهدى الرايات من الساحة الاجتماعية الأساسية للإمامية، وإنما تخرج من ساحة اجتماعية في عمومها الغالب تهيمن عليها عقيدة أخرى لا تخفي حنقها على الإمامية، بل ولا تخفي عملها الدؤوب للوقوف أمامها والتصدي لها.

وهذا ما يجب أن يعيه تماماً أولئك الذين وجدوا في حركة الحوثي[1] ما يمكن أن تكون هي حركة اليماني، ولا سيّما أن بعضهم المعتمد على روايات العامة وجد في اسمه (حسين) ما يكفي ليجزم بذلك وهو من شدائد الأمور في هذا المجال وغريبها! وستأتي مناقشة الرواية.

ومن الطبيعي فإن الحديث هنا لا يجري عن وجود جماعة من

---

(١) حركة حسين الحوثي حركة نشأت في اليمن بشكل مسلح، وخرجت على علي عبد الله صالح ونظامه، وقد قُتل الحوثي هذا ـ وفق الرواية الحكومية ـ خلال القتال مع القوات الحكومية، ولا تزال مناوشات تجري بين فينة وأخرى هنا وهناك من منطقة الحوثيين وجبال صنعاء، وهناك من يدعي أن الحركة إمامية دونما دليل يقدم، ولكن أغلب الظن التحقيقي هو إن الحركة زيدية وبقيت زيدية.

الإمامية إلى جانب جماعة الزيدية أو غيرها، فوجود جماعة شأن، وإمساكها بمقادير الأمور وبالطريقة التي تتناسب مع المهمة المناطة برجلنا الموعود شأن آخر؛ فلا تغفل.

وفي تصوري أن الأمر كان ليكون سهلاً لو تم التعامل مع الأمر وفق مقتضيات روايات أهل البيت عليهم السلام، لكن قبول بعض الباحثين والرواة لإيحاءات لقب هذا العبد الصالح أوقعهم في هذا المطب.

يبقى علَيَّ أن أنبّه هنا إلى أننا لسنا في صدد إعداد بحث لأغراض وطنية أو عاطفية ـ والعياذ بالله ـ، فحديث أهل البيت عليهم السلام لا يخضع لهذه الاعتبارات، ولا يمكن إخضاعه لذلك، والتفكير الإمامي أبعد ما يكون من التفكير الوطني والقومي الضيق؛ لأنني وجدت بعض ما وصلني من ردود على هذا البحث، ذا نزعة وطنية لهذا المكان أو ذاك، وهذا من الخطر بمكان، مما يؤثر على دقة نتائج البحث والنظر في الأمور.

وإنّ جلّ ما يحاول هذا البحث أن ينشده هو محاولة العثور على ساحة اليماني الموعود؛ لملاحقة المنهاج الذي يتحرك به، الذي بموجبه يكون أهدى الرايات؛ سائلاً الله أن لا يحرمنا والقارىء الكريم من توفيقه وتسديده.

بقي أن أشير إلى أن هذا الحديث لا يمكن التعويل عليه في شأن توقيت خروج اليماني الموعود، فلئن تحدثنا عن ظرف اليمن الحالي والمنظور ضمن الحسابات الاعتيادية، التي ربما تتغير بألطاف إلهية خاصة، إلا أنه يجب أن لا يقودنا كل ذلك إلى أن نجزم بأن وقتنا المعاصر هو وقت الظهور الشريف، فهذه أمور علمها عند الله تعالى

وحده، وإن كانت الدلائل ربما تشير إلى هذا الزمن، ولكن هذه الدلائل تبقى ظنية، واليقينيات لا تحكم بالظنون؛ فتنبّه!!

* * *

المبحث الأول: يمنية اليماني في الروايات

وبعيداً عن ذلك، فالملاك يبقى لحكم الروايات، وفي العموم فإن البحث المتفحص في الروايات الصحيحة والموثوقة والمعتبرة، يجعل المرء يعتقد أن إمكانية الإشارة الروائية إلى كون الرجل من اليمن صعبة المنال، ولربما دونها خرط القتاد، بل إن منشأ الوهم الذي جعل بعض الكتّاب والباحثين ينسب الرجل إلى اليمن تحديداً، هو إما روايات عامية، أو روايات ضعيفة سنداً ومضطربة متناً، أو روايات لا نستطيع الاعتماد عليها لمجهولية مصدرها.

وقد ساهم النسّاخ والمؤلفون لكتب الرواية بإعطاء هذه الأوهام مصداقية كبيرة، فسنجد أن بعض النسّاخ أو المؤلفين أراد أن يفسر عبارة (يخرج اليماني)، فوضع (من اليمن) كهامش، ومع تتابع الأيام أُدخل هذا الهامش ضمن أصل الرواية، إما بين معقوفتين أو بدونهما لتدخل الكلمة مع مرور الأيام وتعدد العابثين بهذه الروايات في داخل المتن، مما جعل القول وكأنه قول الرواية!!

وسنناقش كل ما ورد في كتبنا وفي كتب غيرنا من روايات وأخبار حتى نصل إلى ما يقربنا من اليقين في هذا المجال، وقبل ذلك يؤسفني أن أشير إلى حالة الإحباط التي اعترتني وأنا أقرأ رد إحدى المؤسسات العزيزة على بحثنا هذا في منتديات شبكة هجر بطريقة الفتيا، لا بطريقة الاستدلال، إذ جاء في رد الأعزة على سؤال وجّه إليهم حول هذا البحث

تحديداً، وقد أوردنا فيه جميع ما يوجد من روايات، في كتبنا وفي كتب غيرنا من العامة، ولكنهم ومن دون مناقشة البحث وفهمه للرواية قالوا: «وحيث إن الثابت من خلال الأدلة النقلية!! أن اليماني من اليمن، فأي قول يثبت عكس ذلك فهو يمثّل رأي صاحبه فقط، ونحن نتبع الدليل التخصصي، والذي يثبت أن اليماني من اليمن»[1].

وقد كنت أتمنى ـ بالفعل ـ أن يكون الرأي من قبل هؤلاء الأعزة تخصصيّاً، ولكنهم أطلقوا الرأي ـ كما ترى ـ على طريقة الفقهاء حين إصدارهم الفتوى دون أي نقاش، في الوقت الذي كان يفترض بهم أن يدلّونا ـ متفضلين ـ على هذه الروايات التي يتحدثون عنها، التي تثبت في حال تمحيصها أن اليماني الموعود من اليمن كما زعموا.

نعم، ذُكر ذلك في بعض الروايات، ولكن خضوع هذه الروايات للتدقيق يجعل الدليل الذي يتحدثون عنه يتلاشى، أو يكون موضع شكّ كبير، وسيعرف الباحث هنا أننا أوردنا جميع ما روي في كتب الشيعة والسُنَّة وفق ما تمكّنّا من استقصائه، ليكون حكماً في مثل هذه الأمور، سائلاً الله لنا العصمة في ذلك.

أولاً: واحدة من الروايات التي تعرضت لهذا الموضوع هي ما رواه علي بن محمد الليثي الواسطي، وهو من علماء القرن السادس، في كتابه (عيون الحكم والمواعظ)، فقد روى مرسلاً، قال: خمسة من علامات القائم عليه السلام: اليماني من اليمن، والسفياني، والمنادي ينادي بالسماء، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية[2].

---

(١) 1http://WWW.hajr-network.net/hajrvb/showthread.php?t=402939641

(٢) عيون الحكم والمواعظ ـ لعلي بن محمد الليثي الواسطي ـ: ٢٤٤؛ طبعة دار الحديث ـ قم.

والليثي نقل الرواية عن الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) على ما يبدو، وتحديداً من كتابيه (الخصال) و(كمال الدين)[1]، ولكن ما رواه الشيخ الصدوق، وأبوه (قدس سره) من قبله[2]، ومن نقل عنهما[3]، لم يذكروا عبارة (من اليمن) إطلاقاً، مما يجعل ما في كتاب (عيون الحكم والمواعظ) شرحاً لا دخل له بنص رواية أهل البيت عليهم السلام، وقد يكون الشرح من المؤلف أو من الناسخ.

وعلى أي حال، فإن الإشارة إلى اليمن لا دخل لها بحديث أهل البيت عليهم السلام، وكلام العلماء يردّ إليهم حتى يقدّموا بيِّنة من العلم، ولو كان غير ذلك لأورد هذه العبارة العلماءُ أنفسهم ممن نقل الليثي نفسه عنه، أو ممن نقل غيره من العلماء نفس هذه الرواية؛ فلا تغفل!

ثانياً وثالثاً: ما كتبه الشيخ الصدوق (رحمه الله) في هامش رواية رواها عن محمد بن محمد بن عصام[4]، عن الشيخ الكليني[5]، عن القاسم بن العلاء، عن إسماعيل بن علي القزويني، عن علي بن إسماعيل، عن عاصم بن حميد الحناط، عن محمد بن مسلم الثقفي، قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وأنا أريد أن أسأله

---

(١) الخصال: ٣٠٣ ب٥ ح٨٢، وكمال الدين وتمام النعمة: ٦٤٩ ب٥٧ ح١ بفارق طفيف في بعض نسخه.

(٢) الإمامة والتبصرة من الحيرة: ١٢٩ ح١٣١ وفيه: خروج اليماني.

(٣) انظر ما نقله عنهما الشيخ الطبرسي في كتابه إعلام الورى بأعلام الهدى ٢: ٢٧٩، وكذا الشيخ المجلسي في بحار الأنوار في مواضع عديدة منها ج٥٢: ٢٠٣؛ وفيهما ما في سابقهما: (خروج اليماني) دون ذكر فقرة (من اليمن).

(٤) وهو الصحيح، وفي الأصل: ابن عاصم، والرجل هو شيخ الصدوق، وهو أيضاً طريقه لكتاب الكليني، وقد ترضى عليه في مشيخة من لا يحضره الفقيه ٤: ٥٣٤.

(٥) لم نجد الرواية في الكافي الشريف.

عن القائم من آل محمد (صلى الله عليه وعليهم)، فقال لي مبتدئاً: يا محمد بن مسلم! إن في القائم. . . ـ إلى أن قال: ـ وإن من علامات خروجه: خروج السفياني من الشام، وخروج اليماني [من اليمن][1]، ومنادياً ينادي من السماء. . . إلخ[2].

وفي مقطع آخر من نفس الرواية على ما يبدو، أو برواية أخرى ولكن بنفس السند، قال الإمام الباقر (صلوات الله عليه) في موضع آخر رواه الشيخ الصدوق: القائم منا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر. . . ـ إلى أن قال: ـ واستخف الناس بالدماء، وارتكاب الزنا، وأكل الربا، واتُّقي الأشرار مخافة ألسنتهم، وخروج السفياني من الشام، واليماني من اليمن، وخسف بالبيداء، وقتل غلام من آل محمد ﷺ بين الركن والمقام. . . الخ[3].

والنقاش في الرواية يدور تارة على أصل السند، ونلاحظ هنا:

أولاً: أن الروايتين، ـ أو مقطعَي الرواية ـ في سندها بهيئته هذه يشير إلى أنها من روايات الكافي، إلا أن الملاحظ أن لا وجود لها أصلاً في نسخة (الكافي) بصيغتيهما[4]، وهذا ليس بقادح فيهما من حيث الأصل، لاحتمال أمرين:

أحدهما: أن الشيخ الصدوق نقل هذه الرواية من كتاب للكليني غير

---

(١) هكذا في بعض نسخ الكتاب، وهي من إضافة محقق الكتاب؛ فلاحظ!

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ب٣٢ ح٧.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٣١ ب٣٢ ح١٦.

(٤) فالحديث يرويه الشيخ الصدوق عن تلميذ الشيخ الكليني وراوي كتابه الكافي، وعن الشيخ الكليني من بعده، ومن الواضح أن الرواية بهذا الطريق هي طريق الشيخ الصدوق إلى الشيخ الكليني، كما نصَّ عليه في مشيخة من لا يحضره الفقيه ٤: ٥٣٤.

كتاب الكافي، وصل إليه خبره ولم يصلنا، وهذا محتمل في حد ذاته، باعتبار ضياع بعض كتب الشيخ الكليني أو عدم وصولها إلينا، ويُحتمل ـ كذلك ـ أن يكون الشيخ الصدوق قد اطَّلع على هذا الكتاب قبل ضياعه.

ولكن من يلحظ كتاب الكافي وطريقة الشيخ في الحديث، وطبيعة ما قدّمه للكتاب، يعرف أن الشيخ الكليني كتب (الكافي) بهدف الإفتاء على طريقة أهل زمانه، وبالتالي فقد كتب فيه ما اعتقد أنه صحيح[1] يجوز العمل بمقتضاه، وهذا ما أشار (رضوان الله تعالى عليه) إليه في مقدمة كتابه[2]، وقد يعني ذلك أن ما أودعه في غير الكافي ربما لم يرقَ في وثاقته إلى ما رقيَ إليه الكافي في نظره، ولهذا أهمل ذكر هذه الرواية في كتابه الكافي لعدم ثقته بها أو اطمئنانه بها، ويقوي ذلك أن إسناد الرواية ضعيف جداً، لوجود أكثر من مجهول فيه؛ فانتبه!

والثاني: أن يكون الشيخ الصدوق (قدس سره) قد وَهِمَ عمّن نقل روايتيه هاتين متصوراً أنه نقلها من الشيخ الكليني (قدس سره)، وهذا ممكن بحد ذاته، وإن كان مستبعداً من مثل الشيخ الصدوق (رضوان الله تعالى عليه) لطبيعة دقته وحافظته، إلا أن ما يثير الشك والريبة أن أي أحد من العلماء غير الشيخ الصدوق، سواء من عاصره، أو مشايخه في الرواية، أو ممن نقل عنهم من كتب الأصحاب، لم ينقل هاتين الروايتين، سواء بهذا السند أو بغيره، ولهذا فهو متفرد بهما!!

وعلى أي حال، فإن صح هذا الأمر، فإنه يكون قد نقل الخبر من مصدر مجهول، لا يُعرف إن كان للشيخ الكليني أو لغيره، ويعزز ذلك أن

---

(١) مع وجود نقاش في طبيعة هذه الصحة ومداها.
(٢) الكافي ١: ٨ ـ ٩.

الرواية عن ابن عاصم وهو راوي الكافي، ولا يُعرف للكليني كتاب يرويه ابن عاصم غير كتاب الكافي، وهذا ما يزيد في احتمال الوهم المشار إليه.

وثانياً: نلاحظ أن السند مشكوك فيه، بسبب عدم وضوح من نقل عنه الشيخ الصدوق أساساً، فكما علمت مما تقدم فإن السند هو من أسانيد كتاب الكافي، ولا وجود للرواية في الكافي أساساً، وفوق ذلك ففي سند الرواية أكثر من مجهول، ولا أقل من جهة إسماعيل بن علي القزويني، فالرجل لم يأت ذكره مطلقاً.

أما علي بن إسماعيل؛ فإن كان الميثمي، فحاله في الوثاقة معروف، وإلا فهو مجهول أيضاً.

والطريق إلى عاصم بن حميد بهذه الشاكلة غير معروف أيضاً، ولهذا لا يمكن التعويل على سند الخبر بهذه الهيئة، وفق آليات علم الرجال. وتارة أخرى نلحظ ما في متن الرواية الأولى:

وخلاصته: أن ما كتبه الشيخ الصدوق في هامش الرواية لا علاقة له بأصل الرواية، فمن الواضح أن الحديث ـ في ما سبق هذا الهامش ـ لا علاقة له بهذه القطعة[1]، ولهذا فإن الهامش؛ إما أن يكون قد حصل فيه قطع في الرواية بحيث أن ما في المقدمة بعيد عن الهامش، ولكن من دون أن يشير الراوي أو الشيخ الصدوق إلى ذلك أثناء نقله للرواية[2]، أو أن يكون من خبر ثانٍ لم يبلغنا سنده، وبالتالي فهو ضعيف بالإرسال، أو هو

---

(١) وجميع من نقل الخبر الأول لم يتعرض لهذه الحاشية أبداً.

(٢) ويقويه أن النص موجود بنفس السند ولكن برواية مختلفة عن مقدمة هذه الرواية، وهو ما سنشير إليه في محله.

شرح من عنده، أو استطراد منه، وقد وقع في هذا الموضع لسبب أو آخر؛ وبالنتيجة لا تعويل عليه، ومن الملاحظ أن هذا الاستطراد مشابه للسرد الذي عمد إليه الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) في كتاب (الإرشاد) عن علامات الظهور الشريف[1].

نعم، الرواية بحذف عبارة (من اليمن) قد وردت بعدة طرق، وبألفاظ عديدة متقاربة في العموم، وقد ورد بعضها بأسانيد صحيحة أو موثوقة، كما قد مر.

ولهذا فإن ما يمكننا تأكيده هو أن هذه العبارة الموجودة في الأساس في نسخة من نسخ (كمال الدين) وليس في جميعها، هي إضافة من النسّاخ أو ممن عملوا على تحقيق الكتاب، ولهذا نلاحظ أن كلَّ من نقل الخبر عن كتاب الشيخ الصدوق رحمه الله لم ينقل هذه العبارة أصلاً[2]، مما يجعل الإضافة متأخرة عن عهد الشيخ الصدوق رحمه الله، مما يجعلها بالنتيجة خارج إطار الاعتماد والقبول.

رابعاً: ما رواه الشيخ النعماني في غيبته، قال: علي بن الحسين، عن محمد ابن يحيى العطار، عن محمد بن حسان الرازي، عن محمد بن علي الكوفي، عن محمد بن سنان، عن عبيد بن زرارة، قال: ذُكر عند

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٦٨.

(٢) انظر: الشيخ الإربلي في كشف الغمة في معرفة الأئمة ٣: ٣٣، والشيخ الطبرسي في إعلام الورى بأعلام الهدى ٢: ٢٣٣، والشيخ المجلسي في بحار الأنوار ٥١: ٢١٨، والشيخ بهاء الدين النجفي في منتخب الأنوار المضيئة: ٣٠٨، بل حتى ممن هو قريب العهد منا كالشيخ علي اليزدي الحائري في كتاب إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب ١: ٢٦٦، والميرزا محمد تقي الأصفهاني في مكيال المكارم ١: ١١٩ ح١٤٢.

أبي عبد الله عليه السلام السفياني فقال: أنّى يخرج ذلك ولمّا يخرج كاسر عينيه بصنعاء؟![1].

وهذه الرواية قد تفرد بنقلها الشيخ النعماني (رحمة الله عليه)، وبالرغم من أنه يرويها عن الشيخ الصدوق، إلا أن الشيخ الصدوق لم يروها في كتبه الواصلة إلينا إطلاقاً.

وبالرغم من احتمال بعضهم بأنها صحيحة السند[2]، إلا أن واقع الحال يشير إلى أنها ضعيفة جداً من حيث التدقيق السندي، فمحمد بن حسان الرازي لم تثبت وثاقته، بل يشمّ من كلام الشيخ النجاشي (رضوان الله عليه) ضعفه؛ إذ يقول: محمد بن حسان الرازي: يعرف وينكر، بين بين، يروي عن الضعفاء كثيراً[3].

بل إن الضعف بيّن جداً في محمد بن علي الكوفي، وهو أبو سمينة، وفيه قال النجاشي: ضعيف جداً، فاسد الاعتقاد، لا يعتمد في شيء، وكان ورد قمّ ـ وقد اشتهر بالكذب بالكوفة ـ، ونزل على أحمد بن محمد ابن عيسى مدة، ثم تشهر بالغلو، فجُفي، وأخرجه أحمد بن محمد بن عيسى عن قم[4].

والرواية ـ في واقعها ـ لا تشير إلى اليماني لو صحّت، غاية ما تشير إليه أن رجلاً سيظهر قبل خروج السفياني يتسبب بكسر عين السفياني بصنعاء، وقد حمل بعض الباحثين هذا الكلام على أن هذا الرجل هو

---

(١) غيبة النعماني: ٢٧٧ ب١٤ ح٦٠.
(٢) عصر الظهور ـ للشيخ علي الكوراني ـ: ١٤٨.
(٣) رجال النجاشي: ٣٣٨ رقم ٩٠٣.
(٤) رجال النجاشي: ٣٣٢ رقم ٨٩٤.

اليماني، وهو تحميل للرواية لما لا تحتمل بالضرورة، ولا سيّما أنها تتحدث عن خروج كاسر العين قبل خروج السفياني، بينما تتفق الروايات الصحيحة على أن خروجهما متزامن كما سيمر بنا في روايات اليماني.

وبالنتيجة لا دلالة فيها على أن هذا (الصنعاني) هو (اليماني)، وإنما تشير إلى رجل سيتسبب بكسر عين السفياني قبل خروج السفياني، وكسر العين إما أن يكون حقيقياً أو معنوياً، والروايات تشخِّص وجود خلل في عين السفياني (أو قائد جيشه إلى العراق، ولربما هو الأصح) قبل خروجه، وبمعزل عن هذا الخلل، سواء كان مادياً أو معنوياً، فإن هذا الرجل ربما هو من سيتسبب بهذا الخلل في شخصية السفياني، وبالنتيجة لا يدلُّ على أنه اليماني، كما لا دلالة فيه على هوية هذا الرجل العقائدية، فقد يكون هذا الحدث منفك عن الوضع العقائدي الذي سيتولى السفياني مسؤوليته، ولهذا فلا مجال لعدّ الرواية في هذا الإطار، أو في الأقل لا يمكن التعويل عليها للخروج برأي قاطع.

خامساً: ما نسب للفضل بن شاذان رحمه الله في مخطوطة (مختصر إثبات الرجعة)، بروايته عن محمد بن أبي عمير (رضوان الله عليه)، قال: حدثنا جميل بن دراج، قال: حدثنا زرارة بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال: استعيذوا بالله من شر السفياني...

إلى أن يقول: أول مَن يخرج منهم رجل يقال له: أصهب بن قيس، يخرج من بلاد الجزيرة له نكاية شديدة في الناس وجور عظيم، ثم يخرج الجرهمي من بلاد الشام، ويخرج القحطاني من بلاد اليمن، ولكلٍّ واحد من هؤلاء شوكة عظيمة في ولايتهم، ويغلب على أهلها الظلم والفتنة منهم، فبينما هم كذلك يخرج السمرقندي من خراسان مع الرايات

السود، والسفياني من الوادي اليابس من أودية الشام، وهو من ولد عتبة ابن أبي سفيان. . .

إلى أن يقول: وقد يكون خروجه وخروج اليماني من اليمن مع الرايات البيض في يوم واحد، وشهر واحد، وسنة واحدة.

فأول مَن يقاتل السفياني القحطاني، فينهزم ويرجع إلى اليمن ويقتله اليماني، ثم يفر الأصهب والجرهمي بعد محاربات كثيرة من السفياني، فيتبعهما ويقهرهما، ويقهر كل من ينازعه ويحاربه إلا اليماني.

ثم يبعث السفياني جيوشاً. . .

إلى أن يقول: ثم يقصد اليماني، فينهض اليماني لدفع شره، فينهزم السفياني بعد محاربات عديدة ومقاتلات شديدة، فيتبع اليماني، فتكثر الحروب وهزيمة السفياني، فيجده اليماني في نهر اللو مع ابنه في الأسارى فيقطعهما إرباً إرباً، ثم يعيش في سلطنته فارغاً من الأعداء ثلاثين سنة، ثم يفوض الملك بابنه السعيد، ويأوي مكة وينتظر ظهور قائمنا عليه السلام حتى يتوفى! فيبقى ابنه بعد وفاة أبيه في ملكه وسلطانه قريباً من أربعين سنة، وهما يرجعان إلى الدنيا بدعاء قائمنا[1].

ونلاحظ أن هذا الخبر يتحدث عن يمنية اليماني، بشكل صريح، ولا يكتفي بذلك وإنما يحدد ملكاً له هناك، ويتحدث عن ابنه، والغريب أنه مساق بسند صحيح، ولن نناقش في سنده، فهو كما هو واضح من الأسانيد الجيدة، رغم وجود النقاش حول صحة نسبة هذه النسخة إلى

---

(١) مختصر إثبات الرجعة ـ وهو منسوب للفضل بن شاذان، وقد نشر عن نسخة للحر العاملي في مجلة تراثنا، العدد ١٥ ص٢١٥ ح١٦، بتحقيق السيد باسم الموسوي.

الفضل بن شاذان، والمحققة منشورة عن نسخة للحر العاملي (عليه رحمة الله) كتبت بخط يده على ما أشار إليه المحقق، ولكن يلحظ أن الشيخ المجلسي الذي اجتهد كثيراً في جمع المصادر الشيعية في كتابه بحار الأنوار، لم يعثر على الكتاب ولم يشر إلى أحاديثه مع شدة جهده من أجل أن يحوي كتابه على كل أخبار أهل البيت عليهم السلام.

وبرغم التقارب الزمني والاجتماعي ما بين العلمين، إلا أننا لا نجد الأمر طبيعياً، فكلا العلمين متقاربان وضمن بيئة واحدة، وقد أتعب الشيخ المجلسي نفسه من أجل تحصيل المصادر الشيعية، فلماذا لم يأت على ذكر هذا الكتاب؟! وبالرغم من إمكانية هذا من الناحية النظرية، ولكن تحتاج إلى تدقيق كبير من الناحية العملية.

كما نلاحظ أن هذا الحديث قد تفرّد به الفضل بن شاذان، ولم يذكر في أي مصدر بهذا الإسناد، وهذا مستغرب بشدة أيضاً؛ لأن العلماء لا يمكن أن يفوتهم حديث لمثل زرارة أو جميل بن دراج أو ابن أبي عمير (رضوان الله تعالى عليهم) وهم من أعلام الرواة وموثوقيهم، ولعل الإشكال هذا ستتبعه كثير من علامات الاستفهام حينما نجد بعضاً من الخبر في مصادر أهل السُنَّة دون غيرهم، تنقله عن كعب الأحبار، أحد مبتدعي الأحاديث اليمانية والمتهم بها[1].

ولكن مهما يكن حال السند، فإن ملاحظات كثيرة تدور حول محتواه ومتنه، فالمتن متناقض ـ أولاً ـ مع روايات أهل البيت (صلوات الله عليهم) في أكثر من موضع، وثانياً: فيه اضطراب وتهافت كبيرين.

---

(١) نقله في (عقد الدرر) عن محمد بن عبيد الكسائي في (قصص الأنبياء)، انظر: عقد الدرر في أخبار المنتظر: ١١٥ ليوسف بن يحيى المقدسي الشافعي السلمي.

فالخبر يشير ـ أولاً ـ إلى أن اليماني هو الذي يقتل السفياني، وهو مخالف لصريح الروايات بأن قتل السفياني سيكون على يد الإمام (روحي وأرواح العالمين له الفدا)، وقد يكون هناك سفياني آخر غير السفياني الموعود، وهو محتمل في نفسه، ولكن سياق الخبر لا يوحي بأن المقصود غير السفياني الموعود، ولا سيّما أن السفياني الذي يقترن باليماني هو الموعود تحديداً دون غيره الذي قد يخرج في وقت آخر.

ثانياً: إن الخبر يشير إلى أن اليماني لا يدرك الإمام المهدي عليه السلام، بل وابنه أيضاً، وهذا خلاف الروايات أيضاً، لأنه يخرج قبل فترة وجيزة جداً من ظهور الإمام عليه السلام، كما هو صريح الروايات.

ثالثاً: يتحدث عن ملك اليماني في اليمن وخلافة ابنه من بعده قبل ظهور الإمام عليه السلام، مع أن الروايات لا تتحدث عن ملك اليماني، ولكنها تشير إلى أن ساحة تمهيده المباشر تكون في العراق تحديداً.

ورابعاً: يلحظ أن جانباً من الخبر أقرب إلى حديث غير المعصوم (صلوات الله عليه)، ولا أقل في عبارة: (وقد يكون خروجه وخروج اليماني من اليمن مع الرايات البيض في يوم واحد وشهر واحد وسنة واحدة)، فهذه الفقرة وردت لا على نحو القطع، وإنما تقدمتها كلمة (قد)، وهذا خلاف كل الروايات التي تحدثت عن الخروج في يوم واحد وشهر واحد وسنة واحدة على سبيل القطع والجزم، لا على سبيل التردد كما يلحظ هنا.

ولهذا لا يمكن التعويل على هذا الخبر؛ والله العالم.

سادساً: ما ذكره الشيخ المجلسي في (بحار الأنوار) عن الحافظ

البرسي في كتابه (مشارق أنوار اليقين)، في رواية عن كعب بن الحارث، قال: ثم يخرج ملك من صنعاء اليمن، أبيض كالقطن، حسين أو حسن، فيذهب بخروجه غمر الفتن، فهناك يظهر مباركاً زكياً، وهادياً مهدياً، وسيداً علوياً[1].

ونظير ذلك ما رواه ابن المنادي في (الملاحم)، عن كاهن سماه بـ(سطيح)، قال: ثم يظهر رجل من اليمن، أبيض كالشطن[2]، يخرج من صنعاء وعدن، يسمى حسيناً أو حسن، يذهب الله على رأسه الفتن[3].

ومن الواضح أن الخبر لا علاقة له بأهل البيت عليهم السلام، بل هو حديث الكهنة، كما عرفه صاحب (المشارق)، وكذا عرفه صاحب (الملاحم)، ولعل المقصود بكعب بن الحارث هو كعب الأحبار، رغم أن اسم كعب الأحبار هو كعب بن ماتع الحميري، وعموماً لا تعويل عليه مطلقاً، فإن كان كعب بن الحارث شخصاً آخر غير كعب الأحبار فهو حديث كاهن مجهول، وإن كان المتحدث هو كعب الأحبار فهو كذاب معروف، والحال نفسه في الراوي الآخر، فهو في أحسن الأحوال كاهن سجّاع لا تعويل على قوله..

هذا، على الرغم من أن محتوى الخبر لا يشير إلى أن مَن يتكلم الحديث عنه هو نفس اليماني، إذ يحتمل أن يكون الحديث عن شخص آخر.

سابعاً: وفي روايات العامة المنتشرة في كتب الشيعة، ما رواه نعيم

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ١٦٣ عن مشارق أنوار اليقين للحافظ البرسي.

(٢) الشطن: الحبل، ولعله أراد أنه طويل نحيف.

(٣) الملاحم: ٥٣ ح١٠ ـ ١ للحافظ أحمد بن جعفر المعروف بابن المنادي البغدادي (ت ٣٣٦هـ)؛ تحقيق: عبد الكريم العقيلي.

ابن حماد المروزي في كتاب (الفتن)، عن سعيد أبي عثمان، عن جابر، عن أبي جعفر، قال: إذا ظهر الأبقع مع قوم ذوي أجسام فتكون بينهم ملحمة عظيمة، ثم يظهر الأخوص السفياني الملعون فيقاتلهما جميعاً، فيظهر عليهما جميعاً، ثم يسير إليهم منصور اليماني من صنعاء بجنوده، وله فورة شديدة يستقتل الناس قتل الجاهلية فيلتقي هو والأخوص، ورياتهم صفر وثيابهم ملونة، فيكون بينهما قتال شديد، ثم يظهر الأخوص السفياني عليه[1].

وما رواه نفس المروزي وبنفس الإسناد، قال: إذا ظهر السفياني على الأبقع، وعلى المنصور والكندي والترك والروم... الخبر[2].

والخبر رغم أنه ينتهي إلى أهل البيت عليهم السلام إلا أن الطريق لا يوثق به، كما أنه يتناقض ظاهراً مع رواياتهم (صلوات الله عليهم)، ولا أقل في طبيعة معركة السفياني مع اليماني، ونتائجها، ومكانها، وتفرّده في تلقيب أو تسمية اليماني بالمنصور، وكذا في القول بأنه يأتي من صنعاء، ناهيك عن وصف عين السفياني.

فالسفياني يتخلص من الأبقع وجنده في حركته الأولى قبل أن يسير إلى العراق ضمن صراعه في معركة الرايات الثلاث (ضد رايتَي الأبقع والأصهب) في الشام ـ كما هو إجماع الروايات ـ، وهي المعركة التي تحسم أوضاع بلاد الشام لصالح السفياني، وخروجه المقترن بخروج اليماني المتزامن مع الخراساني ـ كما توكد الروايات ـ، إنما يكون بعد

---

(١) كتاب الفتن: ١٦٣ لنعيم بن حماد المروزي؛ دار المعرفة ـ بيروت ٢٠٠٥م بعناية محمود حلبي.
(٢) الفتن: ١٧١.

انتهاء معركته الثانية في قرقيسيا، وظاهر بعض الروايات يشير إلى أن اليماني يقاتل جيش السفياني بشكل مباشر بعد مذبحة الكوفة التي يتسبب بها السفياني الملعون.

ولا تشير أية رواية تَذكر اليماني بأن اسمه أو لقبه أو صفته هو (منصور)، اللهم إلا هذه الرواية، وهي مما يتفرد به ابن حماد.

وفي الوقت الذي تشير روايتا ابن حماد المتقدمتان إلى قتل اليماني، نجد اليماني في رواية أخرى ـ يذكرها ابن حماد، نفسه ـ أن السفياني يتبع اليماني بعد معارك الجزيرة ومعركته مع قيس![1] وهذا إنما يحصل بعد معركة قرقيسيا.

بل في رواية أخرى يتحدث عن منصور (وهي كنية اليماني في كتاب الفتن) الموجود في الكوفة مع الإمام المهدي (صلوات الله عليه) وهما يهربان من الكوفة نتيجة لطلب السفياني إياهما! فيرتحلان إلى مكة، وعندئذ يطلبهما السفياني هناك فتبيد بجيشه الأرض! قال: فيأخذ قوماً من آل محمد، حتى يرد بهم الكوفة، ثم يخرج المهدي ومنصور من الكوفة هاربين، ويبعث السفياني في طلبهما، فإذا بلغ المهدي ومنصور مكة نزل جيش السفياني فيخسف بهم[2].

كما إن السفياني ـ هنا ـ الذي يوصف بالأخوص ـ أي صاحب العين الغائرة والصغيرة الضيقة[3] ـ يختلف عن وصفه الذي تشير إليه روايات أهل البيت (صلوات الله عليهم).

---

(١) الفتن: ١٧٠.

(٢) الفتن: ١٧٣.

(٣) تاج العروس ٩: ٢٧٧ للزبيدي؛ تحقيق علي شيري؛ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ لبنان.

نعم، ربما يقترب هذا الوصف من وصف قائدٍ لجيش السفياني من بني أمية هو الذي يوجهه إلى مكة والمدينة، اسمه خزيمة، وليس للسفياني الملعون.

فقد ورد في كتاب (سرور أهل الإيمان) للسيد علي بن عبد الكريم، بسنده إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، وكذا في (مختصر بصائر الدرجات)، في ما نقله عن السيد ابن طاووس من خطبة لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، قال ـ واللفظ للأول ـ: وخروج السفياني براية حمراء (خضراء)، أميرها رجل من بني كلب، واثني عشر ألف عنان من خيل السفياني يتوجه إلى مكة والمدينة، أميرها رجل من بني أمية يقال له: خزيمة، أطمس العين الشمال، على عينه ظَفَرة[1] غليظة[2].

تذييل: ومما يثير العجب في هذا المقام، ما اتجه إليه أحد الأفاضل الأعزة، حينما حاول أن يتخلص مما ورد في رواية مخالفةٍ لما تواتر عليه حديث أهل البيت عليهم السلام، في شأن خروج الإمام المنتظر (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف) من مكة المكرمة، وتصريح هذه الرواية بأن الإمام المهدي (صلوات الله عليه) يخرج من قرية في اليمن يقال لها: كرعة!! فقال: «وجاء في بعض الروايات عن المهدي عليه السلام أنه يخرج من اليمن من قرية يقال لها: كرعة، ولا يبعد أن يكون المقصود به اليماني الذي يبدأ أمره من هذه القرية»[3].

---

(١) كذا في نسخة البحار، ولكن في مختصر البصائر: طرفة، ولعل ما في البحار هو الأنسب، قال الجوهري في الصحاح: والظَفَرة ـ بالتحريك ـ: جُليدة تغشى العين، ناتئة من الجانب الذي يلي الأنف، على بياض العين إلى سوادها (الصحاح ٢: ٧٣٠).

(٢) سرور أهل الإيمان: ٥١، ومختصر بصائر الدرجات: ١٩٩، وبحار الأنوار ٥٢: ٢٧٣.

(٣) عصر الظهور: ٢٤٤.

واستقرب ذلك في كتاب آخر، فقال معقباً على الرواية: **فالأقرب فيه عندنا أن وزيره اليماني الذي يظهر قبله ببضعة أشهر يخرج من قرية يقال لها كرعة أو كريمة ثم من صنعاء** كما تذكر بعض الروايات[1].

والحقيقة خلاف ذلك، فالرواية التي رواها الشيخ أبو القاسم الخزاز في كتابه (كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام)[2] ضمن حديث طويل، أو ما رواه الشيخ الإربلي في (كشف الغمة) عن عبد الله ابن عمر[3]، وأخذها من بعدهما من أخذه من مؤلفينا تنطوي على ثلاث مفارقات:

فهي أولاً عامية[4]، وهذا المقطع مشار إليه في عدة من مصادر العامة[5].

والثانية: إن سندها في الأقل مجهول إن لم نقل بقدحه.

والثالثة: إنها تتحدث بشكل محدد عن الإمام المهدي (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف) دون أية إشارة لأي شخصية أخرى، فتحميلها على اليماني غير وارد أصلاً.

---

(١) معجم أحاديث الإمام المهدي(عج) ١: ٢٩٦.
(٢) كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر: ١٥٠.
(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة ٣: ٢٦٩.
(٤) وهذا ليس بقادح بالضرورة، ففي حديثنا كثيرٌ من الأحاديث التي وردت على ألسنة العامة ممن يشار إليه بالوثاقة، ومعلوم أن وضع عبد الله بن عمر في هذا المجال لا يحسد عليه بتاتاً.
(٥) الكامل في ضعفاء الرجال ٥: ٢٩٥ لابن عدي، في ترجمة عبد الوهاب بن الضحاك، وميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ٢: ٦٨٠ رقم ٥٣١٦ في ترجمة عبد الوهاب ابن همام الصنعاني.

هذا كله ناهيك عن مخالفتها الصريحة لما جاء بروايات صحيحة ومتواترة لدى الطرفين من أن الإمام (صلوات الله عليه) إنما يخرج من مكة.

* * *

المبحث الثاني: نسبة اليماني من الناحية الموضوعية

من خلال ملاحظة المعطيات التي بين أيدينا عن الظرف الموضوعي الذي سيعيشه اليماني، فإننا نستطيع أن نعضّد ما ذهبنا إليه في الأسطر السابقة من أن اليماني لا علاقة له بساحة اليمن من الناحية الميدانية، فلو لاحظنا وضع الواقع السياسي الذي يعيشه اليماني في عشية خروجه سترتسم أمامنا الصورة التالية:

أ ـ وقوع معركة طاحنة في قرقيسيا[1] ما بين جيش السفياني والجيش العراقي وجيش غريب عن العراق وُصف في بعض الروايات بأنه من الترك، وفي أخرى وصف بأنه ابن عم للترك.

وأياً ما يكن، فهناك روايات كثيرة تشير إلى وجود الروم في العراق، وفي هذه المعركة تحديداً، وهذه المعركة يشار إليها في روايات عديدة،

---

(١) مدينة سورية تقع على الفرات، وتبعد عن مركز محافظة دير الزور المعاصرة نحو ٤٠ كيلومتراً إلى الجنوب باتجاه الحدود العراقية القريبة على طريق أبو كمال، وتسمى اليوم بمدينة البصيرة، وتقع تحديداً قريباً من ملتقى نهر الخابور بنهر الفرات، وتتوسط الطريق بين مدينتي الميادين ودير الزور، وتقابل محافظة الأنبار العراقية إلى الشمال الغربي من مدينة القائم الحدودية، وهي بالنتيجة ليست قريبة نسبياً من الحدود التركية العراقية كما أشار إلى ذلك الفاضل صاحب كتاب المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٤٦٩، وقد وَهِم بعضهم بأنها كركوك، ولعل الوهم ناشىء من اسمها القديم كركيسيوم.

منها ما رواه الشيخ الكليني، بسنده إلى محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة، عن أبيه، عن ميسر، عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث وهو يتحدث عن قرقيسيا ـ، قال: أما إنه سيكون بها وقعة لم يكن مثلها منذ خلق الله تبارك وتعالى السماوات والأرض، ولا يكون مثلها ما دامت السماوات والأرض، مأدبة للطير، تشبع منها سباع الأرض وطيور السماء[1].

ب ـ وجود دولة عراقية ضعيفة، يؤدي إنكسار جيشها في قرقيسيا إلى اجتياح جيوش السفياني والخراساني لها من خارجها.

جـ ـ وجود دولة في الحجاز وبلاد الحرمين تشكو من الضعف الشديد بحيث يكون فيها الحكم مضطرباً، مع صراعات عديدة داخل مؤسسات الحكم، ولكن مع وجود قاعدة كبيرة من النواصب فيها بالشكل الذي سيؤدي إلى قتل النفس الزكية قبل ظهور الإمام (عجَّل الله فرجه) بخمسة عشر يوماً، ثم تستعين بالسفياني للقضاء على الإمام (روحي فداه) حال خروجه، فيحصل الخسف بجيش السفياني المرسل لذلك، ثم تعمل على قتل وكلاء الإمام لثلاث مرات، بعد أن يتركها الإمام (عجَّل الله فرجه) ويتجه إلى العراق.

د ـ اجتياح جيش الخراساني للعراق من جهة البصرة، وجيش الحسني (وهو غير صاحب النفس الزكية الذي يقتل بين الركن والمقام) من موضع آخر كما تشير إلى ذلك بعض الروايات.

هـ ـ لا توجد أية إشارة مهمة إلى وجود حراك أمني أو سياسي ذي

---

(١) الكافي ٨: ٢٩٥ ح٤٥١.

دلالة في اليمن، في الروايات الواردة عن أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وهناك بعض الإشارات في روايات عامية، ولكنها لا تعبّر عما يمكن أن يؤشر إلى تحرك محوري وجوهري في هذه المنطقة، وهذا لا يعني عدم وجود الناصر هناك، ولكننا نتحدث عن الحركة المؤثرة لجماعة الناصرين الممهّدين[1].

عندئذ يمكن القول بأن نظام الدولة في المنطقة بصورتها المعاصرة ذات الحدود والسيادة يُعمل به آنذاك، مما يجعل إمكانية أن يكون جيش اليماني مقبلاً من حدود اليمن؛ لكن ينطبق عليه وصف: (كفر سَي رهان) مع السفياني، كما أفادت الروايات التي سلفت الإشارة إليها، أمراً مستغرباً جداً، فنحن نتحدث عن حركة خروج ثلاثية للسفياني والخراساني واليماني باتجاه الكوفة وما تمثله، في يوم واحد، وكأن هذه الحركة بمنزلة ساعة صفر واحدة، تبدأ بمجرد حركة السفياني، كما يبرز من حديث الخروج الثلاثي لهذه الرايات في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، ومثل هذا الظرف لا بُدّ أن يستبطن أموراً ثلاثة أساسية بالنسبة لليماني:

---

(١) وما أشار إليه بعض الأفاضل بأن هذا الحراك ـ وإن لم تشر الروايات إلى وجوده ـ إلا أن ذلك لا ينفيه؛ لأن من الطبيعي أن يكون لهم التأثير الأساس ليس في اليمن فحسب وإنما في الحجاز والخليج، وقد قال ذلك بعد أن عدّ ما وصفه بثورة اليمانيين الإسلامية قد وردت في روايات متعددة عن أهل البيت عليهم السلام، ووصف بعضها بأنها صحيحة السند، وقد خلط بين روايات اليماني، وبين اليمانيين أو اليمنيين، مما أوقعه في هذا الوهم؛ لأنه ـ كما عرفت ـ لا توجد رواية واحدة عن أهل البيت عليهم السلام تتحدث عن اليمنيين، لا صحيحة ولا غيرها، ومن الطبيعي أن هذا الأمر مبني على التفريق بين اليماني واليمنيين، وبالتالي فإن كل كلامه مردود، لكونه سالب بانتفاء الموضوع.

أولها: إن موضوع العراق حيوي وساخن جداً لدى اليماني، وهو ما يعني المعايشة اليومية لما يجري في العراق.

ثانيها: إن طريق الوصول بجيشه إلى العراق يتم بسرعة كبيرة حتى يمكن أن ينطبق عليه مصطلح (فرس الرهان، المقابل للخراساني والسفياني).

ثالثها: إنه يعرف بتفصيل الشأن العراقي، بحيث يتنادى بجيشه للاشتراك الحيوي والجوهري في موضوع العراق.

وهذه كلها تستدعي واحداً من احتمالين:

الأول: إما أن يكون إقبال اليماني من خارج العراق بجيشه وما يحتاجه من وسائل وآليات الدعم اللوجستي التي تجعل الجيش بحاجة إلى خلفية جغرافية واسعة النطاق مرتبطة بأماكن الدعم اللوجستي، ولا سيّما أن القتال الموصوف في معارك ذلك الزمن يحتاج بطبيعته إلى وسائل إمداد وإدامة للعملية القتالية بصورة قد تفوق ما يحتاجه الآن.

فعندئذ سنتساءل: من أي حدود سيرد إلى العراق؟! وكيف يؤمّن خطوط الوصل المطلوبة للدعم اللوجستي، التي تعني ـ حكماً ـ وجود قواعد إمداد وإدامة؟! ذلك لأن الحدود السعودية مع العراق لن تكون صالحة، بدليل وجود دولة مناهضة له حكماً، والحدود مع الأردن وسوريا ستكون تحت وصاية السفياني، ومن الواضح أن هذا الاحتمال لا وجود لإمكانية تصوره.

وأؤكد هنا على ما أشرنا إليه سابقاً، بأن حديثنا هنا لا ينظر إلى

الأمور بمنظار اليوم، وإنما بمنظار ما أشارت إليه روايات الظهور وما قبله لمعطيات الواقع السياسي الموضوعي.

على أننا لا بُدّ أن نشير إلى أن الروايات الشريفة بالرغم من تحدثها عن مكان إقبال السفياني وإقبال الخراساني إلى الكوفة، إلا أنها سكتت بشكل تام عن المكان الذي يتحرك اليماني منه.

وهذا يفضي إلى أحد أمرين:

أما إلى كتمان الأمر، فلماذا ـ إذاً ـ يتحدث بعضهم عن كونه من اليمن ناسباً ذلك إلى رواياتهم (صلوات الله عليهم)؟!

أو أن اليماني موجود في العراق أساساً، بحيث لا يحتاج إلى تعيين موضع حركته في ما هو موجود فيه أساساً، وكلمات (الإقبال) و(التحرك) و(السير) الواردة في نصوص الروايات ستختص ـ عندئذ ـ بكونه إقبال وسير وتحرك باتجاه السفياني لمقاتلته.

الثاني: أن يكون إقبال خيل اليماني من داخل العراق، ولكنها لم تتجمع قبل تلك الساعة بالصورة التي تكون قابلة لإطلاق وصف الجيش عليها، مع وجود شأنية وموقعية خاصة لليماني في وسط شيعة العراق على المستوى السياسي والأمني والاجتماعي والديني، تؤهله لتجميع القوة والعدة والعدد في حال التأزم السياسي والأمني، ثم تتجمع خيله في أجواء التسخين الذي تشهده جبهة قرقيسيا والتهديدات المنطلقة من احتمالات مجيء السفياني الملعون إلى العراق، وتنطلق لمجابهة السفياني، ولكنه يسبقها إلى الكوفة ربما نتيجة لانشغالها بمعارك عديدة مع جيوبه وأعوانه في بغداد وغيرها.

والمعطيات هنا بأجمعها تؤكد ذلك؛ إذ لا يعقل كل هذا الدور المصيري الذي سيلعبه العراق في حركة الإمام المنتظر (روحي فداه) كما تشير الروايات، ولا يكون في شيعة العراق من يمهّد للإمام (بأبي وأمي) في خضمّ هذه المعركة المصيرية، أو من يتصدى لأعداء الإمام (صلوات الله عليه)، كالسفياني اللعين، بحيث إن الشعب العراقي ـ مع كل حيويته وعشقه للإمام (روحي فداه) وحماسه لذلك ـ يبقى يتكّل على جيوش خارجية لتغيثه!! مع العلم بأن كثيراً من أصحاب الإمام (روحي فداه) هم من شيعة العراق، إن لم تكن الغالبية منهم[1].

ثم إن راية الحسني هي راية عراقية على ما يبدو، ولها جاه سياسي كبير، إلا أن الروايات تشير إلى أنها تعمل ضمن إطار راية الخراساني، أو قريباً منها، أو لا تتناقض أو تتعارض معها؛ ولهذا لم يُشَر إليها بأنها راية محتومة، واكتفى الناصُّ المقدّس بالإشارة إليها ضمن إشارته إلى حركة الخراساني، كما يظهر ذلك من بعض الروايات.

* * *

المبحث الثالث: الدلالات اللغوية للقب اليماني

اعتاد المتابعون لقضية اليماني أن يحملوا اللقب على بلاد اليمن، ومن هنا نشأت شبهة أن اليماني من اليمن، فقد يكون ذلك صحيحاً، وقد لا يكون؛ لاحتمال أن يكون المراد بلفظ اليماني معنى آخر غير المعنى

---

(١) هذا المطلب مستند إلى الروايات التي ذكرت أصحاب الإمام المنتظر (روحي فداه) الثلاثمئة والثلاثة عشر وأماكنهم.

المكاني، مما يجعل الحمل على المعنى المكاني هو من الأخطاء الشائعة.

وبعد أن عرفنا أن الحديث عن يمنية اليماني، بمعنى أن اليماني من اليمن، هو أمر لم يرد في روايات أهل البيت عليهم السلام على الأظهر، وإنما هو من مرويات العامة، ولا يمكن التعويل عليه؛ لهذا فإن إغلاق الباب على محامل اللفظ المتعددة الأخرى، يكون من تعسّف التحقيق، والدقّة تقتضي متابعة كل الاحتمالات الواردة في هذا المجال، ولا سيّما أن الانصراف الذهني المعاصر للكلمة، لا يقتضي بالضرورة نفس الانصراف الذهني الذي كان في زمن وضع اللقب، أي في زمن صدور النص، بل ربما نلحظ أن الانصراف الذهني آنذاك لا يتشابه في الغالب مع ما تنصرف الأذهان إليه اليوم؛ فلا تغفل!

والمرادفات اللغوية للّفظ عديدة، على أننا سنلحظ أن إثبات أحدها لا ينفي الآخر، فقد ينطبق اللفظ بمرادفات عدة على شخص واحد.

هذا، وقد ورد في كتب اللغة عدة من التعريفات..

وأولها ـ بطبيعة الحال ـ هو النسبة إلى اليمن، ولربما تساعد رواية (طالب الحق) على أن الانصراف إلى هذا المعنى في زمن تلك الرواية يشير إلى المكان، فقد سأل هشام بن سالم الجواليقي (رضوان الله تعالى عليه) الإمام الصادق عليه السلام عن أحوال طالب الحق حينما خرج في اليمن، وقال له: أترجو أن يكون هذا اليماني؟... الخ[1].

---

(١) أمالي الطوسي: ٦٦١ ح١٣٧٥.

وهنا نشير، وفقاً للحمل على أن دلالة اللقب مأخوذة من المكان وتعود إليه، إلى الأمور التالية:

أولاً: إن كونه من اليمن لا يستلزم أن يكون الخروج من اليمن، ولا يستلزم أن تكون ساحته الممهدة هي اليمن، فقد يكون هو من اليمن، ولكن لسبب أو لآخر يعمل خارجها، نتيجة لظروف القسوة الأمنية أو المعيشية أو العقائدية أو ما شاكل ذلك، فينصهر في موقعها آخر، ويحمل راية الخروج في ذلك الموقع، وهذا ما تقوّيه الروايات، اللهم إلا روايات العامة، التي لا تشير إلى جهود استثنائية للساحة اليمنية في الحركة الممهدة للإمام (روحي وأرواح العالمين له الفدا)، بل ربما تنعدم الإشارات لهذه الساحة في زمن التمهيد المباشر.

ثانياً: إن كونه من اليمن لا يقتضي الانحصار الزماني، بل قد يكون ممن هاجر لسبب أو لآخر قبل مدة ـ طالت أو قصرت ـ من اليمن، أو دعونا نقول: بأنه أصله قد يكون من اليمن، دون أن يكون له أي ارتباط بالساحة اليمنية في زمن الخروج.

ويقوّي هذا الرأي كثرة العشائر اليمنية التي هاجرت إلى شمال اليمن واستوطنت في بلدان عديدة، كالعراق وبلاد الشام وبلدان الخليج وجنوب إيران الغربية، فكيف من عشائر جنوب العراق ووسطه وجنوب لبنان وإيران على سبيل المثال يمنية الأصل، وقد هاجرت ضمن موجات هجرة العشائر اليمنية في سالف التاريخ إبان الفتوحات وما بعدها، وبالنتيجة يمكن لأحد أبنائها أن يكون هو المعني، ولربما هذا هو أقوى الاحتمالات، وهو ينسجم مع كون اهتمام الرجل منصبّاً على العراق كما يظهر من الروايات الشريفة.

وثانيها: يحمل اللفظ على كل من له صفة اليُمن والبركة في عمله وسلوكه ووجوده، وبالنتيجة يُحمل اللقب على صفة أعمال الرجل، لا على انتمائه الجغرافي، ولذلك فإن لقبه الأساس قد يكون بعيداً عن هذا اللفظ، ولكن لكثرة اليُمن والموفقية في عمله يشار إليه باليماني في الروايات.

وهذه الإشارة قد تكون خاصة بقائل النص، فيكون هو من يطلقها على صفة أعماله، ولا علاقة لها بإطلاق الناس عليه مثل هذا الوصف، وقد يكون له من المحبوبية في قلوب الناس نتيجة لجهوده في نصرة قضاياهم وحمله مسؤوليةَ الدفاع عنهم، مما يجعله ميموناً في أنظارهم، من دون أن يطلق عليه هذا اللقب من قبلهم، وإنما حينما يتكلمون عن شخصيته أو أعماله يصفونها بأنها ميمونة.

وهذا بطبيعة الحال لا يتناقض مع ما ورد في أول الاحتمالات، ويمكن الجمع بينهما، لأن مثل هذه الصفات يمكن أن يجمعها ـ أيضاً ـ رجل يماني الأصل.

وثالثها: يطلق اللفظ أيضاً على كل من كان له أثر في اليمين، المقابل لليسار والشمال، كأن يكون يمانياً في يده في مقابل الأعسر الذي يستخدم شماله، أو يمانياً في قدمه أو يده لأثر فيهما لأي سبب، وهذا هو الآخر لا يتناقض مع أول الاحتمالات وثانيهما ويمكن الجمع فيما بينها.

ورابعها: قد يطلق اللقب على أصحاب الأيادي البيضاء الكريمة في تعاملهم مع الناس، وهو ليس ببعيد عن المعنى الثاني.

وخامسها: يمكن إطلاق هذا اللقب لأي سبب يحصل في حينه، أو قيل ذلك، كأن يكون لقبه (اليماني) لسبب أو لآخر من أسباب الدنيا

المعتادة، من دون وجود أية صلة له باليمن، وبعد ذلك يعمم اللقب عليه، وهذا الأمر وارد، فالناس تتلقب بحادثه، أو بكتاب[1]، أو بواقعة معينة[2].

وسادسها: لا توجد ضرورة عقلية في حصر إطلاق اللقب قبل خروج الرجل؛ إذ يمكن أن يكون التلقيب يأتي متأخراً عن خروج الرجل، فقد يكون لقبه مختلفاً تماماً قبل ذلك، وقد لا يعرف هو أنه هو المعني بهذا اللقب، ولكن الناس حينما ترى فعله، أو يرى هو فعله، فيلقب بذلك، وهذا شائع وكثير.

على أي حال، يمكن لهذه الاحتمالات كلاً أو جزءاً أن تكون هي سبب التلقيب، مع تأكيدنا على أن هذا التلقيب، قد لا يكون له وجود في العالم الخارجي، وإنما هو لفظ أطلقه صاحب النص لواحد من الأسباب المذكورة، من دون ضرورة أن يتلقّب به الرجل قبل ظهور الإمام (روحي فداه).

على أنه يمكن القول بأن الإمام (صلوات الله عليه) قد يكشف عن هوية الرجل بعد ظهوره، ويشير إليه بأنه هو اليماني الذي ورد ذكره في روايات آبائه وأجداده (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين).

---

(١) لُقبت عائلتا الجواهري وكاشف الغطاء في النجف الأشرف ـ على سبيل المثال ـ نسبة لمؤلف كتاب (جواهر الكلام) وكتاب (كشف الغطاء)، لجدهم الأعلى، وكثير من العوائل على هذا المنوال.

(٢) كمثال: فإن لقب مؤلف الكتاب يعود لحادثة علمية وقعت في مضيف الشيخ صيهود شيخ عشيرة (ألبو محمد) في العمارة، مع الجد الثاني للمؤلف، وهو المقدس الشيخ علي الصغير (قدس سره)، ملخصها أنه أجاب عن قضية علمية بحضور أحد كبار العلماء الذي لم يستحضر الجواب حينها، فأجاب عنها معترضاً على الشيخ صيهود بأن مثل هذه الأسئلة البسيطة يسأل عنها طالب صغير مثله، فالتفت الشيخ صيهود إلى مغزى كلامه، فلقّب من تلك الحادثة بلقب (الصغير)، وإلا فعشيرة الكاتب هي (آل جويبر)، وهم من أفخاذ عشائر قبيلة (بني خاقان) الحميرية، المستوطنة في سوق الشيوخ.

ولهذا، فإن التعويل على سبب واحد وإلغاء بقية الأسباب قد ينطوي على إجحاف كبير للحقيقة؛ فتأمّل!

وقد يُشكل بعضهم فيقول: إن عدم وجود اللقب حين وقوع الحدث ربما لا يكشف عن أن الحدث المذكور هو المطلوب، لكي يدلّ على شخص الإمام (بأبي وأمي)، وأنه هو هذا؛ وبالتالي ينتفي أحد أسباب جعله أحد العلامات الحتمية؟!

وهذا الإشكال مع وجاهته إلا أن التدليل على هذا الحدث لا يقتصر على هذا اللقب، فمعركة كمعركة قرقيسيا مع ما سيصاحبها من إشارات كثيرة، كانحسار الفرات وجفافه في فترة معينة، واضطراب الشام قبلها، ومعركة الرايات الثلاث من بعد هذا الاضطراب، وإقبال جيش السفياني إلى العراق، وإقبال جيش الخراساني إليه، ونزول الترك أو أبناء عمهم في الجزيرة (وهي المنطقة الجنوبية والغربية للموصل) قبل ذلك، فضلاً عن علامات وشرائط كثيرة وصفت بأنها كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، كلها ستكون حاضرة لتدلّ على اليماني، بالشكل الذي لا يجعل عدم التلقيب بهذا اللقب مانعاً من هذه الدلالة.

على أي حال، فإن هذا ما بلغ إليه جهدنا القاصر من العلم، وقد بذلنا ما استطعنا من أجل أن نكوّن صورة تتسم بالدقة العلمية في التعامل مع هذه القضية الحساسة.

ويبقى أملي وطيداً بالقراء الأعزة، وقبلهم بالباحثين، أن لا يستسلموا بتلقائية لما يلقى إليهم، ولا سيّما في مسائل من هذا القبيل؛ فإنني بذلت ما في وسعي في تحري الحق، ولا أدّعي لنفسي العصمة؛ نسأل الله أن يعيننا على السداد والصواب.

الفصل الثالث

منهاج التحرك لدى آليماني

تمهيد

أوضحت الروايات الشريفة ـ التي أسلفنا ذكرها عن اليماني ـ معالم المنهج الذي سيعتمده اليماني في تحركه للتمهيد للإمام المهدي (عجَّل الله تعالى فرجه)، وقد لاحظنا من قبل أن الروايات لم تتحدث عن شخص اليماني بقدر تركّز الحديث فيها على منهجه، في الوقت الذي لاحظنا عكس ذلك حين تحدثت عن بقية الرايات، فلقد تحدثت عن الاسم، وتحدثت أيضاً عن مواصفات شخصية[1]، ولكنها لم تول المسمّى والمحتوى شيئاً كثيراً يُذكَر.

ولعل كونه (**أهدى الرايات**) هو السرّ في هذا الأمر، فالمهم هو هدى

---

(١) كما هو الحال في حديث الروايات الشريفة عن شعيب بن صالح أو الخراساني مثلاً، فالخراساني على سبيل المثال يوصف بأنه شاب من بني هاشم في يده اليمنى خال، وأمثال هذه الأمور التي تركّز على شخصه، لا على منهجه، وهذا يعود لأسباب لا تقلل من قيمة الخراساني بالتأكيد بالمنظور العام، وإنما يعود قسم منها إلى طريقة التعامل مع ظروف الجانب الأمني لكلا الشخصيتين؛ ففيما أراد للأول أن يكون بمنأى عن الخطر بسبب ظروف برنامجه ومحيطه الأمني، لم نلحظ هذا القلق في الثاني؛ لاعتبارات تعود فيما يبدو إلى قلة الخطر المحدق به قياساً بالأول.
إلا أن نفس التركيز على المنهج يعطي للمنهج أهميته الخاصة بالنظر إلى كونه أهدى الرايات؛ لأن هذا المنهج سيكون هو أحسن السبل لعشّاق الإمام المهدي (صلوات الله عليه) في ساحة اليماني المكانية والزمانية لكي يسلكوه.

الراية، وحتى يكون المرء في موضع أهدى الرايات؛ عليه أن يتفحّص محتوى الراية لا رجالها فقط، فالحق لا يعرف بالرجال، بل الرجال يعرفون بمحتواهم وبما تقترب فيه شخصياتهم من مواقف الحق، وفقاً لما قاله أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) للحارث الهمداني؛ «يا حار إنه ملبوس عليك، إن الحق لا يُعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله».

والحديث عن منهج اليماني في التحرك للتمهيد للإمام (روحي فداه) على جانب كبير من الخطورة والأهمية، فليس المهم بالنسبة للمنتظر ـ بكسر الظاء ـ أن يلتقي أو يتعرف على اليماني، فهذا ليس من تكليفه، فقد يلتقيه وقد لا يلتقيه، فإن الغالب في مسائل اللقاء والشوق إليه والسعي إليه قبل حيان وقته يرتبط بالهوى النفسي أكثر من أي شيء آخر، ولكن المهم الذي يجب أن يلتفت إليه هو منهج اليماني في التعامل مع القضايا المختلفة في ساحة الانتظار؛ لأن هذا المنهج يمثل **(أهدى الرايات)**، وبالنتيجة فإن البحث عن التكليف العام في قضية التمهيد للإمام (صلوات الله عليه) يتمحور في اكتشاف هذا المنهج، ولا سيّما بالنسبة إلى من يعيش في الساحة المرتقبة لليماني؛ فلا تغفل!

وملاحظتنا المركزية هنا، هي أن رجلاً متديناً كاليماني الموعود نفترض به أنه يلتزم بالحد الأدنى أو ما هو أزيد منه من التدين، ولهذا فإن التدين ـ وفق مقتضيات مذهب أهل البيت عليهم السلام ـ هو أحد معالم حركته الأساسية المفروغ عنها.

ولهذا، فإننا لن ننشغل هنا باستعراض ذلك، ولكن سنحاول أن نشخّص التفاصيل التي سيلتزم بها اليماني، باعتبار أن الأشخاص قد يتشابهون في الخطوط العامة، وتَميُّزهم إنما يكون في التفاصيل والخطوط

الخاصة، بمعنى أننا لن نجد له ميزة في ولائه لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مثلاً، لأن مثل هذا الولاء سيدعيه كثيرون، ولكننا سنبحث في تفاصيل ونوعية هذا الولاء وما يميزه عن غيره في هذه الأمور.

ووفق حديث القرآن يمكن لنا أن نتلمس هذه القاعدة بوضوح، فالطلب من الأعراب أن لا يقولوا أنهم آمنوا والمطالبة لهم بأن يقولوا أنهم أسلموا، لأن الجميع آنذاك يتحدثون عن إيمانهم بالله الواحد، وشهادتهم برسالية الرسول (صلوات الله عليه وآله)، ولكن الفرز القرآني كان في معايير الإيمان ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾[1].

ولهذا، وجدنا أن محور الإيمان ظل يزداد تعقيداً كلما تقدمت مسيرة المؤمنين، ففي زمن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان بابَ الإيمان؛ الإيمانُ بإمامته، وفي زمن الإمام الحسن عليه السلام لم يبقَ هذا الشرط، وإنما كان الإيمان بإمامة الإمام الحسن (صلوات الله عليه) هو العنوان لهذه البوابة، وهكذا لبقية الأئمة (صلوات الله عليهم)، بالشكل الذي جعلنا نسمي من آمن بالإمام الكاظم فمَن قبله (عليهم السلام أجمعين) ولم يؤمنوا بإمامة الإمام الرضا عليه السلام بأنهم واقفة وليسوا بمؤمنين.

وعليه: فإن هذه القاعدة هي التي تجعلنا نفرغ عن المعايير العامة للتدين في شخصية اليماني الموعود، لنحاول الكشف عن ميزاته التفصيلية التي بموجبها يختلف المؤمنون عن بعضهم، وهو أمر مفيد أيضاً في قطع الطريق أمام ادعاءات الكذابين والدجالين؛ فتنبّه!!

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

وبإمكاننا أن نتلمس خلال الروايات معالمَ منهج اليماني وفق ما تحدثنا عنه؛ إذ يمكن تأطير هذه المعالم ضمن ما يلي:

المبحث الأول: المحور العقائدي

مرت بنا روايتان، واحدة تتحدث عن أن اليماني يتولى علياً (صلوات الله عليه)، والأخرى كونه يدعو إلى الإمام المنتظر (عجَّل الله فرجه)، ومع وضوح الأولى في المجال العقائدي، فإن الرواية الثانية تبرز عمق البعد العقائدي لدى اليماني؛ لأنه يدمج ـ هنا ـ ما بين الإطار الفكري للعقيدة، وما بين تجلياتها العملية في زمن الانتظار، المتمثلة بالدعوة للإمام (روحي فداه).

وإذ يتم تشخيص راية اليماني بأنها أهدى الرايات، فإن من المناسب أن نحاول أن نتلمس المحتوى العقائدي الذي يريده أئمة أهل البيت (عليهم صلوات الله وسلامه) لشيعتهم المنتظرين أن يحملوه من أفكار وما يتبنونه من قضايا المعتقد، التي نعتقد أن اليماني سيركّز عليها ما دام تركيزه العقائدي منصباً على الدعوة للإمام المهدي (صلوات الله عليه).

علاوة على الذخيرة العقائدية التي انطوت عليها أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام، فإن الإمام المنتظر عليه السلام ـ كما هو دأب بقية الأئمة عليهم السلام ـ قد أكّد على الالتزام بجملة من المضامين العقائدية للثقافة الشعبية عبر عدد من التوصيات[1]، والتي قد تطرح في صورتها المبسّطة للناس التي تسهل عليهم التقاط معينها، ولكن هذه البساطة حينما تطرح مضامينها في

---

(١) يمكن لنا أن نتابعها في دعاء الافتتاح، أو الزيارة الجامعة، أو زيارة عاشوراء، أو ما شاكل من الأمور التي ركّز الإمام المنتظر (عجَّل الله فرجه) على الطلب من الشيعة أن يهتموا بها في زمن الغيبة.

الأبحاث المعمّقة للعلماء فإنها قد تحتاج لجهد ومشقة خاصَّين لكي يستطيع العالم أن يسبر أغوارها.

وهذا هو منهج أهل البيت عليهم السلام، الذين يتكلمون بلغة مبسطة دونما تعقيد وبقدر ما يمكن لمستمعهم وسائلهم ومن يخاطبونه أن يستفيده منهم، ولكنها تفتح آفاقاً واسعة لمن يريد الغوص في هذه المعاني، وهو ما يوضحه قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»[1].

وأستطيع أن أؤكد من خلال الروايات الخاصة بالإمام (روحي فداه) جملة من الأمور التي أراد الإمام (بأبي وأمي) التركيز عليها، ناهيك عن البنية العقائدية العامة للتشيع؛ ومن هذه الأمور:

أ ـ الاعتماد المطلق على الله سبحانه وتعالى، وحسن الاتكال عليه، وحسن الظن به، والإيمان بالقضاء والقدر، بالشكل الذي يطلق الإرادة الإنسانية ويحررها من كل الأوثان والأصنام الفكرية والاجتماعية والسياسية، التي يمكن أن تستفيد منها السياسة الطاغوتية ـ بشكليها الإرهابي والإغرائي ـ لتكبيل الإرادة الإنسانية، أو توجيهها إلى الوجهة الضالة، بعيداً عن الأهداف الربانية التي أعدّت للإنسان، وفي نفس الوقت يوجّه هذه الإرادة إلى طبيعة ما تريده العملية الربانية من الإنسان، لكي يكون عوناً لحمل مسؤولية الأمانة الربانية.

وهذا ما يتجلى في مساحة عريضة ـ مثلاً ـ من دعاء الافتتاح المنسوب للإمام المهدي (روحي فداه)، ففي ثلث الدعاء الأول نلاحظ ضمن

---

(١) الكافي ١: ٢٣ ح١٥.

الأسلوب الرائع الذي يستخدمه الإمام المهدي (صلوات الله عليه) في تعرية الواقع الإنساني المفتقر في كل شيء إلى الله تعالى، لكنه الصلف المتجرىء على الله تعالى، واللئيم في التعامل معه، بالرغم من كل أفضال الله عليه ونعمه، ليضع هذه التعرية الموحشة أمام حقائق حسن الظن بالله والاتكال عليه والاعتماد عليه، ضمن صورة يبرز فيها جمال الله تعالى وجلاله وكماله وإحسانه إلى الإنسان[1]، ومنه قوله (صلوات الله عليه):

اللهم إن عفوك عن ذنبي، وتجاوزك عن خطيئتي، وصفحك عن ظلمي، وسترك على قبيح عملي، وحلمك عن

---

(١) إن هذا الأمر لو أُخذ ضمن السياقات المعتادة للتربية الإمامية للأمة، لتمكن المرء من ملاحظة هذا الأمر بدقة كبيرة، ولتبين له بوضوح حرص الأئمة (صلوات الله عليهم) على إحلال هذه المفاهيم داخل الشخصية المتدينة.

فالإنسان المؤمن الإمامي مدعو ـ على سبيل المثال ـ كل ليلة جمعة لقراءة دعاء كميل، وهذا الدعاء الذي يمثل واحداً من أروع الأدعية التي تجسد الوحدانية الخالصة لله تعالى، ينطوي على المعاني التي أشرنا إليها آنفاً بشكل واضح في النصف الأول من الدعاء.

وهذا الإنسان لديه رحلة يومية مع أدعية الصحيفة السجادية، ولو بقي في أدعية الأيام أو رحل إلى عالم المناجاة لوجد كماً هائلاً من الشد الروحي والعقائدي بنفس المضامين أعلاه.

وفي أيام المناسبات الخاصة ـ كليلة القدر وأعمال السحر في شهر رمضان ويوم عرفة وأمثال هذه الأيام ـ التي تتركز فيها عملية الشد والجذب الروحي، نلاحظ أن الأدعية التي هُيِّئَت لهذه المناسبات قد تصمنت نفس هذه المحاور، كما هو الحال في دعاء الجوشن الكبير ودعاء أبي حمزة الثمالي ودعاء الإمامين الحسين وزين العابدين عليهما السلام في يوم عرفة ودعاء السحر ومناجاة أمير المؤمنين عليه السلام وغيرها من عشرات الأدعية التي استهدفت أساساً ـ وبلغة روحانية خاصة تتملك شغاف القلوب ـ تحرير الإرادة الإنسانية من القيود الإغرائية والإرهابية، وتخليص إنسان هذه الإرادة من الاستعباد الذي ينجر نتيجة لهذه القيود، وتأطير عملية التحرير هذه بالإطار الذي يضمن سلامة الاتجاه بعد الانعتاق.

وهذا الأمر سنتوفر عليه بجهد أكبر في دراسة لاحقة إن شاء الله.

كثير جرمي ـ عندما كان من خطئي وعمدي ـ أطمعني في أن أسألك ما لا أستوجبه منك الذي رزقتني من رحمتك وأريتني من قدرتك، وعرّفتني من إجابتك، فصرت أدعوك آمناً، وأسألك مستأنساً، لا خائفاً ولا وجلاً، مدلاً عليك في ما قصدت فيه إليك، فإن أبطأ عني عتبت بجهلي عليك، ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور، فلم أر مولىً كريماً أصبر على عبد لئيم منك علَيّ!!

يا رب إنك تدعوني فأولّي عنك، وتتحبّب إلي فأتبغض إليك، وتتودّد إليّ فلا أقبل منك، كأن لي التطوّل عليك، فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي والإحسان إلي والتفضّل علَيَّ بجودك وكرمك... إلخ[1].

وهذا المحور إنما يتوخى تحرر الإرادة الإنسانية من أسار العبودية لغير الله؛ فمن شأن ذلك أن يحرر الإنسان من الخوف من كل ما يمكن للطاغوت أن يثيره أمامه، كما أنه يمنع الإنسان من أن يطغى في تعامله مع الآخرين، ويعطيه كثيراً من القوة والزخم الروحي والمعنوي في الساحة العملية، التي تنتظره فيها استحقاقات غاية في الخطورة والابتلاءات والمعاناة والآلام، التي تشير إليها عشرات من الروايات التي تحدثت عما سيجري في أيام التمهيد وما قبله.

ونحن نفترض أن اليماني سيركّز على هذا المحور في بناء المجموعة

---

(١) للتفصيل يمكن الرجوع إلى أحاديثنا في شرح دعاء الافتتاح في جامع براثا، وهي موجودة صوتياً في موقع الجامع على الإنترنيت، ولعلنا نوفق لطبعها عما قريب.

التي يريدها أن تتخطى حواجز الإرهاب الذي سيسلّط على منتظري الإمام (بأبي وأمي) لكي تمهّد لظهور الإمام (عجّل الله تعالى فرجه).

ب ـ الإيمان المطلق بإمامة أهل البيت عليهم السلام، معرفةً وولاءً وبراءةً..

فيبرز لنا حرص الإمام على تسمية معصومي أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام واحداً واحداً في دعاء الافتتاح..

والحث على البراءة من أعدائهم، بالصورة التي يبرزها تأكيده على زيارة عاشوراء الشديد في هذا المجال[1]..

والسعي لتوضيح حقائق هذا الإيمان وتفاصيله الدقيقة، بالصورة التي تبرز في الزيارة الجامعة[2]..

والبراءة مِن كل من ينقص أيَّ حقٍّ لأهل البيت عليهم السلام، بالشكل الذي تبينه طبيعة التحدّث عن أن الإمام (صلوات الله عليه) حينما سيقدم إلى العراق ـ مثلاً ـ سيقتل أعداداً كبيرة من البترية[3] الذين ينقصون حق أهل البيت عليهم السلام ويبترونه.

فقد ورد في الحديث: «ويسير إلى الكوفة، فيخرج منها ستة عشر ألفاً

---

(١) من الواضح لمن يقرأ زيارة عاشوراء الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام حجم التركيز فيها على البراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام وبيعة الوضوح فيه.

(٢) في الرؤيا المشهورة للحاج علي البغدادي، التي يذكرها الشيخ عباس القمي في (مفاتيح الجنان) يبرز لنا تأكيد الإمام المنتظر (روحي فداه) على أهمية الزيارة الجامعة وزيارة عاشوراء.

(٣) البترية: فرقة من الزيدية كانت ترى الحق في علي عليه السلام، ولكنها كانت تتجه لتصحيح موقف ما عمد إليه غامطي حقه نتيجة لغض نظره عنهم، وما في الرواية لا يشير إلى هؤلاء قطعاً، لعدم وجودهم في العراق، ولكن يبدو أن المقصود بذلك من يعتقد بالتشيع العام، ولكنهم يخالفون في خصوصيات المذهب، وما أكثرهم!

من البترية، شاكِين في السلاح، قراء القرآن، فقهاء في الدين، قد قرّحوا جباههم، وشمّروا ثيابهم، وعمّهم النفاق، وكلهم يقولون: يابن فاطمة! ارجع، لا حاجة لنا فيك؛ فيضع السيف فيهم»[1].

أقول: إنّ مثل هذا الحرص والتركيز من قبل الإمام (روحي فداه) لا بُدّ أن يبرز نمطاً واضحاً من البناء العقائدي المطلوب من قبل الإمام عليه السلام، ولهذا فإن من الطبيعي جداً أن يتبنى اليماني مثل هذه الخطوط بحذافيرها دون الاكتفاء بالعموميات، ويلتزم بها، ويلزم خيله بها؛ لأن العموميات العقائدية لن تكون مميزة للخلّص من أصحاب الإمام المنتظر (روحي فداه) عمّن سواهم، بدليل أن الإمام سيتخذ موقفاً شديداً تجاه كثيرٍ ممن ينتسب للشيعة، كما تتحدث عن ذلك الروايات الشريفة.

جـ ـ كثُر في الروايات الشريفة أن الإمام المهدي (صلوات الله عليه) سيبادر حال ظهوره إلى فتح ملف مظلومية الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) ضمن تفاصيل عديدة، ككشف حقيقة ما جرى على الزهراء (صلوات الله عليها)، وموضع قبرها، وبقية التفاصيل المتعلقة بكل ما جرى عليها (بأبي وأمي).

وهنا لا بُدّ أن يلتفت المهدويون إلى حقيقة أن أولويات الإمام المهدي عليه السلام يجب أن تمثل لهم محاور أساسية في أي منهج يتخذونه للتمهيد للإمام (صلوات الله عليه).

وحينما تكون لقضية الزهراء (صلوات الله عليها) أولوية خاصة، بالشكل الذي نراه (بأبي وأمي) يثيرها في باكورة أعماله بعد الظهور، رغم

---

(١) دلائل الإمامة: ٤٥٦ ح٤٣٥.

قدم القضية الزماني، بل إن بعض الروايات قد أشارت إلى أن أول ما يبدأ به (صلوات الله عليه) هو فتح ملف مظلومية الصدِّيقة الزهراء (بأبي وأمي) وإثارته أمام العالم[1]، فإنها تثير في النفوس تساؤلات جمّة حول موضع هذه القضية تحديداً في المحور العقائدي للمنتظرين.

فمن الطبيعي أن يلحظ المنتظر أن إعطاء هذه المسألة جانبها الحيوي المتميز في الأولويات الأولى لإمام غاب كل هذه الفترة، وجاء لكي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، لا بُدّ أن ينطوي على أهمية خاصة لملف مظلومية الصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها) في بناء شخصية المنتظرين، ولا بُدّ أن يبرز حقيقة أهمية هذا الملف في بناء الأسس العقائدية التي ستقوم عليها الأمة المنقذة للعالم، التي ستضطلع بمهمة اتّباعه في معركة إسقاط الظلم والجور والقضاء عليه.

وأحسب أن الإمام المنتظَر (روحي فداه) سيسير بالأمر على وفق ما سار به منهج أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) في تعامله مع موضوع الصديّقة الشهيدة، الزهراء البتول (صلوات الله عليها)، فالمنهج في خطوطه العامة ضمن محورين، يرتكز أولهما على إثارة الفجيعة على الزهراء البتول، وثانيهما فضح ما جرى في قضية الزهراء.

ولعل هذين المحورين هما ما يُستخلص من كلام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الموجّه إلى رسول الله ﷺ يوم أن يدَفن الصدّيقة الشهيدة (بأبي وأمي)؛ إذ يقول في حديث ينقله الكليني، باسناده إلى الحسين بن علي عليه السلام:

قد استُرجعت الوديعة، وأُخِذت الرهينة، واُختُلِست الزهراء، فما

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٣٨٦ ح٢٠٠.

أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله، **أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فمسهّد، وهمٌّ لا يبرح من قلبي، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمد مقيّح، وهمٌّ مهيّج**، سرعان ما فرّق بيننا، وإلى الله أشكو، **وستنبئك ابنتك بتضافر أمّتك على هضمها، فأحفها السؤال**[1]، وٱستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً . . .

إلى أن يقول عليه السلام:

ولأعولتُ[2] **إعوال الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تُدفن ابنتك سراً، وتهضم حقها، وتمنع إرثها، ولم يتباعد العهد، ولم يخلق منك الذِّكر**[3].

ويبدو أن الإمام (روحي فداه) يجد أن من واجبه إبراز ما لم تجد الزهراء (بأبي وأمي) مجالاً لبثّ ما يعتمل في صدرها من لواعج الألم والغضب على ما جرى عليها، وأن يجيب عن الأسئلة الكثيرة التي بقيت بلا أجوبة في شأن الاعتداءالذي جرى على مقامها، التي بموجبها طلب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من الرسول الأكرم (بأبي وأمي) أن يحفي بأسئلته ابنته الحبيبة عما جرى عليها.

ومن نافل القول بأن الإمام (صلوات الله عليه) حينما يثير هذا الأمر فهو ليس بصدد إبلاغ الرسول (صلوات الله عليه وآله) بما لا يعرف، وإنما هو إبلاغ للأمة بأن عظيماً قد جرى على الزهراء الصدّيقة (صلوات الله عليها) لم يكشف نقابه في أوانه، مما يستفزها لتعرف حقيقة ما جرى، فلا تغفل!!

---

(١) حفى بالسؤال وأحفى إذا ما ألح في المساءلة.

(٢) من العويل، وهو البكاء مع الصراخ.

(٣) الكافي: ١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩ كتاب الحجة ب١٧٢ ح٣.

وعليه: فممّا لا شك فيه أن اليماني سيرصد ذلك بشكل بديهي لحركته العقائدية، ليجعل من قضية الزهراء (صلوات الله عليها) وقضاياها الأساسية محوراً أساسياً في بناء تحركه العقائدي، يتميّز به عن عامة الناس، ويميّز خيله بذلك.

د ـ يُبرز الإمام (صلوات الله عليه) اهتماماً بالغاً وعظيماً بقضية الإمام الحسين عليه السلام وفجيعته، ولعل ما سطّره الإمام المهدي (عجّل الله فرجه) في الزيارة المعروفة بـ(زيارة الناحية)، هو أحد سمات ما يريده الإمام (أرواحنا فداه) من خاصة شيعته أن يتبنّوه ويلتزموا به عقائدياً ووجدانياً، وهو ما ينفعنا في تلمُّس ما يمكن القطع به بأن اليماني لا يمكن له أن يغفل مثل هذا التبني والالتزام، ولا سيّما أن الإمام المنتظر (روحي فداه) قد حرص على إبراز وإظهار عميق فجيعته بالإمام الحسين عليه السلام عبر زيارة الناحية المقدسة.

وهذا الحرص علاوة على حقيقة فجيعة الإمام المهدي (بأبي وأمي) بجدّه الإمام الحسين (صلوات الله عليه)، إلا أنه في نفس الوقت أراد أن يصل هذا الحرص إلى شيعته ومتبعيه، ليؤكد رغبة الإمام عليه السلام بالتزام شيعته بهذا المنهج في التعامل مع القضية الحسينية، ويبرز هنا موقفه بشكل جلي في عديد من نصوص الزيارة:

فلأندبنك صباحاً ومساءً، ولأبكين عليك بدل الدموع دماً، حسرة عليك، وتأسفاً على ما دهاك وتلهفاً، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتئاب[1].

---

(١) المزار: ٥٠١ للشيخ محمد بن المشهدي (ت٦١٠) مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ١٤١٩هـ.

وقال عليه السلام:

حتى نكسوك عن جوادك فهويت إلى الأرض جريحاً، تطأك الخيول بحوافرها، وتعلوك الطغاة ببواترها، قد رشح للموت جبينك، وٱختلفت بالانقباض والانبساط شمالك ويمينك، تدير طرفاً خفياً إلى رحلك وبيتك، وقد شغلت بنفسك عن ولدك وأهاليك، وأسرع فرسك شارداً، إلى خيامك قاصداً، محمحماً باكياً، فلما رأين النساء جوادك مخزياً، ونظرن سرجك عليه ملوياً، برزن من الخدور، ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات، للوجوه سافرات[1]، وبالعويل داعيات، وبعد العز مذللات، وإلى مصرعك مبادرات، والشمر جالس على صدرك، مولع بسيفه على نحرك، قابض على شيبتك بيده، ذابح لك بمهنده، قد سكنت حواسك وخفيت أنفاسك، ورفع على القنا رأسك، وسبي أهلك كالعبيد وصفّدوا في الحديد، فوق أقتاب المطيّات،

---

(١) حاول أحد أدعياء الضلال أن يستغل هذه العبارة لكي يطعن بكل الزيارة ويجردها من النسبة إلى الإمام (بأبي وأمي)، ثم ليسقطها في نظر الناس بالقول بأن خروج النساء ناشرات الشعور لا يعقل، لمحل الحرمة هنا، وكأن المشهد لا يفسر إلا بهذه الطريقة، في الوقت الذي كان بالإمكان ـ وبسهولة ـ القول بأن هذا الخروج إن أريد به أنهن تخلين عن الحجاب فيمكن أن يكون في محل لا يراهن راءٍ من الأجانب كما لو كان في خيمة الإمام الحسين (بأبي وأمي) أو خيمة الصديقة الحوراء زينب عليها السلام، أو موضع الليل حيث كان العسكر قد ابتعد من مخيم النساء.
أو يمكن تفسير الكلام على ظاهره، فيكون نشر الشعر على الخد دون إبرازه إلى العلن، ففي العادة لا تنشر النساء شعورهنَّ على الخد، وإنما يوضع بطريقة وأخرى خلف الرأس أعلى الرقبة أو يضفر على شكل ضفائر، وحلّ الضفائر يؤدّي إلى نشر الشعر.

تلفح وجوههم حر الهاجرات، يساقون في البراري والفلوات، أيديهم مغلولة إلى الأعناق، يطاف بهم في الأسواق، فالويل للعصاة الفسّاق، لقد قتلوا بقتلك الإسلام، وعطّلوا الصلاة والصيام، ونقضوا السنن والأحكام. . .

إلى أن يقول:

فقام ناعيك عند قبر جدك الرسول ﷺ، فنعاك إليه بالدمع الهطول، قائلاً: يا رسول الله قتل سبطك وفتاك، وٱستبيح أهلك وحماك، وسبيت بعدك ذراريك، ووقع المحذور بعترتك وذويك، فانزعج الرسول، وبكى قلبه المهول، وعزّاه بك الملائكة والأنبياء، وفجعت بك أمك الزهراء، وٱختلفت جنود الملائكة المقربين، تعزي أباك أمير المؤمنين، وأقيمت لك المآتم في أعلى علّيين، ولطمت عليك الحور العين، وبكت السماء وسكانها، والجنان وخزانها[1].

ووفق هذا المنهج يمكن لنا أن نتلمس أن الإمام (صلوات الله عليه) بهذه الطريقة من استعراض الموضوع ـ لم يك مجرد مستعرِض لقضية تاريخية، ولم يك في مهمة المؤرخ السارد لموضوع تاريخي بحت، وإنما كان يضع عصارة قلبه ـ لو صح التعبير بعواطفه وأحاسيسه وما يختزنه من غضب وألم وحزن أمام متبعيه، ولا يمكن هنا تصور أن الإمام (صلوات الله عليه) لم يقصد التأثير الوجداني والفكري على من يقرأ هذه النصوص، بل يمكن ملاحظة ثلاثة خطوط رئيسة:

---

(١) المزار: ٥٠٦.

فهو يثبت أولاً ضرورة إدامة الذكرى الحسينية، ووَضْعُ هذا السرد، وبهذا الوصف، وهو من النمط النادر في الزيارات[1] التي أعدّت للأئمة (صلوات الله عليهم)، واضح الدلالة في ما أشرنا إليه، ولكن الإمام (صلوات الله عليه) ووفقاً لنهج أجداده الطاهرين (عليهم صلوات الله) لا يكتفي بعملية إدامة الذكرى في البعد القصصي لها، وإنما يعمد إلى قرن الإثارة الوجدانية مع إدامة الذكرى، ولعل تعبيرات الإثارة الوجدانية هنا كافية الدلالة.

وقد تعمّد الإمام الصادق عليه السلام مثلاً بأن لا يكتفي بإثارة الذكرى فقط، وإنما إدخال الوسائل والآليات التي من شأنها أن تليّن المشاعر وتثريها، ففي رواية أبي هارون المكفوف (رضوان الله عليه)، قال: يا أبا هارون! أنشدني في الحسين عليه السلام؛ فأنشدته؛ فقال: أنشدني كما تنشدون ـ يعني بالرقة ـ! قال: فأنشدته:

أمرر على جدث[2] الحسين فقل لأعظمه الزكيّة

فبكى، ثم قال: زدني... الخبر[3].

ولنا في قوله (بأبي وأمي): لأبكين عليك بدل الدموع دماً... إلى آخره، ما يمكن أن يدلنا على محور ثالث تعمّده أهل البيت عليهم السلام بأجمعهم، وهو جدُّهم في تحويل القضية الحسينية إلى ظاهرة اجتماعية

---

(١) باعتبار أن نصوص الزيارات في العادة لا تتطرق إلى التوثيق التاريخي لما جرى على الشخصية موضوع الزيارة، ولعل زيارة الناحية هي الوحيدة التي استخدم فيها المعصوم عليه السلام نصوص التوثيق التاريخي مع ألفاظ الزيارة المعتادة وأغراضها، متجاوزاً ذلك المعتاد، بل وضع النص التاريخي في أجواء تلهب عواطف وأفكار المتابع لهذا النص.

(٢) الجدث: القبر.

(٣) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ١٤: ٥٩٥ ح١٩٨٨٧.

عامة، وعدم الاكتفاء بأن تكون مسألة ذاتية للتعامل مع قضية الحسين (صلوات الله عليه)، وذلك من خلال أساليب متعددة، ربما أشار الإمام المنتظر (عجَّل الله تعالى فرجه) في قوله هذا إلى أحدها، وهو استخدام وسائل الإثارة الوجدانية في التأثير بالمشهد الاجتماعي، فهو وإن عبّر عن عظيم جزعه في هذا النص.

ولكن لماذا يطرح هذا الجزع وبهذه الطريقة أمام الأمة؟!

ولماذا لا يكتفي بممارسته ذاتياً دون جعله نصاً يسير مع الإمام والأمكنة المختلفة؟!

ومن الواضح أن الإمام (روحي فداه) له قصدية وهدفية خاصة في هذا المجال، وبمتابعة بقية أقوال الأئمة (صلوات الله عليهم) نلحظ أن الأئمة لم يشترطوا نمطاً محدداً من وسائل التأثير، وإنما أطلقوا مبدأ الجزع على الحسين (صلوات الله عليه)، وتركوا للأمة خيارات إبراز الجزع، وهذا تشخيص دقيق وحكيم لطبيعة حرية الأمم، فالأمم تختلف في وسائل تعبيرها عن أفراحها، وأحزانها، وتختلف في طبيعة الإثارات وانعكاساتها على الوجدان، فهناك أمم لها طبيعة وجدانية متَّقدة تمارسها عبر البكاء وما هو أشدّ منه، وهناك أمم لها طبيعة وجدانية تتحرك بعيداً عن الانفعال والحماس.

وفي قول الإمام (روحي فداه) هذا يمكن أن نشاهد تطابقاً منهجياً مع جملة من الأفعال التي بدرت من الأئمة (صلوات الله عليهم)، فالإمام هنا يتحدّث عن تجريح المآقي بدلاً من تركها مبتلة بالدموع، وهذا المشهد لا بُدّ له من تعبير خارجي، فالإمام (صلوات الله عليه)، وهي سيرة الأئمة

(صلوات الله عليهم) كذلك، بل حتى مع سيرة الأنبياء (عليهم صلوات الله)، كما هو الحال في قصة بكاء يعقوب وأيوب (صلوات الله على نبينا وآله وعليهما)، ليس في صدد تعبير مجازي لمحاولة التعبير عن الجزع.

ومن يلحظ الحالة التي كان عليها الإمام السجاد (صلوات الله عليه)، فإنها تشير إلى أنه بكى على الإمام الحسين (صلوات الله عليه) بطريقة كان لا يقدّم إليه طعام أو شراب إلا وخلطه بدموع عينيه، لأنه يتذكر جوع وعطش الحسين (بأبي وأمي)، حتى قال له مولىً له (ولعله أبو حمزة الثمالي)، بعد أن رأى أنه ما وضع بين يديه طعاماً إلا بكى على الحسين (بأبي وأمي): «جعلت فداك يابن رسول الله! إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، فقال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعملون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة[1].

وقال له مرة: يا مولاي يا علي بن الحسين! أماآن لحزنك أن ينقضي؟! فرفع رأسه إليه وقال: ويحك! إن يعقوب النبي عليه السلام كان له اثنا عشر ابناً، فغيّب اللهُ عنه واحداً منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه، وشابَ رأسُه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حياً في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين، فكيف ينقضي حزني؟!»[2].

أقول: من يلحظ هذه الحالة يتيقن أن الأمر يتجاوز مسألة الجزع الذاتي والحزن الشخصي إلى محاولة تعميمه على الأمة، لكي يتحول إلى ظاهرة اجتماعية وممارسة جماعية، وهذا ما تدل عليه أحاديث كثيرة

---

(١) كامل الزيارات: ٢١٣ ب٣٥ ح٣٠٦

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤: ١٧٩ ـ ١٨٠.

وردت عن الأئمة عليهم السلام؛ إذ ينقل أبو حمزة الثمالي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليهما السلام، فإنه مأجور»[1].

وفي حديث آخر للإمام الصادق، وهو يقول لمسمع بن عبد الملك كردين البصري: «إن الموجِعَ قلبه لنا، لَيفرح يوم يرانا عند موته فرحةً لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض»[2].

إن هذا النهج سيفرض سطوته على البنية العقائدية والوجدانية لجيش اليماني، وبموجبه سيتعامل إيجابياً مع كل أنماط إثارة الفجيعة على الإمام الحسين عليه السلام وفي كل الاتجاهات، وسيأتي المزيد من ذلك في حديثنا عن المحور الوجداني والمعنوي.

هـ ـ لو لاحظنا جملة من أحاديث أهل البيت عليهم السلام بما فيها حديث الإمام المهدي (صلوات الله عليه)، عن شخص الإمام نفسه، نجد ما هو أكثر من التعظيم والتمجيد، هو الحرص على إقامة رابطة خاصة وعلقة متميزة بين متبع نهجهم والإمام (روحي فداه).

ففي الحديث المروي عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه)، عن سدير الصيرفي، قال؛ «دخلت أنا والمفضّل بن عمر وداود بن كثير الرقّي وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا الصادق عليه السلام فرأيناه جالساً على التراب، وعليه مِسح[3] خيبري مطرف بلا جيب، مقصّر الكمّين، وهو يبكي بكاء الوالهة الثكلى ذات الكبد الحرّى، قد نال الحزن من وجنتيه،

---

(١) كامل الزيارات: ٢٠١ ب٣٢ ح٢٨٦.
(٢) كامل الزيارات: ٢٠٤ ب٣٢ ح٢٩١.
(٣) المسح: كساء من الشعر.

وشاع التغيّر في عارضيه، وأبلى الدمع محجريه، وهو يقول: سيدي! غيبتك نفت رقادي، وضيّقت علّيّ مهادي، وأبتزّت مني راحة فؤادي.

سيدي! غيبتك أوصلت مصائبي بفجائع الأبد، وفقد الواحد بعد الواحد بفناء الجمع والعدد، فما أحس بدمعة ترقأ من عيني، وأنين يفشأ[1] من صدري.

قال سدير: فاستطارت عقولنا وَلَهاً، وتصدعت قلوبنا جزعاً من ذلك الخطب الهائل والحادث الغائل[2]، فظننا أنه سمت لمكروهة قارعة[3]، أو حلّت به من الدهر بائقة[4]، فقلنا: لا أبكي الله عينيك يابن خير الورى، من أية حادثة تستذرف دمعتك، وتستمطر عبرتك؟! وأية حالة حتمت عليك هذا المأتم؟!

قال: فزفر الصادق عليه السلام زفرة انتفخ منها جوفه، واشتد منها خوفه، فقال: ويلكم[5] إني نظرت صبيحة هذا اليوم في كتاب الجفر المشتمل على علم البلايا والمنايا، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، الذي خصّ الله تقدّس اسمه به محمداً والأئمة من بعده عليهم السلام، وتأملت فيه مولد قائمنا عليه السلام وغيبته، وإبطاءه، وطول عمره، وبلوى المؤمنين [من] بعده في ذلك الزمان، وتولد الشكوك في قلوب الشيعة من طول غيبته، وارتداد أكثرهم عن دينه، وخلعهم رقبة الإسلام من أعناقهم التي قال الله عزَّ

---

(١) يفشأ: ينتشر.
(٢) الغائل والغائلة: الداهية.
(٣) سمت لمكروهة: أشار إليها.
(٤) البائقة: الداهية.
(٥) ويكم وويحكم بمعنى واحد، إلا أن الأولى مصغرة للثانية.

وجلَّ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾[1] يعني: الولاية، فأخذتني الرقّة، واستولت عليّ الأحزان»[2].

وهذه العاطفة التي توصف بالعشق أكثر من أي وصف آخر، وتتقد بصور مختلفة، لم يفتعلها الإمام الصادق (صلوات الله عليه)، بل تجد كثيراً منها ومن تعابيرها في حديث أجداده الطاهرين عليهم السلام، لتعبّر عن منهجهم في إنشاء عاطفة ذاتية تجاه الإمام (روحي فداه) بمعزل عن ظهوره أو عدمه، فهي موضوع مستقل بذاته رغم ارتباطه بكل المواضيع الأخرى.

فها هو الرسول الأكرم (صلوات الله عليه وآله) حينما يتحدث عن الإمام المنتظر (روحي فداه) فإنه يقول: بأبي وأمي سمّيي وشبيهي، وشبيه موسى بن عمران[3].

فإنه صلى الله عليه وآله لا يتحدث من فراغ، وإنما يتحدث عن رسم منهج للتعامل الذاتي مع الإمام المنتظر (فدته نفسي).

وحينما نراقب حركة الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في تعامله مع الإمام المنتظر (روحي فداه)، نتلمس نفس هذا الأمر، فها هو يقول عنه (صلوات الله عليه): «اللهم فاجعل بعثه خروجاً من الغمة، واجمع به شمل الأمة... إلى أن يطلق نفثة شوق من قلبه ويقول: هاه ـ وأومأ بيده إلى صدره ـ شوقاً إلى رؤيته»[4].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٣.

(٢) غيبة الطوسي: ١٦٧ ـ ١٦٩ ح١٢٩، وكمال الدين وتمام النعمة: ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ب٣٣ ح٥٠ بفارق طبفيف.

(٣) كفاية الأثر: ١٥٨.

(٤) غيبة النعماني: ٢٢٢ ب١٣ ح١.

وترى الإمام الباقر (صلوات الله عليه) على نفس المنوال، فحين يتحدث عن بعض ناصري الإمام (روحي فداه) يقول: «أمّا إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»[1].

وهو الأمر الذي سار من بعده أولاد الإمام الصادق (عليه وعليهم السلام)، فها هو الإمام الكاظم (صلوات الله عليه) يقول: «بأبي المنبدح البطن، المقرون الحاجبين، أحمش القدمين...

إلى أن يقول: بأبي من ليله يرعى النجوم ساجداً وراكعاً، بأبي من لا يأخذه في الله لومة لائم، مصباح الدجى، بأبي القائم بأمر الله»[2].

وبنفس السياق نجد هذه العاطفة الملتهبة والمتأججة في دعاء الندبة كما في قوله عليه السلام:

ليت شعري أين استقرّت بك النّوى، بل أيّ أرض تقلّك أو ثرى، أبرضوى أو غيرها أم ذي طوى، عزيزٌ علَيَّ أن أرى الخلق ولا تُرى، ولا أسمع لك حسيساً ولا نجوى، عزيزٌ علَيَّ أن (لا تحيط بي دونك) تحيط بك دوني البلوى، ولا ينالك منّي ضجيجٌ ولا شكوى، بنفسي أنت من مغيّبٍ لم يخل منّا، بنفسي أنت من نازحٍ ما نزح عنّا، بنفسي أنت أمنيّة شائقٍ يتمنّى، من مؤمن ومؤمنةٍ ذكرا فحنّا، بنفسي أنت من عقيد عزٍّ لا يُسامى، بنفسي أنت من أثيل مجدٍ لا يجارى، بنفسي أنت من تلاد نِعَمٍ لا تضاهى، بنفسي أنت من نصيف

---

(١) غيبة النعماني: ٢٨٢ ب١٤ ح٥٠.
(٢) فلاح السائل: ٢٠٠.

شرف لا يساوى، إلى متى أحار فيك يا مولاي وإلى متى، وأيّ خطابٍ أصف فيك وأيّ نجوى، عزيزٌ علَيَّ أن أجاب دونك وأناغى، عزيزٌ علَيَّ أن أبكيك ويخذلك الورى، عزيزٌ علَيَّ أن يجري عليك دونهم ما جرى، هل من مُعينٍ فأطيل معه العويل والبكاء، هل من جزوعٍ فأساعد جزعه إذا خلا، هل قذيت عينٌ فساعدتها عيني على القذى، هل إليك يابن أحمد سبيلٌ فتلقى، هل يتّصل يومنا منك بعدةٍ فنحظى، متى نرد مناهلك الرويّة فنروى، متى ننتقع من عذب مائل فقد طال الصدى، متى نغاديك ونراوحك فنقرّ عيناً (فتقر عيوننا)، متى ترانا وتراك وقد نشرت لواء النصر ترى، أترانا نحفّ بك وأنت تامّ الملا، وقد ملأت الأرض عدلاً، وأذقت أعداءك هواناً وعقاباً، وأبرت العتاة وجحدة الحقّ، وقطعت دابر المتكبّرين، واُجتثثت أصول الظالمين، ونحن نقول الحمد لله ربّ العالمين.

ونظير هذه المواقف كثير، وهي وإن أخذت منحى الدعاء والموقف العاطفي، إلا أن وجهها الآخر مرتبط بجانب عقائدي، يراد منه تركيز آثاره العملية في المحتوى الداخلي للمنتظرين، ومنه يراد إنشاء علقة خاصة مع الإمام (عجَّل الله تعالى فرجه)، حتى يكون هو القيمة الأعظم في الوجود بالنسبة لمريديه، وهي القيمة التي لو تحقق لوجدنا كلام الإمام الصادق (صلوات الله عليه) عن خدمته للإمام المنتظر (روحي فداه): «لو أدركته لخدمته أيامَ حياتي»[1]، ليعطينا خلاصة المطلوب، وهذا ما يمكن

---

(١) غيبة النعماني: ٢٥٢ ب١٣ ح٤٦.

لنا أن نتأمل من خلاله طبيعة التثقيف النظري والعملي الذي سيعمد إليه اليماني الموعود لجنده وخيله في هذا المجال.

و ـ ونعتقد أن اليماني لن يفوّت ما طرحه الإمام المنتظر (روحي فداه) في شأن المرجعية الشرعية في غيبة الإمام (صلوات الله عليه)، فهذا مبحث جوهري، وخط لا يمكن له أن يتخلف عنه، فكونه من أهل الدين لا بُدّ أن يفتش عن غطاء شرعي لعملية وعمل من يتحرك معه، ولهذا لن يغفل الموقف الجاد والملتزم مع المرجعية الدينية، ولهذا فمن المحتّم أنه سيضع الحديث الشريف الوارد في توقيع الإمام المنتظر (بأبي وأمي)، الذي يرويه الشيخ محمد بن عثمان العمري (رضوان الله تعالى عليه): «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا. فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم»[1] نصب عينيه بكل استحقاقاته وبكل ما يترتب عليه.

وهذا الحديث الذي لا يمكن لكل مهدوي أن يغفله أو يتهاون في شأنه، سيكون حجر الزاوية في طبيعة المنهج العقائدي والفكري الذي سيلتزم به اليماني ويلزم به جيشه وجنده، ولهذا لا بُدّ أن نجد اليماني لصيقاً في بنية المرجعية الدينية.

ولهذا، فهو إما من أهل الشأنية العلمية العالية بحيث توصله إلى مقام المرجعية، وهو مما لا نجد عليه دليلاً قوياً في الروايات الواردة بحقه؛ لأنه لا يشار إلى العلم المعتاد تحصيله لنيل مقام المرجعية في مجال الفقاهة ومستلزماتها في هذه الروايات، بالرغم من أن حديث الإمام (صلوات الله عليه) عن مواصفاته في مجال دعوته إلى الحق يبرز أن العلم

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٤ ب٤٥ ح٤، وغيبة الطوسي: ٢٩١ ح٢٤٧.

الذي لديه يكون علماً صافياً يمكن الركون إليه، فقد أشار إلى أنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فإن هذا الأمر لا يرتبط بالضرورة بمهمة الفقاهة وأدوات استنباط الأحكام الشرعية، بل يمكن أن يتوفر من خلال تقواه وحرصه على دين الناس، ومن خلال أمانته الفقهية، ولهذا فقد يكون تابعاً وفياً للمرجعية الدينية التي تمثل الخط الهادي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، مع تأمينه حالة العلم الإجمالي الذي يتطلبه هذا الاتّباع الوفي.

وما يبدو من خلال مجمل المواصفات، هو أن يتوفر لدى اليماني أساس صافٍ ومتين في البنيان العقائدي، بالشكل الذي يجعله لا يدعو إلا إلى صراط مستقيم، مع ذوبان كامل في عشق الإمام (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف)، حتى إنه لا يدعو إلا إليه.

ولهذا، فإن احتمال كونه متّبعاً وفياً للمرجعية هو الذي يرجّح في هذا المجال، بل هو الضروري هنا؛ لأن الالتزام بالمرجعية ليس عملاً تَرَفِياً، بل هو عين الالتزام بنهج الإمام (عجَّل الله تعالى فرجه)، حتى يكون حديث الإمام المتقدم عن وجوب نصرته وعدم الالتواء عليه مستمد من التبعية والطاعة للمرجعية، سواء كان هو مرجعاً، أم كان متّبعاً، فإن تصرفاته في كل الأحوال لا تخرج عن طوع المرجعية الدينية الهادية، وفي ذلك تفصيل قد نعود إليه إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني: المحور الوجداني والمعنوي

إن ما أشرنا إليه آنفاً من الالتزامات العقائدية لليماني الموعود ستضفي بلا شك بظلالها على الدور العملي، وعلى الواقع الوجداني

والمعنوي لليماني الموعود وخيله، ولهذا فإن المحتوى الوجداني والمعنوي الذي سيُعنى به اليماني لجيشه وقاعدته الشعبية سيتمحور على أحقية أهل البيت عليهم السلام، ومظلوميتهم، ومظلومية شيعتهم، وكيفية الالتزام بأحقيّتهم.

وسيدفع هذا البعد الصالح بالأوضاع الوجدانية لمن يخاطبهم إلى درجتها العالية، بحيث يكون حقّ أهل البيت (صلوات الله عليهم) هو المبتغى دون غيره، وفي هذا الصدد لعل هذا العبد الصالح سيركز على قضية الزهراء الشهيدة والإمام الحسين والإمام المنتظر (صلوات الله عليهم)، بحكم كونهم المحاور الرئيسية في تعبئة القاعدة الجماهيرية، ولا سيَّما أن التجربة السابقة كشفت له عن عظمة الإمكانات المتاحة في هاتين القضيتين لغرض تعبئة الأمة، فما سيعمل على تركيز الإطار التعبوي من خلال الدفع بقاعدته نحو الالتزام بالمرجعية، ولعل هذه هي إحدى مرتكزات الهداية في رايته.

فتعبئته للأمة لا تعتمد ـ حسب الظاهر ـ على معايير وطنية أو جغرافية أو قومية أو ما شاكل، وإنما تقوم تعبئته للجماهير على معايير الهداية نفسها، متخذاً من حقّ ومظلومية أهل البيت (بأبي وأمي) وشيعتهم محوراً أساسياً لذلك، وحتى لو اعتمد ظاهراً على تلك المعايير لعدم مخالفتها للشرع الشريف، فإنه يتخذها سبيلاً إلى معايير الهداية المشار إليها.

وهنا نلفت الإنتباه إلى أن قضية الإمام (روحي فداه) حينما تلعب فيها التعبئة دوراً أساسياً، وحين تحتاج التعبئة إلى الحيوية المطلوبة التي تبقي قضية الانتظار حاضرة دائماً في قلب الأمة، ومطلوبة دائماً من قبل المظلومين، في وسط تواجه فيه قواعدُ الانتظار ابتلاءاتٍ سياسية وأمنية

في غاية الشدة كما وصفتها عشرات الروايات الشريفة[1]، فإنها ـ ومما لا ريب ـ ستكون بحاجة إلى آليات تبقي فيها جذوة الأمل لدى هذه القواعد حية من ناحية، وتشعل فيها مشاعل الغضب من ناحية ثانية، وتوجهها نحو الهدف المطلوب من ناحية ثالثة..

وفي الوقت ذاته لا تدفع الأمة بشكل متقحّم، عشوائي متهور، في صراع مع الظالمين في وقت لا تتمكن فيه من حسم الصراع لصالح الأمة، بالشكل الذي يمكن معه القضاء على هذه القواعد، أو حرق إمكاناتها وطاقاتها واُستنزافها قبل حيان القطاف، ولا سيّما أنّ واحدة من الأساليب التي استخدمها أعداء أهل البيت (صلوات الله عليهم)، ونبّه أئمة أهل البيت عليهم السلام عليها كثيراً، هي محاولة هؤلاء الأعداء جرّ هذه

---

(١) آثار أهل البيت (صلوات الله عليهم) في عدد غير قليل من الروايات مسألة ما يلحق المؤمنين من أنواع الابتلاءات الشديدة والمصائب العظيمة، مما يجعل كل واحد منهم يضع في حسبانه أن يقع له ذلك، ولكن هذا الحال بما يفترض من انعكاسات سلبية على بعض مما سيقع فيه، يحتاج إلى تلك الآليات التي طرحناها في المتن، بالشكل الذي يجعل وطأة هذه الابتلاءات ليست بالثقل الذي لا يتمكن المؤمن من أن يحتويه أو يجاريه.
ومن جملة هذه الروايات الشريفة، ما نقله عبد الله بن أبي يعفور عن الإمام الصادق (سلام الله عليه) قال: «لا بُدّ للناس من أن يمحّصوا ويميّزوا ويغربلوا، ويخرج مع الغربال خلق كثير». (غيبة النعماني: ٢١٢ ب١٢ ح٧).
وما رواه أبو بصير عن الإمام الباقر (صلوات الله عليه)، أنه قال: «والله لتميّزنّ، والله لتمحّصنّ، والله لتغربلنّ كما يغربل الزؤان من القمح». (غيبة النعماني: ٢١٣ ب١٢ ح٨)، والزؤان حب ينبت مع القمح وهو ليس منه.
وقول الباقر من آل محمد (عليه وعليهم السلام): «لتمحصّنّ يا شيعة آل محمد تمحيص الكحل في العين، وإن صاحب العين يدري متى يقع الكحل في عينه، ولا يعلم متى يخرج منها، وكذلك يصبح الرجل على شريعة من أمرنا، ويمسي وقد خرج منها، ويمسي على شريعة من أمرنا، ويصبح وقد خرج منها». (غيبة النعماني: ٢١٤ ب١٢ ح١٢.

القواعد إلى معركة خاسرة، أو توريطها بما من شأنه أن يصبّ نقمة مبررة أو ما يمكن تبريره من السلطان عليهم.

ولهذا، فإن هذه الآليات يجب أن تكون فيها من مزايا العفوية والاسترسال والبساطة[1] بصورةٍ من شأنها أن تجعل شأن محاربتها من قبل أعداء المنتظِرين يكبّدهم خسائر تعبوية كبيرة؛ لأنهم سيدخلون في معركة ليس من الصعب على الأمة إدراك مغازيها ومآربها، مما يجعل الأمة أكفأ في إدارة المعركة لصالحها، أو في الأقل لن تخدع الأمة في رؤية عدوها الحقيقي، مما يسمح بالاندفاع للتشبث بأهدافها وقادتها نحو تحقيق هذه الأهداف، وفي نفس الوقت يمكن لاستخدام هذه الآليات أن

---

(١) يمكن التأمل في واحدة من العبر من مدرسة الإمام السجّادعليه السلام، فالإمام الخارج من معركة كربلاء بكل اسقاطاتها الأمنية والسياسية، التي تبلور قسم منها بشعار الأمويين في معركة كربلاء: «اقتلوهم، ولا تبقوا لأهل هذا البيت باقية»!! ورغم الحصار الشديد الذي فُرض على الإمام (صلوات الله عليه) من قبل السلطة الحاكمة، حتى إنها كانت تحصي عليه الأنفاس، من أجل منعه وعزله عن القواعد الشعبية، إلا أنه استطاع أن يفك هذا الحصار، ويتواصل بشكل فعّال مع الأمّة، ويعمل على تحقيق برامجه من خلال استخدام الطرق التي لا توحي للسلطة الحاكمة بغير الاسترسال والعفوية، من خلال عملية شراء العبيد وعتق رقابهم.
فهذه العملية التي عدَّها كثير من المراقبين أنها كانت حركةً تدخل في مجالات التقرب إلى الله والزهد في الحياة وما أشبه ذلك، إلا أن حقيقتها أنها كانت عملية استغلال هذا النوع من شراء الرقاب لإدخالهم بشكل عفوي إلى دار الإمام (صلوات الله عليه) بعنوانهم عبيداً، ولكن عملية الإدخال هذه سرعان ما أعربت عن تحول البيت إلى معهد للهداية وإعداد المؤمنين، بالشكل الذي سنجد أن ألف رقبة أعتقها الإمامعليه السلام كما يروي الرواة، قد تحولت بالخفاء إلى تخريج المئات من خاصة المؤمنين الثقات وإطلاقهم في فضاء الأمة.
ولهذا، نجد أن عدداً منهم قد صار من كبار العلماء، كأبي خالد الكابلي ونظرائه، وبعضهم الآخر تمكن من أن يخطو خطوات جادة في القاعدة التي استخدمها الإمامان الباقر والصادقعليهما السلام لإطلاق مشروع فقه آل محمد (صلوات الله عليهم) وعلومهم.

يضاعف من وعي الأمة ويسرّع من تكامل هذا الوعي، سواء حوربت من قبل أعداء الأمة، أو جزعَ أمامها الأعداءُ.

ومن يرقب حركة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وطبيعة ما تركوه من آليات إثارة الحزن عليهم، وإبقاءِ حرارة المظلومية التي عانوا منها حاضرةً في قلوب محبيهم، يكتشف أن هذه الآليات فيها من مزايا البساطة والعفوية والاسترسال بما من شأنه أنها لو حوربت من قبل أعدائهم، فإنه سيسرّع من فهم الأمة لهذه المظلومية[1]، ولو تُرك لأدى نفس الغرض، مما جعل عالِمَ ومؤرّخَ الاجتماع السياسي الإسلامي يعرف تماماً أن جهد أعداء أهل البيت (بأبي وأمي) قبال هذه الآليات قد اتسم دوماً بالاضطراب والحيرة والتردد.

فمرة تُحارَب بشكل قمعي شرس، وأخرى تترك للأمة بحرية، وهي في كلتا الحالتين تعبر عن تخبط وحيرة في طبيعة الموقف منها، فهي إن تركت تكويهم، وإن حاربوها تكويهم!! وهي في كل الحالات كانت تعود بثمار كبيرة على مدرسة أهل البيت (صلوات الله عليهم) في شأن مسائل الوعي والتعبئة الجماهيرية والأمل والانتظام الاجتماعي بيد قياداتها الميدانية.

وفوق ذلك فهي من البساطة بمكان بحيث لا يحتاج إدراك صورتها

---

(١) بإمكان المراقب هنا أن يتأمل في الشعارات التي طرحتها الأمة في قبال هذه المحاولات، كشعار: «لو قطعوا أرجلنا واليدين، نأتيك زحفاً سيدي يا حسين»، أو «أبد والله يا زهراء ما ننسى حسيناه»، أو «أبد والله ما ننسى حسيناه»، وأمثال هذه الشعارات التي اشتعل بها وجدان الأمة بما لم يشعله أي شعار آخر، وأسهمت بشكل جذري في حركة وعي مأساة أهل البيت عليهم السلام، بصورة تمكنت فيها الأمة من التأسي بأهل البيت (صلوات الله عليهم) قبال حركة الظلم الهائلة التي واجهتها، ولهذا لم تتمكن موجات الظلم من الإطاحة بالأمة، بل على العكس، فقد تحولت هذه الموجات إلى ما من شأنه أن يشدّ في عضد الأمة، ويساعدها على تخطي الصعاب بعزيمة أقوى.

الأولى إلى جهود علمية مضنية، بل هي من البساطة بحيث إن لها القابلية الهائلة في كسب الشارع الشعبي البسيط جداً من دون عناء يذكر، وهي من العمق بمكان بحيث تجعل النخبة الاجتماعية بكل ألوانها وأنماطها تعتمدها أيضاً، وتخضع لإشعاعاتها، وتمتثل لإيحاءاتها، وتقبل عليها[1].

ومن هنا نلحظ سعة انتشار هذه الأساليب، وعمق تأثيرها في كل الشرائح الاجتماعية، سيان في ذلك البسيطة منها والمعقدة، والعالمة والجاهلة، والكبيرة والصغيرة، والغنية والفقيرة، فالكل يتأثر بها، والكل يشارك بفعالياتها، ويقع في وَهم كبير، كل مَن يصفها بالسذاجة أو العبثية، وكل مَن يحاول أن يثقّف على أن بعضاً من هذه الآليات تمثل تخلّفاً مريعاً لأنها عبارة عن عقوبة للذات على أمر لم تفعله، فهي حركة هادفة، ولكنها تعتمد ـ كما أشرت ـ آليات بسيطة ولكنها عميقة المرامي والمداليل.

وعليه: فإن مثل هذه الآليات التي نعرف نماذج لها في شعارات الحسين (صلوات الله عليه) ومجالسه وزياراته وما يماثلها[2]، لا بُدّ أن تحتل جانباً مهماً من الآليات التي ستعتمدها حركة اليماني الموعود، ويتبناها هو من أجل تعبئة الأمة وتهيئتها لمعركته ضد الباطل.

فهي فضلاً عن ارتباطها الوثيق في الجانب العقائدي الذي يسعى لتمكينه في قاعدته الجماهيرية، وعملها الجاد في تنبيه الأمة لعقائدها، إلا أنها في نفس الوقت أثبتت من الناحية العملية قدرة هائلة في تعبئة

---

(١) وهذا هو السر الذي يجعلنا نرى مواكب الحسين عليه السلام ومجالسه ـ على سبيل المثال ـ يقصدها البسيط من الناس والمرجع العالم منهم، والتلميذ والاستاذ الجامعي، والمرأة والرجل، والطفل والكبير، وبالرغم من اشتراكهم في مكان واحد، وربما في ممارسة واحدة، إلا أن كل واحد منهم ينهل بمقدار علمه منه.

(٢) فصّلنا الحديث عن ذلك في كتابنا: دور الوجدان في حركة الأمة (الشعار الحسيني نموذجاً).

شيعة أهل البيت عليهم السلام في كل مكان، ولا سيّما في العراق، الذي يتميز شعبه بالتصاق كبير بها، على الرغم من شدة العنت الذي تعرض له العراقيون في شأن الالتزام بهذه الآليات، وشدة وطأة القمع والإرهاب الذي مورس ضد انتماءاتهم العقائدية، وضد حرصهم على التمسك بشرعة أهل البيت عليهم السلام.

وما زلنا منذ زمن بعيد نرقب نمو حركة التصاق الأمة بهذه الشعائر ـ مثلاً ـ ووعيهم لها، وقد فشلت أمامها كل وسائل القمع القاهرة والفتك البربرية، بما فيها الأحزمة الانتحارية الناسفة، والسيارات المفخخة، والعبوات المتفجرة، والصواريخ وقنابل الهاون، وغيرها من وسائل الفتك، فضلاً عن السجون والتعذيب، ناهيك عن تسميم الأغذية والأشربة من أجل الفتك بهم، بل حتى اختطاف الرجال، واغتصاب النساء[1]، والقتل الفوري في حال عدم التبري من أهل البيت عليهم السلام[2].

---

(١) سطّر شيعة أهل البيت عليهم السلام في العراق في أعوام ٢٠٠٤م وحتى ٢٠٠٨م بطولات هائلة وفدائية فذة من أجل الالتصاق بأهل البيت (صلوات الله عليهم)، وقد شهدنا كل أنواع الغدر والإرهاب قد مورست معهم، ولكنهم تحملوا كل شيء وبقيت عملية الالتصاق بأئمة الهدى هي الأعلى حضوراً.
وقد باتت أرقام الملايين العشرة، والأكثر منها، عادية جداً للحاضرين لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في زيارات الخامس عشر من شعبان والأربعين الراجلة من كل محافظات العراق، بما فيها ما كان يعرف بالمحافظات الساخنة، التي تعني شدة الإرهاب فيها، هذا رغم تضافر كل عوامل المنع المادية والمعنوية، فالحر الشديد نهاراً في أحيان، والبرد القارس ليلاً في أحيان أخرى، وحضور الأرهاب التكفيري من جهة، والإجرام من قبل العصابات الخارجة عن إطار القانون، كل ذلك لم يمنع من أن نرى تعاظم أعداد الحضور بأرقام تزداد في كل عام بشكل مذهل.

(٢) حصل أكثر من مرة اختطاف المؤمنين في مناطق اللطيفية والاسكندرية وجرف الصخر في الحلة وقد دعاهم مجرمو الوهابية بعد أن وضعوا صورة أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصق عليها أو شتم أمير المؤمنين (بأبي وأمي)، ولكن أعداداً كبيرة من هؤلاء رفضوا الذلة أمام هؤلاء المجرمين، فاستشهدوا نتيجة لولائهم وصدق انتمائهم.

وثمة أمر آخر يمكن ملاحظته في بعض النصوص، وهو حمل همّ شيعة أهل البيت (صلوات الله عليهم) من قبل هذا العبد الصالح، والعمل من أجل خلاصهم وتخليصهم من واقع مظلوميتهم.

ففي خطبة طويلة منسوبة للإمام أمير المؤمنين(عليه سلام الله)، وبعد أن يتحدث عن المجازر والفظائع التي يرتكبها جيش السفياني الملعون في الكوفة وبغداد يقول:

فبينما هم على ذلك، إذ أقبلت خيل اليماني والخراساني يستبقان، كأنهما فرسَيْ رهان... إلى أن يقول: لا خير في مجلسنا بعد يومنا هذا، اللهم فإنا التائبون[1].

ومع أن الرواية الشريفة التي أشارت إلى أنه: لا يدعو إلا إلى الحق، وإلى صراط مستقيم؛ يبدو أن العبد الصالح يَعُدّ التشيع وقواعده الشعبية هو الأولوية قبال أية اعتبارات أخرى، وطنية كانت أو سياسية، فهذه الاعتبارات كثيراً ما تُعَدّ نسبية، يعمل فيها الإنسان بمقتضى ما يراه من المصالح.

على أن طريقة تفاعل الأمة مع مثل هذه الاعتبارات تختلف من آن لآخر، وتتفاوت من وقت لآخر[2]، وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليها في

---

(١) بحار الأنوار ٥٢؛ ٢٧٤.

(٢) بدليل أن نفس هذه الاعتبارات لا تمثل قيماً مطلقة، بل هي قيم نسبية، فالفكرة الوطنية والإقليمية ـ كما هو واضح ـ تمثل قيماً حديثة ترتبط بأوضاع الاستعمار وما بعد الحرب العالمية الأولى، وتركّزت بعد الحرب العالمية الثانية، ولم يكن لها وجود فيما سبق نشوء الدول الوطنية والقومية في زمننا المعاصر هذا، ومن يدري ما ستؤول إليه الأوضاع، ولهذا فإن تجاوب الأمة يبقى مرهوناً بمدى قدرة هذه القيم على أن تخدمها، فقد رأينا تراجع الفكر القومي في أعقاب حرب ١٩٦٧، بعد أن حاول هذا الفكر أن يكتسح الواقع، وانحسار هذا الفكر لصالح الفكر القطري والوطني المحدود، ونفس هذا الفكر عاد ليتراجع قبال الأممية والعولمة بمختلف أشكالها.

تقويم منهاج هذا العبد الصالح، كما لا يمكن التعويل عليها بشكل مطلق في عملية تعبئة الأمة، طالما أنّ استجابات الأمة متفاوتة تجاه هذه المعايير، ولكن هذا العبد الصالح ومن خلال ما توحي به هاتين الروايتين، يبدو أنه يَعدّ أن المقياس في مثل هذه الاعتبارات هو التشيع وقاعدته.

وبالرغم من أن ذلك لا يعني إسقاط تلك الاعتبارات أو إلغاءها، فما من ضير لكي يعتمدها وفق الموازين الشرعية، ولكن تبقى الأولوية لديه متعلقة بما أشرنا إليه، ولا سيّما في حالة التعارض أو التزاحم، ولهذا يمكن أن نفهم تعابير الألم والغضب في كلامه حينما يطّلع على فظائع السفياني الملعون وجيشه في بغداد والكوفة ضمن هذا السياق.

وعليه: فإن المعتقد أن آليات تثقيفه لخيله، وتعبئته الوجدانية والمعنوية لجنده، ستتسم بخطاب الخصوصية الشيعية، وتنمية وعي الذات في وجود مجتمع المنتظرين الخاص، لا بخطاب العمومية العراقية أو الإسلامية، ولا سيّما أن الذي يلوح من جيش السفياني أنه سيكون ممتلئاً حنقاً وغيظاً حقداً إلى حد الاختناق من شدة عدائه لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

فحركة جيش السفياني وإن بدت للوهلة الأولى وكأنها تمثل غزوة سياسية وعسكرية، مثلها مثل أي غزو مماثل، إلا أن سياق الروايات وصريحها يشير إلى أن تعبئة الوجدانية ستقوم على أساس إثارة الأحقاد والإحن ضد عقيدة أهل البيت عليهم السلام ومن يتشيع لها، وإلا لما تحدثت الروايات عن شديد فظائعه بحق هؤلاء.

وهذه الفظائع حينما تُرقب بشكل دقيق تجد أنها تسفر عن حقد دفين في قلوب القوم ضد شيعة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، كما في

الرواية الشريفة عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «كأني بالسفياني ـ أو: بصاحب السفياني ـ قد طرح رحله في رحبتكم[1] بالكوفة، فنادى مناديه: من جاء برأس رجل من شيعة علي، فله ألف درهم»[2].

وفي حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن السفياني: «ثم يسير إلى الكوفة، فيقتل أعوان آل محمد صلى الله عليه وآله»[3].

وفي رواية للإمام الباقر عليه السلام، يرويها عنه جابر الجعفي، قال وهو يتحدث عن السفياني: «ثم لا يكون له همّة إلا الإقبال نحو العراق»، ثم يقول «ويبعث جيشاً إلى الكوفة، وعدّتهم سبعون ألفاً، فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً»[4].

وفي رواية أخرى عنه (صلوات الله عليه)، يرويها أبو أيوب الخزاز، قال وهو يتحدث عن أحداث الكوفة: «فإن حنقه وشرهه فإنما هي على شيعتنا»[5].

هذا، فضلاً عما يجري عليهم قبل السفياني، فكل الروايات تشير إلى أن رهقاً كبيراً وعنتاً هائلاً سيصيب الشيعة في العراق بشكل خاص، وفي غيره بشكل عام، ورغم أن فترات من الراحة ستمر، ولكنها توصف وكأنها سحابات صيف، وهي بمجموعها توحي أن العناء الذي سيمر لن تمحوه سحابات الصيف هذه، وإنما سيظل العناء، حتى في الوقت الذي

---

(١) الرحبة: موضع في الكوفة.
(٢) غيبة الطوسي؛ ٤٥٠ ح٤٥٣.
(٣) غيبة الطوسي: ٤٦٤ ح٤٧٩.
(٤) غيبة النعماني: ٢٨٩ ب١٤ ح٦٧.
(٥) غيبة النعماني: ٣١١ ب١٨ ح٣.

سيحاول بعض الحكّام أن يقتربوا من العدل، ولكنهم لن يتمكنوا من ذلك لسبب أو لآخر.

وبناء على حقيقة أن حركة اليماني الموعود ستكون كبرى محطات التمهيد المباشر لظهور الإمام المهدي المنتظر (صلوات الله عليه) ودولته، فإن المتصوّر أن معالم منهاج تحركه ضمن المحور الوجداني والمعنوي سيسلّط باتجاه محطتين رئيستين، هما:

الأولى: وعي الذات الشيعية:

وأعني بذلك أن يعي الشيعة حقيقة أهدافهم وتطلعاتهم ودورهم المطلوب على المستوى الديني والحضاري من جهة، وحقيقة مظلوميتهم وحقوقهم، وما تم مصادرته واستلابه منهم من جهة أخرى، وهذا الأمر في غاية الخطورة والأهمية؛ لأن كثيراً من الأمم حينما لا تعي ذاتها، لن تطلق العنان لإرادة النمو والتطور والنهضة فيها.

فالذي لا يعي حقيقة أهدافه وتطلعاته وطبيعة الدور المطلوب منه على المستوى الحضاري، لن يبالي كيف أشرقت الدنيا أو غربت.

والذي لا يعرف أي شيء أخذ منه، وأي شيء تم تفويته عليه، لن يكون حريصاً على تحقيقه أبداً، ولو وقع بيده فإنه لن يكترث به ولا يُعنى بوجوده، ففاقد الشيء لا يعطيه، فهو لا يعرف ما الذي فقده، فكيف سيُنتظر منه أن يعطي لعملية النهوض الاجتماعي استحقاقاتها وفيها ما فيها من عناء وجهد ومثابرة؟!

وعلى خلاف ذلك، فإنه يمكن لعملية فهم الأهداف ووعي الدور أن تطلق مارداً ضخماً من الحس الحضاري لدى الأمة، بالشكل الذي

سيدفعها باتجاه أهدافها بكثير من القدرة على التضحية من أجلها، وبزخم أقوى من أجل تحقيق تلك الأهداف.

ولو أخذنا مثالاً تاريخياً في رجل، كأبي ذر الغفاري (رضوان الله تعالى عليه)، الذي كان قبل الإسلام لا همّ له ـ على ما يبدو ـ ولا تطلع نحو مهمة التغيير الحضارية إلا بمقدار هموم رجل من البدو، فقد كان من المفترض أن تنحصر هموم مثله في أمور مهما تعاظمت فستبقى محدودة ومتواضعة جداً بالنسبة إلى الدور الذي وجدنا أبا ذر يلعبه بعد أن أسلم على يدي رسول الله (صلوات الله عليه وآله).

فإننا نجد أنه أصبحت لدى أبي ذر حاسة حضارية وٱجتماعية جديدة تختلف جوهرياً عن حاسته في حالته السابقة، فنجد هنا رجلاً يتعامل مع مسألة التغيير الاجتماعي بمنتهى الجدية، ولم يك ينشد التغيير هذا لبيئته فحسب، بل تراه يرابط في ثغور جبال بني عاملة في جنوب لبنان يثقف ويربي ويقاتل متطلعاً إلى تغيير على مستوى العالم، فضلاً عما قام به من جهدٍ تغييري وإصلاحي باتجاه نظام الحكم، ومواقفه في زمن أبي بكر وعمر وعثمان كاشفة عن ذلك بشكل واضح!

ولا تبرير لذلك إلا من خلال القول بأن أبا ذر (رضوان الله تعالى عليه) قد اكتملت لديه الرؤية لذاته الحضارية، فسعى لتغيير ما حوله، وتحمل بسبب ذلك أشد العنت والاضطهاد، ولم يُبال ولم يكترث بما أصابه أو يصيبه بعد أن عرف قيمة ما يسعى إليه.

ومن مجموع الروايات يمكن لنا أن نشير إلى ثلاثة عوامل أساسية للتحفيز الحضاري سيعمل عليها هذا العبد الصالح:

فهو من جهة تحمل همّ الانتصار للإمام (بأبي وأمي) بكل استحقاقات ولوازم هذا الهم ومتطلبات النهوض بمسؤوليته، ومن جهة ثانية يحمل همّ النهوض بالواقع الشيعي الطامح للتخلص من واقعه البائس على شتى الأصعدة كما تصف الروايات، ومن جهة ثالثة يعمل على تحصين الواقع الشيعي، لكي يخلصه من معركة استئصال تحوم حوله.

وهنا لا بُدّ لنا من أن نتيقن بأن هذا الاندفاع الأعمى لدى السفياني من أجل قمع الشيعة، إنما يعبّر عن أوضاع اجتماعية وعقائدية جمّة تدفع بهذا الاتجاه، وهي الأوضاع التي تنبئنا بمعركة الاستئصال هذه، مما يعني أن اليماني سيكون بين يديه ثلاثة عوامل لها امتياز كبير في عملية التحريك الحضاري، أو لها الهدف الكبير المقرون بالأمل، وثانياً الحق الاجتماعي الذي تعاني قواعده من محروميتها منه، وثالثها الخوف المحفّز[1]. من استحقاقات معركة الاستئصال.

ووفقاً لكل ذلك، فإن المتصور أن هذا العبد الصالح سيندفع باتجاه عملية تعبوية تستهدف محاور ثلاثة:

أ ـ التعريف بحقيقة الذات والتنبيه على وجودها ودفع المنتظرين المعنيين بعملية التمهيد المباشر باتجاه عملية تقويم جديدة للذات من أجل وعيها، فهم المجتمع الذي سيحتضن انطلاقة دولة العدل الإلهي في كل العالم، باعتبار أن العراق سيكون موضع عاصمة الإمام المنتظر (عجّل

---

(١) هناك خوف آسر ومكبّل للإرادة الإنسانية، وفي مقابله هناك خوف محفّز؛ لأن عدم النهوض سيؤدي إلى الوقوع في محاذير الخوف، كالمرء حينما تُطبِق عليه عوامل الخوف، فيخلع منه رداء الخوف كي لا يقع في محاذيره ومصاديقه، لأن الإرادة الإنسانية بصورة عامة تستبسل لو حوصرت، ولاسيّما مع وجود برنامج قيادي يستطيع أن ينهض بذلك.

الله تعالى فرجه)، وهم جزء عظيم من القاعدة التي سيكون بها الفتح الإلهي الأكبر لتخليص العالم من رايات الظلم والجور، ليقوده إلى القسط والعدل.

وعملية التعريف هذه ستستهدف أول ما تستهدف ـ على ما يبدو ـ تنمية الشعور لدى هذا المجتمع بمسؤوليته العظيمة، فهو ليس نكرة بين الشعوب، بل ليس هو شعب كبقية الشعوب، بل هو شعب قائد، وتكمن فيه صفات نوعية تميزه عن الآخرين، وما مرّ به من معاناة ومصاعب إنما يكون بغرض امتحانه وتمحيصه، ثم تأهيله لكي ينوء بحمل أعباء هذه القيادة العالمية، وفي أعقاب ذلك لا شك أن هذه المهمة ستتولى التعريف بمكامن القوة في المجتمع، وبمراكز الضعف فيه، وتشخيص سبل العلاج وآليات التخلص من مراكز الضعف هذه، وإبراز تلك المكامن التي بها يتقوى المجتمع وينهض.

ومن خلال الروايات الشريفة، فإن من الواضح أن هذا المجتمع إذ يمر بالمحن الهائلة، فإن طرق تلقيه للمحنة ستكون في الغالب معضدة لعمل العبد الصالح اليماني، فهذا المجتمع سيكون بأمسّ الحاجة إلى القائد الذي يستطيع أن يخلصه من هذه المحنة، أو يثأر له في الأقل؛ لطبيعة الرغبة في التخلص من واقع المحنة واستحقاقاته وآثاره، وسيكون عندئذ اليماني هو القائد المنتظر ليعالج أمرين أساسيين؛ أولهما بإخراج المجتمع من حالة الفراغ القيادي، وثانيهما من خلال الإعداد لقيادة الإمام المنتظر (عجّل الله تعالى فرجه) باعتبار أنه لا يدعو إلى نفسه.

كما أن من الواضح أن المحنة والظلم اللذين عُرِّض لهما هذا المجتمع سيجعله أكثر جرأة وجدارة في تحمل المصاعب والمشاقّ من أجل

الخلاص في الأقل، ولعل طبيعة ظرف المحنة سيعمل على تكامل الوعي في كيفية التعامل معها، فإن التجارب أثبتت أن مجتمعات الأزمات قد تختلف في البداية في التعامل مع هذه الأزمة أو تلك، وبالتالي تتفرق وتختلف فيما بينها، ولكن مع مرور الأيام يمكن مشاهدة حالة فرز للأسلوب الأنجع في التعامل معها، والسبر التاريخي لطبيعة النجاحات التي تحققت في مثل هذه المجتمعات تشير بالتأكيد إلى حالة تكامل الوعي هذه.

ولهذا، فإن وجود اليماني سيسجل قبولاً تدريجياً وتكاملياً له من قِبل هذا المجتمع، مما يجعل قيادته له في وقت المحنة التي سيخرج من أجل التصدي لها أقوى رسوخاً، وهو عنصر مساعد لقوته، فلقد أثبتت التجارب التاريخية أن القيادات التي تُفرض في أوقات الأزمات لا تدوم لها هذه القيادة، على العكس من القيادات التي تعاني مع المجتمع في أوقات أزماته، وتنبثق مشاريعها القيادية بشكل تلقائي.

من جهة أخرى، أجد أننا في غنىً عن الإشارة إلى أن المحنة تعطي للمجتمع مقدرة كبيرة على معرفة أعدائه بكل تفاصيل هذه المعرفة، والمجتمع حينما يتعرف على أعدائه يطوي مسافة مهمة في التخلص منهم، ولهذا دأب الطواغيت دوماً على أن يخفوا استعداءهم للناس، ويحاولوا أن يوجهوا هذا الاستعداء بوجهات بعيدة عنهم، من خلال إعطاء واجهات متعددة لعمليات القمع الطاغوتي، والعمل على تبريرها كي لا تبدو كأنها استهداف بالعداوة، ولكن طبيعة ما تتحدث عنه الروايات تبرز أن المجتمع سيكون لديه وضوح تام لطبيعة أعدائه، من خلال تجلي كل هذا الحقد على أهل البيت (صلوات الله عليهم) وشيعتهم، كما تبرزه الروايات الشريفة.

وعليه: فإن المجتمع حينما يتمكن من العثور على قيادته، وتنمو لديه حالة الرغبة في الخلاص من الواقع الفاسد (المحنة)، ويعرف أعداءه ويتعرف عليهم ـ وهذه مقومات معرفة الذات ـ، وسيكون جاهزاً بشكل كبير لخوض المعركة الحضارية المنتظرة منه، ولا سيّما إذا ما كان على مقربة من مشروعه القيادي الكبير، وهو ما يمكن لنا أن نرقبه في مجتمع اليماني.

ب ـ **التعريف بالهدف المنشود**: وهو الإمام المنتظر (عجَّل الله تعالى فرجه)، وربط الأمة بهذا الهدف وشدّها إليه، لأنه عنوان خلاصها من كل معالم الفتنة التي تحيط بكل جوانبهم، وترهق كاهلهم بألوان المعاناة، ولا سيّما أن تلك الفترة سيكون فيها الصبر الشيعي في التعامل مع مسألة غيبة الإمام (صلوات الله عليه) يتراوح بين كونه في رمقه الأخير لدى غالبية الناس، وشدة عنفوانه لدى الخاصة من المؤمنين الذين ثبتوا على الإيمان، ولا سيّما بالنسبة لمن أدركوا حقيقة اليماني.

هذا، وقد أشارت الروايات إلى شدة الضنك في قبول هذه القضية بسبب نضوب الأمل، وقسوة الظروف، واستباق النتائج والتعجل في طلبها، فلقد روى هانىء التمّار، عن الإمام أبي عبد الله الصادق (صلوت الله عليه) قوله: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة، المتمسك فيها بدينه كالخارط للقتاد بيديه»[1].

وروى محمد بن منصور الصيقل، عن أبيه، قال: دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السلام وعنده جماعة، فبينا نحن نتحدث وهو على بعض أصحابه مقبل، إذ التفت إلينا وقال: «في أي شيء أنتم؟! هيهات هيهات! لا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تمحَّصوا، هيهات ولا يكون

---

(١) غيبة الطوسي: ٤٥٥ ح٤٦٥.

الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تميّزوا، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تغربَلوا، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم إلا بعد إياس، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى يشقى من شقي، ويسعد من سعد»[1].

وروى الأصبغ بن نباتة، عن الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في حديث طويل، قال فيه: «فوالذي نفسي بيده ما ترون ما تحبّون حتى يتفل بعضكم في وجه بعض، وحتى يسمّي بعضكم بعضاً كذّابين، وحتى لا يبقى منكم ـ أو قال:[2] من شيعتي ـ إلا كالكحل في العين، والملح في الطعام[3]، وسأضرب لكم مثلاً، وهو مثل رجل كان له طعام فنقّاه وطيّبه، ثم أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله، ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابه السوس، فأخرجه ونقّاه وطيّبه، ثم أعاده إلى البيت فتركه ما شاء الله، ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس[4]، فأخرجه ونقّاه وطيّبه وأعاده، ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر[5]، لا يضره السوس شيئاً، وكذلك أنتم تميَّزون حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا تضرها الفتنة شيئاً»[6].

ولنا أن نتأمّل حالة اليماني في التعامل مع هذا الموضوع، فاليماني ليس لديه مشروع ذاتي للقيادة، بل كل أمره منصبٌّ على التمهيد للإمام (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف) وقيادية الإمام (بأبي وأمي) لكل شيء،

---

(١) غيبة النعماني: ٢١٦ ـ ٢١٧ ب١٢ ح١٦.
(٢) الترديد من الراوي.
(٣) إشارة إلى القلة.
(٤) السوس: دودة العث مما يصيب الحبوب والخشب والملابس وغيرها.
(٥) الأندر: الكدس من القمح خاصة، كما يقول صاحب لسان العرب.
(٦) غيبة النعماني: ٢١٧ ـ ٢١٨ ب١٢ ح١٧.

وهذا هو ما توضحه الروايات، وأحسب أنه سيعتمد جملةً من الآليات التي جرى التأكيد عليها في روايات أهل البيت (صلوات الله عليهم) للتعريف بقيادية الإمام المنتظر (عجَّل الله فرجه) والوصل به، ومن جملتها:

أولاً: تعميق حالة الاعتماد على الله تعالى من أجل تحقيق هذا الهدف، وهذا المحور في غاية الأهمية، لأنه يمثل أحد أهم أركان قوة الأمة الناهضة، وبه تنمو حالة الأمل، ومن خلاله تتم مجابهة الصعاب ومواجهتها، وتستعاد الثقة بالنفس وسط كل وسائل الرعب والخوف والقلق التي ستواجه المجتمع المنتظر من قبل أعدائه، ووسائل الفتنة والبلاء وبقية آليات الاختبار الرباني.

ثانياً: التأكيد على المفاهيم المطروحة من قبل أهل البيت (صلوات الله عليهم) بشأن عقيدة الإمام المنتظر عليه السلام، فالموضوع ـ أي موضوع ـ حينما يستقر في البنية العقائدية لشخص أو لجماعة ما، يعطي زخماً كبيراً لدى هذه الجماعة في أن تحافظ عليه وتتحمل شتى الظروف من أجل الحفاظ عليه.

ثالثاً: العمل على إيجاد حالة التواصل العاطفي والوجداني مع الإمام (روحي فداه) عبر وسائل الدعاء، كأدعية الفرج والندبة والعهد، والتصدق باسمه وبالنيابة عنه، والتوسل لتعجيل فرجه، وزيارته وقصد مقاماته (صلوات الله عليه)، وما إلى ذلك من آليات ذكرتها الروايات الشريفة.

ولكن يجب هنا أن نفرق بين حالتين، وهو تفريق بين عام وخاص، فمن الناس من يدعو للإمام (روحي فداه) بغية تعجيل فرجه لكي يُظهر

القسط والعدل، وهنا نلمس أن هذا الدعاء ليس لشخص الإمام (بأبي وأمي) بالضرورة، بقدر ما هو دعاء لدور الإمام (روحي فداه)، فهو من أجل القسط والعدل ونفرة من الظلم والجور، وهذا الدعاء وإن كان عظيماً ومطلوباً، ولكنه قد لا يعمق التواصل بين الداعي وبين الإمام (صلوات الله عليه).

ولهذا وردت عن أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) تأكيدات عديدة على إنشاء علقة تواصل خاصة بين الممهِّد وبين شخص الإمام (روحي فداه)، بغض النظر عن دوره.

فالدور ربما لا يغري الإنسان كثيراً إذا ما أحس بأن وقته ما زال بعيداً، فيصيبه الفتور في تأدية واجباته تجاه الإمام عليه السلام نفسه، بينما التعلق بشخص الإمام عليه السلام يغري الإنسان بالمزيد من التعلق، سواء كان الإمام (بأبي وأمي) حاضراً مشهوداً أم غائباً مستوراً؛ وهذا ما له مزيد زخم في إرادة الإنسان لكي يتعلق أكثر، ويرتبط بشكل أعمق، مع أهداف الإمام (صلوات الله عليه)؛ وهذا ـ من الواضح ـ هو أكبر من مسألة خروج الإمام (صلوات الله عليه).

رابعاً: ولم يكتف أهل البيت (صلوات الله عليهم) بإثارة موضوع التعلق بالإمام عليه السلام ضمن أبعاده الوجدانية والفكرية فحسب، بل إن عدداً غير قليل من الروايات أكدت على أمر مراقبة الإمام (صلوات الله عليه) ومَن سبقه من الأئمة فضلاً عن رسول الله (صلوات الله عليه وآله أجمعين) لأعمال الخلق، وذلك ضمن دورهم كشهود على الأمة[1].

ففي رواية للكليني، بإسناده إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله

---

(١) لمعرفة تفاصيل الإمامة الشاهدة يرجع لكتابنا: مَن عنده عِلم الكتاب؟

الصادق عليه السلام، أنه قال «تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله أعمال العباد كل صباح، أبرارها وفجّارها، فاحذروها، وهو قول الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾[1]، وسكت»[2].

وروى الحسين بن سعيد بإسناده إلى سماعة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لرجل: ما لكم تسوؤون رسولَ الله صلى الله عليه وآله؟! فقال له الرجل: جُعلت فداك وكيف نسوؤه؟! فقال: أمّا تعلمون إن أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى معصية لله ساءه ذلك؟! فلا تسوؤوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسرّوه[3].

وروى محمد بن الحسن الصفار، بإسناده إلى المعلى بن خُنيس، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، في قول الله تبارك وتعالى؛ ﴿ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: «هو رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، تُعرض عليهم أعمال العباد كل خميس»[4].

وعشرات الروايات التي أشارت إلى هذا المعنى، التي يستفاد منها أن أعمال كل أمة تعرض على إمامها بالدرجة الأساس، وهو كما علمت من مصاديق شهادة الأئمة عليهم السلام على الأمة، وهذا ما يوجِد نمطاً من الرقابة الموضوعية التي من شأنها أن تنمّي العلقة بين الممهِّدين والإمام (روحي فداه)، ولها بالغ الأثر في إثارة موضوع الارتباط العملي بالإمام (صلوات الله عليه).

وأحسب أن هذا الموضوع يؤثر في المؤمنين باتجاهات ثلاثة:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٦.
(٢) الكافي ١: ٢١٩ ب٨٧ ح١.
(٣) الزهد: ٥١ ب٢ ح٣٢.
(٤) بصائر الدرجات: ٤٤٧ ج٩ ب٥ ح٢.

فمن جهة يتأثر المؤمن بطبيعة هذا المفهوم إيجابياً ليغدو عنصر تحفيز له ودفع باتجاه الصالح من الأعمال، فهو يحتاج إلى التسديد والتوفيق، وحينما يشعر أن هذه الأعمال تعرض على أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وأن العمل الصالح منه يلقى الترحيب والتأييد، فإنه يشد في عزمه باتجاه المزيد.

وهنا يمكن أن نتلمس آفاق ذلك من رواية لمحمد بن الحسن الصفار، بسنده إلى أبان الزيات، قال: قلت للرضا عليه السلام: «ادعُ الله لي ولأهل بيتي؛ قال: أوَلستُ أفعل؟! والله إن أعمالكم لتعرض عليَّ في كل يوم وليلة؛ فاستعظمتُ ذلك، فقال: أمّا تقرأ كتاب الله: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾[1]؟!».

ومن جهة أخرى، فهي تلعب دور المثبّط والمحبِط لاندفاعات العبد نحو الأعمال السيئة، بل هي رادعة له في ذلك[2]، فهو حينما يحسّ ويعلم بأنه مراقَبٌ من قبل إمام زمانه، فإن عمق العلاقة ومقدارها تؤدي به إلى مقدار من حالة الصد والمنع من ارتكاب مثل هذه السيئة، وكلما تعمقت هذه العلاقة كلما لعب هذا المفهوم دوراً أكثر حيوية في عملية الصد والمنع.

ويمكن لنا أن نستوعب ذلك بشكل أكبر من خلال ما يرويه الصفار بإسناده إلى محمد بن مسلم، الذي يروي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قوله: «إن أعمال العباد تعرض على نبيّكم كل عشية الخميس، فليستحي أحدكم أن تعرض على نبيه العمل القبيح!!»[3].

---

(١) بصائر الدرجات: ٤٤٩ ج٩، ب٦، ح٢.
(٢) للمزيد انظر كتابنا: اتجاهات الدفاع الاجتماعي في الإسلام.
(٣) بصائر الدرجات: ٤٤٦ ج٩ ب٤ ح١٤.

ويروي الصفار نفسه، بإسناده إلى عبد الله بن سنان، عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، قال: «إن أعمال أمة محمد صلى الله عليه وآله تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله في كل خميس، فيستحي (ظ: فليستحي) أحدكم من رسول الله أن تعرض عليه القبيح!»[1].

ومن جهة ثالثة، فإن العلاقة الإيجابية التي تنظِّم مع الإمام (صلوات الله عليه) ستكون عنصراً مهماً في إثراء الأمل وتوجيهه ضمن الوجهة الصحيحة التي لا تجعل المؤمن مخدراً وواهناً اتكالياً، كما لا تأخذ به صوب التقحم والتهور والارتجال، بل إن مشاعر التحفيز تلك، ومشاعر الصد والمنع هذه، حينما توضع في قالب من الأمل بظهور الإمام (عجَّل الله فرجه) ستتحول إلى زخم كبير لتنمية هذا الأمل وتعزيزه وتكريسه.

وهذا ما يحتاجه اليماني بكل تأكيد، ولا سيّما أن عهده ـ كما أشرت من قبل وفقاً للروايات ـ سيكون الأمل فيه في أدنى درجاته بالنسبة لعامة الناس، وسيجد هو في تعميق العلاقة والتعريف بالإمام (روحي فداه)، ودوره، ما يمكّنه من دفع الأمل نحو أفق أكبر.

خامساً: تعميق الشعور بالمسؤولية تجاه الإمام (صلوات الله عليه)، شخصاً وقضية، وهنا يكتمل عقد العلاقة بين الإمام (بأبي وأمي) وبين الممهِّدين، فالعلاقة مع الإمام لا تكون من طرف الإمام نفسه من دون المأمومين أيضاً، فهي علاقة متبادلة وليست أحادية الجانب.

وفي نصوص أحاديث أهل البيت (صلوات الله عليهم) التي أتحفوا بها شيعتهم يجري التثقيف على هذا الأمر بشكل كبير، فالإمام عليه

---

(١) بصائر الدرجات: ٥٥٤ ج٩ ب٤ ح١٢.

مسؤولية هداية الأمة، والأمة عليها واجب الطاعة والاتّباع بالشكل الذي يتحول إلى فدائية خاصة، ونكران للذات بصورة أخص، من أجل مشروع الإمام (صلوات الله عليه).

ومن جملة الوسائل التي تركت للأمة أن تلتزم بها، هي واجب الدعاء للإمام، والعهد له بالنصرة والثبات على طريقه، ولعل ما في دعاء الندبة ودعاء العهد ودعاء الفرج وما إلى ذلك، كثيرٌ مما يعبّر لنا عن هذا المفهوم ويرسّخه.

وعلى الرغم من أن هذه النصوص صيغت على شكل دعاء، ولكنها تضمنت منهجاً واضحاً في تأطير المؤمن بجملة من التعهدات والالتزامات تجاه الإمام (صلوات الله عليه)، شخصاً وقضية، وقد يبتدىء المؤمن بالتلقي البدائي لمثل هذه الالتزامات ولكنّ الحث اليومي كما في دعاء العهد، والحث الأسبوعي كما في دعاء الندبة، يهدف بلا شك إلى تعميق الأخذ بهذه الالتزامات؛ فلا تغفل!

جـ ـ التعريف بالآخر وتعريته، فالعدو حينما تجهله الأمة، لن تدرك هزيمته أبداً، ولطالما حاول أعداء المنتظِرين خلق أعداء وهميين بغية إشغالهم عن رؤية العدو الحقيقي الذي يعمل على الإمعان في إذلالهم واستعبادهم.

وفق هذه المحاور ستنظّم العملية التعبوية بالشكل الذي سيجعل اليماني يركّز على نمط من التثقيف والتسييس الذي من شأنه أن يثير في الشيعة حالة الوعي لميزاتهم وحقوقهم ومظلوميتهم، ويشدّهم باتجاه الهدف وفق ما عبّرت الروايات عنه بأنه (يدعو إلى صراط مستقيم)،

وسيرافق ذلك وعي سيتنامى مع الأيام بحقيقة الطرف الآخر الذي يحاول حرمان الشيعة من حقوقهم من خلال ما تفرزه الأحداث، مما سيعجّل من تنامي حالة الوعي هذه، ولا سيّما أن استعادة الشيعة لحقوقهم، سيجعل الآخر يفقد خيارات الاتزان التي يمكن لها أن تخفي حقيقته، وستدفع به الأمور إلى أن يتخلى بالتدريج عن سياسات الخداع التي تخفّى وراءها فترات طويلة، إلى سياسة الإفصاح عن أهدافه الحقيقية، وهذا لوحده سيكون عاملاً مهماً جداً في تنمية وترشيد ذلك الوعي.

ولعل الحاجة لهذا الوعي لدى شيعة أهل البيت عليهم السلام ستكون شديدة، بسبب ما يترتب على الأوضاع الروحية والمعنوية لهؤلاء من آثار سياسة الظلم والطغيان التي سلّطت عليهم، لتعيش بالتالي حالات من قبيل الكبت الداخلي، والإحباط، وسرعة الملل من الحلول التي تطرح عليهم، وعدم الثقة بالنفس، وما إلى ذلك من حالات تضر بحالة النهوض الحضاري المتوخى لديهم، ولربما سنجد في سرعة الأحداث المتمخضة من يأس أعداء التشيع، وبشاعة ما سيرتكبونه من جرائم وفجائع في حال تمكن الشيعة من اكتساب بعض من حقوقهم، كثيراً من المساعدة لليماني الموعود في تحقيق هذا الوعي.

وبإمكان ما نراه اليوم في الساحة العراقية أن يقرّب لنا هذه الصورة، ويسهّل لنا مهمة استشراف ما سيأتي في المشهد الاجتماعي المستقبلي، فالمجتمع العراقي الذي خرج من سني حكم المجرم صدام العجاف، خرج وهو يحمل كتلة هائلة من أعراض وأمراض فترة الديكتاتورية على المستوى المعنوي والوجداني، ومن السهولة اكتشاف أن هذا المجتمع لا يعي ذاته وميزاته بالصورة المطلوبة، وبالشكل الذي جعله ـ وما زال ـ

يعيش حالة مزرية من خليط من الإحباط وعدم الثقة بالنفس وعدم الاطمئنان وسوء الظن وما إلى ذلك من الأمراض المعتادة المترتبة على حكم الأنظمة الديكتاتورية الشمولية.

وبالرغم من أن هذه المسؤولية ـ أي: مسؤولية إثارة وعي الذات ـ لا تتعلق باليماني وحده، وإنما ستتكفّلها عوامل عديدة، ولكن ستكون مسؤولية اليماني هنا محورية وأساسية، لأنه يعلم أن عملية التمهيد التي سيتحمل مسؤولية جزئها الأكبر لا تمثل هدفاً بقدر ما هي وسيلة ومقدمة لعملية الظهور الشريف، ولهذا ربما سنجد أن اليماني سيعمد في منهجه هذا إلى إثارة كل ما من شأنه توجيه الأنظار نحو هذه الذات من أجل أن تستعيد وعيها لهويتها الكاملة، فمن دون هذه الهوية لن يتمكن مجتمع المنتظرِين من تنظيم قدراته وطاقاته لتوجيهها نحو الهدف؛ وسيأتي مزيد تفصيل حول هذه النقطة إن شاء الله تعالى.

الثانية: بناء الذات الشيعية:

وهو المحطة الثانية التي ستتركز فيها جهود اليماني التعبوية في هذا المجال وبالرغم من أن عملية بناء الذات لن تتم بواسطة اليماني الموعود فقط، وإنما هو أمر يتكامل مع مرور الزمن وطبيعة ما تتيحه الإمكانات والظروف، ولكن ترتيب البناء واَستغلاله واَستثماره بالشكل الذي يصبّ باتجاه الهدف سيكون من مهمة اليماني بشكل جاد.

فإن من الواضح أن مجتمع المنتظرين ليس وليد الظرف الذي سيأتي به اليماني، بل هو سابق له، وتتفاعل فيه عوامل متعددة ضمن أبعاد مختلفة، ولا تتوقف عند عملية الوعي الداخلية، بل تتجاوزها لتسهم فيها

بشكل مهم كل العوامل المترتبة في العلاقة مع الآخر، طاغوتاً كان أو غيره، وندّاً مذهبياً معيّناً، أو حليفاً سياسياً مشخّصاً.

وقد اتسمت مسيرة مدرسة أهل البيت عليهم السلام بسمة البناء الهادىء الذي لا يبحث عن الإثارة غالباً، بل التزمت عبر الزمن بعملية بناء تنبثق من ظروف الأمة وإمكاناتها، حتى يكاد الباحث أن يقول بأنه من الصعب تحديد تأريخ نشوء المؤسسات الشيعية على وجه الدقة، لأنها انبثقت بهدوء وبخطوات قد لا تلحظ[1]، ولكنها تكاملت ونمت مع الأيام والدهور، بصورة لم يتمكن أحد من المؤرخين أن يقول بأن الظاهرة الفلانية قد وجدت بشكل طاغٍ، لأن وجود هذه الظاهرة التي قد تكون ذات تأثير عظيم في الظروف التاريخي، لم ينشأ بصورة لافتة وإنما نما مع الأيام، مستفيداً من كل الظروف التي تمر بها المؤسسة الشيعية.

فمؤسسة الحوزة العلمية على سبيل المثال، والمواكب الحسينية، والمدارس العلمية، والمرجعية الدينية، والحسينيات، وما إلى ذلك مما يمكن أن نسميه بالمؤسسات الحاضنة والمؤطرة للبناء الشيعي، رغم أنها من المعالم الكبيرة في هذا المجال، إلا أن نشأتها بدأت بهدوء وتكاملت مع الأيام، بصورة يصعب معها على المرء أن يؤرخ لكل واحدة من هذه المفردات بشكل دقيق.

وحين يجد اليماني بمواصفاته التي عرّفت عنه الأحاديث الشريفة،

---

(١) يتأكد ذلك من حقيقة أن الأنظمة المتعاقبة على ظلم شيعة أهل البيت عليهم السلام لم يلحظوا في الغالب نشوء هذه الظاهرة، وإنما تعاملوا مع ظاهرة وجدوها أمامهم بحكم الواقع، وقد جنّبت سياسة التقية ـ إن صح التعبير ـ وأمثالها هذه الظواهر أن تُضرب وهي في طور النشوء.

أن هذه المؤسسات ومثيلاتها قد لعبت الدور الأبرز ـ وبنجاح مذهل ـ في حفظ الوجود الشيعي، واتساع قاعدته الشعبية، وصيانته من الانحراف، وتجنيبه الأخطار رغم شدة عتو الزمان عليها، فمما لا شك فيه أنه سيولي مهمة رعاية كل المؤسسات التي تدخل في تحصين البيت الشيعي أولوية خاصة.

وهنا لا بُدّ من أن نشدد على أن الاهتمام المشار إليه قد لا يأخذ صفة الحرص الخاص على عناوين خاصة بعينها في هذه المؤسسات، ولكننا سنجد بالتأكيد اهتماماً خاصاً بكل ما من شأنه أن يحصّن البيت الشيعي ويصونه من عمليات التخريب الداخلية والخارجية.

ومن هنا، فإن المتوقع أن لا يكون هذا الاهتمام منصبّاً على عوامل البناء الذاتية بالضرورة، بل قد يمتد إلى عديدٍ من العوامل الموضوعية التي قد لا ترتبط بالمسمّى الشيعي المباشر، ولكنها في ما يترتب عليها وفي حصيلتها العملية تصب في قوة هذا البناء وتحكيمه.

فعلى سبيل المثال، حينما نجد أن المؤثر الأمني يؤثر في البيئة الثقافية لهذا البناء سلباً أو إيجاباً، فالساحة التي يُسلب أمنها لا يمكن للعملية الثقافية أن تعمل فيها برحابة، والعكس صحيح أيضاً، فكلما أحس الإنسان بالأمان كلما أصبح التلقي الثقافي لديه أكثر إيجابية.

ولهذا، فإن من المتوقع أن لا ينكفىء مثل اليماني الموعود على الساحة الثقافية فحسب، وإنما قد يجد دوره في تحصين البيئة الثقافية من خلال الاندفاع نحو تحصين الأمن العام، لكي تبقى البيئة الثقافية رحبة في التلقي الثقافي، وهكذا الأمر في بقية الساحات، الاقتصادية والقانونية

وغيرها من الساحات، التي قد لا تتسم عناوينها بالسمة المباشرة في الخصوصية الشيعية، ولكنها من حيث المؤثرات العمليّة ترتبط بالمناخات العامة، ولهذا فإن الاهتمام بتلك المناخات حتى وإن لم يأخذ اتجاه الخصوصية الشيعية، إلا أن هذا الاهتمام مع أخذه صفة العموم، ولكن نتائجه ستنعكس بشكل حتمي على الخصوص[1].

ولكن كل هذا لا يلغي أن الروايات تركّز على خصوصيتين له في بناء الذات الشيعية، وأولهما ما يمكن أن نفهمه من قوله عليه السلام: «**يدعو إلى صراط مستقيم**» وهي ترتبط أكثر ما ترتبط بإيجاد المجموعة الهادية ضمن نسق روحي وثقافي تعبوي محدد، وثانيهما ما يتعلق بتحويل هذه المجموعة إلى الجيش الذي يتولى عملية التمهيد الموضوعي لظهور الإمام (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، ويتصدى لأعدائه.

فالروايات تتحدث عن خروجه ورايته، وبالتالي فإن هذا الخروج لا يفهم من دون الجيش الخاص له.

---

(١) أذكر هنا ـ على سبيل المثال ـ ما جرى للكاتب مع أحد المراجع المعظمين (مدّ ظله الشريف)، فبعد أحداث الدجّال اليماني في المحرم ١٤٢٩هـ في الناصرية والبصرة، كنت قد أحسست بواقع ضاغط على نفسي بمسؤوليتي العقائدية والفكرية تجاه العقائد المنحرفة، فذهبت إلى سماحته (مد ظله الشريف) لكي أستأذنه في أن يسمح لي بأن أفرّغ جانباً من وقتي لهذا الموضوع بعيداً عن السياسة (وهنا أشدد على أن المطلوب هو جزء من الوقت، لا جميعه) فرفض، وقال: إن تكليفك هو العمل السياسي؛ لأن ضمان التوفيق في ذلك العمل سيفيض، على بقية ما يلي الساحة السياسية، وما يتأثر بها، وملاحظته حول تكليفي السياسي من الواضح إنها لا تمتد لكل فرد، وإنما بسبب انشغال الداعي بالعمل السياسي فعلا.
وعليه: فإن البحث في أولويات اليماني، وأولويات حاجات البناء، قد تجعل اليماني الموعود في سعيه لتحصين الوضع الخاص يصب جهده في الوضع العام؛ لأن تحصين العام هو السبيل الأنسب لتحصين الخاص.

وكلا الخصوصيتين تحتاج إلى جهد مسبق يعتمد على بقية المؤسسات الشيعية والمرجعية الدينية بشكل خاص؛ لأنه لن يستطيع أن يشكّل مقبولية له في الوسط الاجتماعي من دون تزكية المرجعية له ولعمله الذي سبق هذا الأمر، كما أن هذه المقبولية تحتاج منه إلى ارتباط واقعي وصادق مع الجماهير، لكي تُقبِل عليه دون غيره؛ ولهذا فإن دوره وحضوره في المظاهر الاجتماعية للمؤسسة الشيعية يفترض أن يكون كبيراً وفعّالاً.

المبحث الثالث: المحور السياسي والأمني

أشرنا فيما سبق اعتماداً على ظاهر الروايات الشريفة، إلى أن اليماني الموعود لن يعتمد بالضرورة الهموم الوطنية والجغرافية ومتطلباتهما، بقدر ما سيعتمد على الهم المتعلق بنصرة الإمام (صلوات الله عليه) وكيفية التمهيد له، وهو ما تساعدنا عليه بعض الروايات التي أشارت إلى أنه «يدعو إلى صاحبكم».

وحتى نستطيع أن نكتشف منهاج تحركه في الشأن السياسي والأمني والعسكري، لا بُدّ أن نقف عند محطات ثلاثة تميّز المجتمع الذي سيعيش في وسطه اليماني وتتأثر به حركته، ويؤثر به أيضاً وفقاً لظاهر الروايات الشريفة:

الأولى: إن مجتمع اليماني ستكثر فيه الفتن، وباتجاهات مختلفة، فيكثر فيه الأدعياء من جهة، حتى إن اثني عشر رجلاً يدَّعي أنه هو المهدي كذباً، وستظهر فيه مجاميع الشيصباني[1] في الكوفة، الذي

(١) سيأتي الحديث عن هذا الرجل لاحقاً إن شاء الله.

سيكون ـ ظاهراً ـ أحد عوامل الإخلال الأساسية في هذا المجتمع لمصلحة أعدائه.

الثانية: إن شيعة الإمام (روحي فداه) ولا سيّما في العراق سيلقون أشد العنت والظلم، حتى يستشري بهم القتل والتشريد والتعذيب، وإن مروا بأيام رخاء فهي كسحائب الصيف التي سرعان ما ترحل دونما ثمر يذكر، وفي نفس الوقت ثمة بيئة شيعية ممهدة تنظمها وترعاها ظاهراً دولة شيعية في إيران، وستفرز عدة من القواعد المهمة في عملية التمهيد كجيش الخراساني، ومجاميع الطالقان[1]، وشعيب بن صالح، وما إلى ذلك.

الثالثة: إن إرادة الدفاع أمام هذا العنت والظلم ستكون مبررة على أكثر من صعيد، وبشكل متصاعد ومتراكم، نتيجة لكثرة الظلم ووضوحه وستنطلق بصور متعددة، ولكنها ستلقي بالمسؤولية تدريجياً على اليماني لكي يتحرك باتجاه تشكيل جيشه، أو الإعداد له.

ولكن سوف تكون مصاديق هذه الإرادة متعددة، وتشكّلاتها متفاوتة، ولن تنحصر ـ على ما يبدو ـ باليماني لأسباب متعددة[2]، وإنما ستمتد

---

(١) غالبية الحديث عن طالقان ورد بروايات عامية، وفي كتب العامة أيضاً، ولكن ورد في (كمال الدين وتمام النعمة) في حديث سنده عامي، بإسناده إلى رسول الله ﷺ في حديثه لأبي بن كعب (رضوان الله عليه) في حديث طويل، قال: وله بالطالقان كنوز لا ذهب ولا فضة، إلا خيول مطهمة، ورجال مسوّمة. (كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٥ ب٢٤ ح١١).

(٢) ربما بسبب سرّية تحركه الأول قبل إعلانه، ولربما تتشكل مبررات سياسية وأمنية خاصة تحول دون التحاق جميع المؤمنين بحركته، رغم وضوح دعوة الإمام (صلوات الله عليه) لنصرته وعدم الالتواء عليه، ولكن هذا الوضوح ستؤثر عليه ـ ولا ريب ـ سريَّة تحركه في المجال الأمني والعسكري، أو الشك في أن الرجل هو اليماني المقصود نفسه أو لا.

بالصورة التي ستفرز نشوء جيش الغضب[1]، وتؤسس أيضاً لحركة عصائب أهل العراق[2]، وهي مجاميع أشير إليها في الروايات.

---

(١) مع ملاحظتنا إن جيش الغضب المشار إليه في الروايات الشريفة ما من ضرورة لجعله جيش آخر أو راية أخرى في قبال الرايات الأخرى، وإنما وكما يبدو لي هو انعكاس أو واجهة لواحدة من الريات المتحركة أساساً، ولعل عدم وصفها بالراية والتي تستلزم على ما يبدو صاحباً لها، ما يؤكد ذلك.
وعلى أي حال ذكر الشيخ النعماني (رضوان الله عليه) في موضعين من كتابه، أن جيش الغضب هم أصحاب الإمام (صلوات الله عليه) الثلاثمئة والثلاثة عشر (انظر الغيبة: ٣٩ و٣٢٥)؛ وأعتقد أن ذلك فيه تسامح؛ لأن المذكور في حديث أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ـ وهو من يرويه ـ ينافي ذلك، فقد عرّفهم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بقوله: «أولئك قوم يأتون في آخر الزمان، قزع كقزع الخريف، والرجل والرجلان والثلاثة من كل قبيلة، حتى يبلغ تسعة، أما والله إني لأعرف أميرهم، واسمه، ومناخ ركابهم، ثم نهض وهو يقول: باقراً باقراً باقراً؛ ثم قال: ذلك رجل من ذريتي يبقر الحديث بقراً. (الغيبة: ٣٢٥ ب٢٠ ح١)، وهذا غير وصف الأصحاب الثلاثمئة والثلاثة عشر.
على أنه لا يمنع أن يسمى أصحاب الإمام المنتظر (صلوات الله عليه) بجيش الغضب، بل هم من أظهر مصاديق هذا الجيش، ولكني أعتقد أن الرواية أعلاه لا تعنيهم بالتحديد.
وكيفما يكن فإني اعتقد أن وصفهم بهذا الوصف يبقيهم في إطار كونهم واجهة لواحدة أو أكثر للرايات المتحركة في الساحة.

(٢) اختلف في شأن هذه العصائب، هل هي مجاميع منظمة، أو أنهم متفرقون ويتجهون لنصرة الإمام (صلوات الله عليه) بعنوان التكليف الذاتي، لا بعنوان المنهاج الذي يحركهم كمجموعة منظمة؟
ولو كان منظّمين، فهل هي مجاميع ستتشكل قبل قيام القائم؟ أم أنهم صفوة العراقيين الذين يلتحقون بالإمام (عجّل الله تعالى فرجه) من أصحابه الثلاثمئة والثلاثة عشر؟
ففي رواية عن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ـ وهي عامية، وفيها مقاتل بن سليمان، وحاله معروف في الوهن ـ، قال: «ويركب إليه عصائب أهل العراق، وأبدال الشام، ونجباء أهل مصر...» إلخ. (دلائل الإمامة: ٢٤٥)، فإن هذا اللفظ لا يتحدث صراحة عن كونهم مجاميع سابقة لظهور الإمام المنتظر (صلوات الله عليه)، كما إن عدّهم من مجموعة الثلاثمئة والثلاثة عشر غير واضح أيضاً، ولكن لو صحّت الرواية فحملها إلى نزوع أخيار العراقيين إلى الإمام (صلوات الله=

ولعل ما يعزز هذا الفهم رواية الرايات الثلاث المضطربة في الكوفة قبل مجيء الإمام (بأبي وأمي)، ففي حديث الشيخ الطوسي في ما يسنده إلى أبي المقدام[1]، عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث طويل، قال: «يدخل المهدي الكوفة، وبها ثلاثة رايات قد اضطربت بينها، فتصفو له»[2].

وفي نفس هذا الوقت سينمو الوعي الشيعي بسبب هذه المعطيات بشكل كبير جداً؛ إذ إنه سيكوّن مؤهلاً لتكوين القاعدة الاجتماعية والحاضنة التي ستستخدم كمنطلق لدولة الإمام المنتظر (روحي فداه).

وفي المقابل، ومن الناحية الموضوعية، نلحظ أن التعليل الإمامي لطول غيبة الإمام (بأبي وأمي) يثير وجود معطيين اجتماعيين بشكل طبيعي..

الأول: منها: إن عدد المؤمنين المناصرين قليل قياساً إلى كثرة المناهضين لهم ممن يصنّف في إطار العداوة للإمام (بأبي وأمي)، وهنا يلفت الإمام الصادق عليه السلام ـ في رواية له ـ الانتباه إلى إحدى صور هذه القلة؛ إذ يدخل عليه أحد أصحابه فيقول له: جُعلت فداك، إني أحبك وأحب من يحبك، يا سيدي ما أكثر شيعتكم! فقال له: اذكرهم؛ فقال: كثير؛ فقال: تحصيهم؟! فقال: هم أكثر من ذلك؛ فقال أبو عبد الله عليه السلام: أمَا لو كملت العدة الموصوفة ثلاثمئة وبضعة عشر، لكان الذي تريدون!

= عليه) أولى من غيره، سواء كان هذا النزوع ضمن مجموعة الثلاثمئة والثلاثة عشر، أو من بعد ظهور الإمام (صلوات الله عليه).
ويسري عليها من الوصف ما سبق أن أشرنا إليه في شأن جيش الغضب.

(١) من رجال العامة وهو وابنه عمر بن أبي المقدام، ولكن لهما حب لأهل البيت عليهم السلام، وأبو المقدام اسمه: ثابت.

(٢) غيبة الشيخ الطوسي؛ ٤٦٨ ـ ٤٦٩ ح٤٨٥، والإرشاد ـ للشيخ المفيد ـ: ٢: ٣٨٠.

إلى أن قال: فقلت له: فكيف أصنع بهذه الشيعة المختلفة، الذين يقولون إنهم يتشيعون؟! فقال: فيهم التمييز، وفيهم التمحيص، وفيهم التبديل، يأتي عليهم سنون تفنيهم، وسيف يقتلهم، واختلاف يبددهم، إنما شيعتنا من لا يهرّ هرير الكلاب[1]، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل الناس بكفّه وإن مات جوعاً[2].

والثاني: إن أعداء الإمام (روحي فداه) كثيرون، وعددهم كبير؛ ولهذا عللت الغيبة اجتماعياً[3] بقلة الناصر[4]، وهذه القلة نسبية ومنطوية على كثرة العدو، وهو ما تعبر عنه خاتمة دعاء الافتتاح بشكل دقيق حينما يقول (عجّل الله تعالى فرجه): «اللهم إنا نشكو إليك فَقْدَ نبينا (صلواتك عليه وآله)، وغيبةَ ولينا [إمامنا]، وكثرةَ عدونا، وقلّةَ عددنا، وشدةَ الفتن بنا، وتظاهرَ الزمان علينا...».

وبالنتيجة: فإن السياسات التي سيعتمدها اليماني ستنظر حتماً إلى هذه الأمور كركيزة أساسية في منطلق التحرك السياسي، بل في بناء نظريته عن التحرك السياسي.

---

(١) هرير الكلب: صوته دون نباحه.

(٢) غيبة النعماني: ٢١٠ ـ ٢١١ ب١٢ ح٤.

(٣) باعتبار أن هناك تعليلات إلهية خفيت على البشر، وأموراً أخرى متعلقة بنفس الإمام (صلوات الله عليه) لم يفصح عنها، ولهذا فإن ما يعنينا هو التعليل الاجتماعي، لأنه هو ساحة تكليفنا الشرعي تجاه الإمام (صلوات الله عليه)، أما القضايا الأخرى فهي ليست مدار التكليف البشري، لأن إرادتنا في الأقل قاصرة في التفاعل معها.

(٤) كما ظهر من الروايات المتقدمة أن العدد الرقمي والكمي للشيعة قد يكون كبيراً، ولكن عدد الذين وصلت قابلياتهم الإيمانية والمعنوية إلى الحد الذي يريده الإمام (صلوات الله عليه) قليل.

وعليه: فإننا نعتقد أنه سيستخدم لمواجهة المحطة الأولى التي سيواجه فيها مجتمعه كثيراً من الفتن، وسيغرق في أتونها، الأساليب التي من شأنها أن تخفف الضرر الناجم من هذه الفتن، فإن كانت عتبة الظهور الشريف لا بُدّ أن تتقدمها هذه الفتن، فإن تحمل استحقاقات وجود هذه الفتن، لن يكون الاستسلام لها، وإنما تجاوزها والخروج منها بأقل ضرر ممكن.

فهذه الفتن ليست هي المبتغاة[1]، بل هي محطة زمانية سيمرّ بها مجبراً، ولا هو أو مجتمعه طرف في وجودها بالضرورة، وقد تحدثت عنها الروايات بصورتَيْن:

الأولى عامة من دون توصيف مكانها ولا موضعها، كما لاحظنا ذلك في الروايات التي ذكرناها عما قليل عن البلاء الذي سيجابهه المنتظرون.

وأخرى تمَّ التحدث عنها بشكل تفصيلي، وفيها ما يمكن أن نقول بأنها خلاصة تاريخ الفتن البشرية، وسماتها العامة: الإضلال والتضليل[2]، والتقتيل، والتجويع، والتشريد، والترويع، وما إلى ذلك مما هو سمات أساسية في هذه الفتن.

---

(١) نلحظ وجود مجموعة من المنحرفين الذين قد يتحدثون عن أن هذه الفتن حينما تكون مقدمة واجبة للظهور، فإن العمل على إيجادها وتحقيقها هو من مهمة الممهدين، حتى إن استوجب ذلك أن يقع الممهدون أنفسهم في المحرم الشرعي، فإذا كان الإمام (صلوات الله عليه) لا يخرج إلا بعد أن تمتلىء الأرض بالظلم والجور، فعلى الممهدين أن يعمدوا لتهيئة أرضية انتشار الظلم والجور، حتى لو تحولوا هم إلى مرتكبي الظلم والجور، وهذا ما تعمد إليه فعلاً مجموعة من المنحرفين يسمون أنفسهم بالسلوكيين!!

وهذا أمر يمكن لنا أن نتلمسه من خلال رواية الإمام الباقر (صلوات الله عليه) حين قال: «لا يقوم القائم عليه السلام إلاّ على خوف شديد من الناس، وزلازل، وفتنة، وبلاء يصيب الناس، وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد في الناس، وتشتت في دينهم، وتغيّر من حالهم، حتى يتمنى المتمني الموت صباحاً ومساءً من عظم ما يرى من كَلَب الناس[1] وأكل بعضهم بعضاً»[2].

وبما أن المهمة التي نهض من أجلها ووضعها نصب عينيه، وعلّقت في رقبته لا تتوقف عند هذه الفتن، فإن من الطبيعي أن يشخّص أن واجبه هو المرور بها كمحطة لازمة في طريقة.

وعليه: فلا مندوحة أمامه من أن يرى أن مسؤوليته هنا هي اعتماد سياسة المداراة من دون فقد الثوابت الدينية والعقائدية، ودفع الضرر بقدر الإمكان، أو احتوائه، وبالنتيجة سنجده في الأعم الأغلب قائداً دينياً وسياسياً يتدخل في الحياة العامة السياسية وغيرها، من أجل هدف محدد بالنسبة إليه، وهو تجنيبُ شيعة الإمام (بأبي وأمي) من الضرر الذي قد يلحق بهم، أو التخفيفُ منه، أو ردُّ آثاره واحتواؤه[3].

---

(١) كَلَب الناس: عنفهم ووحشيتهم على أبناء جلدتهم.

(٢) غيبة النعماني: ٢٦٣ ب١٤ ح١٣.

(٣) هذا مؤشر مهم على أن اليماني لن يكون من متبنّيي فكرة الاعتزال عن المجتمع والذوبان فيه، وإنما يلاحظ تكليفه في الانهماك في الحياة الاجتماعية والسياسية؛ لأن ذلك هو السبيل للتعامل مع الفتنة، وهذا ما يؤشر ـ أيضاً ـ إلى أن اليماني لن يكون حال خروجه من الشخصيات المغمورة التي ستقفز بها الأحداث إلى العيان دفعة واحدة، وإنما سيكون له وجوده الفاعل في المجتمع بالشكل الذي يبني قيادته لمجتمعه، أو يشترك في ذلك بطريقة طبيعية تعتمد على الحضور الميداني والبروز التلقائي في الساحة القيادية؛ والله العالم.

بَيْدَ أن ذلك لا يعني أنه سيغفل عناصر تماسك القاعدة الاجتماعية وتحصين مؤسساتها السياسية، فلقد قلنا آنفاً بأن عملية البناء تسير بطريقة تلقائية وبمقدار ما تتيح الظروف، ولكن حينما نلحظ سياق الروايات سيكون افتراضنا بأن الساحة ستواجه ضغطاً كبيراً من عوامل عديدة، وبموجب هذا الضغط سيجعل القيادات العاملة بين خيارين، أولهما: خيار تحقيق الإنجاز، وثانيهما: خيار دفع الضرر، وما بينهما فارق كبير في الآليات والأساليب والآثار المترتبة والنتائج والاستحقاقات.

ويبدو من هذه الروايات، أن المسار الشيعي العام ستيجه باتجاه اعتماد الخيار الثاني؛ لشدة وطأة تلك الضغوط؛ إذ لا يمكن عَدُّ مبدأ تحقيق الإنجاز أمراً متيسراً، ولا سيّما بالنسبة لرجل كاليماني، الذي يضع في حسبانه أن لا منجاة على المستوى الاستراتيجي الحقيقي إلا عبر بوابة الإمام (صلوات الله عليه).

أما بالنسبة للمحطة الثانية، فيبدو أنها ملازمة للمحطة الثالثة، أي أن العنت والعنف الذي سيواجه شيعةَ الإمام عليه السلام، سيقابَل بشكل بديهي باستعدادات لرد الفعل من الذي يريد أن يصد العدوان، ويريد أن يدافع عن نفسه ويسترد حقوقه.

وفي حالة من هذا القبيل، فإن حضور المعطيين الاجتماعيين المشار إليهما، وهما قلة الناصر وكثرة الظالم، سيقابل من قبل اليماني الموعود بسياستين متناغمتين، أولاهما تعمد إلى تقوية الناصر كمّاً وكيفاً، وهذه التقوية ستأخذ كل مجالات القوة، ولعل التركيز سيكون لديه متعلقٌ بما أكثرت الروايات من الإشارة إليه، وهو التقوية المعنوية والروحية فضلاً عن العقائدية، وقد أثبتت التجربة التاريخية أنهما السلاح الأكثر مضاءً في

إحباط مساعي أعداء التشيع، ولهذا سنجد تركيزاً على المحتوى العقائدي المشار إليه سابقاً لدحر العدوان العقائدي الذي سيشن على المتشيعين للإمام (روحي فداه).

ويمكن لنا أن نتلمس جانباً من آثار ذلك في الصورة المنعكسة من الرواية الشريفة الواردة عن الإمام الهادي (صلوات الله عليه):

لولا مَن يبقى بعد غيبة قائمكمعليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالّين عليه، والذابّين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لَما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكّانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل[1].

ولهذا، ليس غريباً إذا ما وجدنا اليماني الموعود يُعنى بمثل هذا الأمر بشكل مباشر أو غيره، بل لعلّي أقطع بأن اعتماده على هذا الأسلوب سيكون هو الأشهر من بين أعماله؛ وذلك لأن أساليب الدفاع المادية ربما أشارت الروايات إلى تأخر استخدامها، أو أنها ليست من الشهرة بمكان في شخصية اليماني بقدر شهرته في المستويات الأخرى.

فقد تحدثت الروايات عن تزامن خروجه مع خروج السفياني والخراساني، وهذا الخروج هو خروج السلاح والحرب، ولكن هذا لا يعني أنه قبل هذا الخروج ليس في المصافّ القيادي المتقدم للأمة، بمعنى أن تربيته لجنده، وما يُعرف عنه في الأمة منذ البداية لن يتركز على السلاح ومنطقه، ولكن سيعرف من خلال عملية تعبئته للأمة مستفيداً من الحرص على بنائها العقائدي، وهو حسب ما يبدو سيأخذ شهرة واسعة في هذا

---

(١) الاحتجاج ٢: ٢٦٠.

المجال، بالشكل الذي سيسهم بجعل خروجه مقبولاً ومؤيداً من قبل قاعدة اجتماعية عريضة تمكّنه من أن يكون نداً لدوداً للسفياني الملعون، كما أن ذلك لن يكون ـ حتماً ـ السلاح الوحيد بين يديه لرأب صدع ضعف المنتظرين، وإنما يحتمل أن يبرز في عالم السياسة كداعم لكل أمر فيه قوة للمؤمنين، وقد يلج إلى هذا العالم من أجل هذا الهدف بالذات.

وستبرز ـ ولا شك ـ أمامه مخاطر ومعوقات كبيرة في هذا الحيز أهمها كثرة الدجالين ومنحرفي العقيدة، وكثرة أصحاب الأهواء والأدعياء، وهذا ما نراه واضحاً في روايات كثيرة.

منها: ما رواه المفضّل بن عمر الجعفي (رضوان الله عليه)، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **أما والله ليغيبنّ إمامك سنين من دهركم، وليمحّصنّ حتى يقال: مات، قُتل، هلك، في أي واد سلك؟! ولتدمعنّ عليه عيون المؤمنين، ولتكفأنّ كما تكفأ السفن بأمواج البحر، فلا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان، وأيّده بروح منه، ولترفعنّ اثنتا عشرة راية مشتبهة، لا يُدرى أيٌّ من أي!**[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام، قال: **يُصبح أحدكم وهو يرى أنه على شريعة من أمرنا، فيمسي وقد خرج منها، ويمسي وهو على شريعة من أمرنا فيصبح وقد خرج منها**[2].

وعن أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) أنه قال: **كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى، ولا علم يرى، يبرأ بعضكم من بعض؟!**[3].

---

(١) غيبة الطوسي: ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ح٢٨٥.
(٢) غيبة الطوسي: ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ح٢٨٨.
(٣) غيبة الطوسي: ٣٤١ ح٢٩١.

ومن الطبيعي أن يعمد اليماني إلى سياسة مرادفة لسياسة تقوية الناصر أيضاً، وهي إزالة عوامل الضعف التي تبتلى بها مجاميع الناصرين، وهنا فإننا نشير إلى نفس ما أشرنا إليه سابقاً، بأن عوامل التقوية لعناصر القوة وإزالة عوامل الضعف يمكن أن تأخذ بالبعدين المباشر في هذه الأمور وغير المباشر.

هذا على المستوى الأول؛ وهو سياسة حماية وتقوية المناصرين للإمام المهدي (روحي فداه).

أما على المستوى الثاني؛ فإن سياسته ستعمد إلى إضعاف الظالمين بكل ما يمكن استخدامه من وسائل الإضعاف، على أساس أن ذلك متلازم مع السياسة الأولى بشكل عضوي، فأي نجاح في تلك من دون النجاح في هذه، يبقى ناقصاً، بل ومهدداً في نفس الوقت بالتآكل لو بقيت مكامن ومواطن قوة الظلمة على حالها[1].

وما يبدو واضحاً، هو أن هذه السياسة التي سوف تستخدم في وقت

---

(١) لا بُدّ من الإشارة هنا إلى أن قسماً من الإسلاميين كانوا يفكرون لفترة بأن العمل التغييري يجب أن ينحو منحى البناء الذاتي الذي لا يُعنى بإضعاف الظالم، بقدر ما يُعنى بتقوية الناصر، باعتبار أن تقوية الناصر ستجعل الظالم ينحسر بشكل تلقائي وطبيعي من الساحة، فيتخلص المؤمنون من عناء مكافحة الظالم والابتلاء بمهمة مواجهته.
وهذا النحو من التفكير ـ لا شك ولا ريب ـ يغفل تماماً ما يمكن للظالم أن يفعله بردّة أفعاله، وكأن هذا المنحى يفترض أن المؤمنين وحدهم الموجودين في ساحة الصراع، وقد أثبتت أحداث العراق في عهد الطاغية المجرم صدام، وما بعد سقوطه، بأن هذا المنحى خاطىء تماماً؛ لأن الحصاد الذي يمكن أن يتحقق في البعد الأول، أي تقوية الناصرين يمكن أن يطاح به جملة وتفصيلاً من قبل الظالم الذي يعتبر أن أي قوة للناصرين هي ضعف له؛ ولهذا فإن هذه العوامل يجب أن تواجه بشكل متناغم ومتكافىء ووفقاً لطبيعة الظروف وأستحقاقاتها.

يكون للظلمة فيه سطوة وسيف يعمل في خدمتهم، فإنها لا تؤثر في سلامة اليماني الموعود، وتبقيه في المستوى القيادي المتقدم في المحافظة على المنتظرين والممهِّدين، فمع كونه معنياً بالدفاع عن شيعة الإمام (صلوات الله عليه)، وما يعني ذلك من مواجهته للظَّلَمة، إلا أنه يبقى محفوظاً في أمنه الذاتي.

وهذا يعني أن الظروف التي يمر بها العراق والوضع الذي يكون فيه حينذاك، فيه وضع متداخل من الناحية الأمنية بين المنتظرين وبين الظلمة، بالشكل الذي يعطي للظلمة حيزاً من إمكانية الظلم الرهيب في المناطق التي يسيطرون عليها، كما أنها تعطي حيزاً من الأمان والمكنة على العمل لمثل اليماني ومن يلوذ به في مناطق أخرى يسيطرون هم عليها، مما يعني أن لا وجود لسلطة وسيطرة دولة مركزية آنذاك، أو أنها تكون ضعيفة في مركزيتها، ولعل هذا ما تساعد عليه بعض الروايات؛ والله العالم.

يبقى الكلام في الساحة التي سيشغلها اليماني قبل خروجه، وقبل البحث في ذلك علينا أن ننتبه لموضوع أساسي، وهو أن الساحة العراقية وما يجري فيها هي الشغل الشاغل لليماني في قضية خروجه، بل لعلها الساحة الوحيدة التي سينشغل بها، فإقباله إليها، وعمله فيها، وتسابقه مع السفياني على أرجائها، وبغضّ النظر عن مناقشة مسألة الساحة التي سينطلق منها اليماني إلى الساحة العراقية، فإن هذا الأمر يؤكد لنا أن ساحة الانتظار المباشر هي ساحة العراق، والمعركة الفاصلة للمنتظرين هي في العراق أيضاً.

ولهذا، لا مندوحة للمنتظرين من أخذ ما يجري في العراق، ونصرة

مؤمنيه، وتخذيل أعدائهم ومن يقف في وجههم، وإعاقة حركتهم، بأهمية قصوى.

أما الساحة التي سيخرج منها، فعلى الرغم من أننا ناقشنا جانباً من هذا الأمر في مبحث هوية اليماني، إلا أننا سنناقشه هنا من وجهة نظر سياسية وأمنية بحتة، والنقاش سينحصر في حدود الإمكانات التي تتيح لليماني من الناحية الموضوعية البحتة أن يتحرك بحيث يكون كأحد الفحلين المتسابقين مع السفياني، ولنا هنا أن نلاحظ ما يلي:

أولاً: احتياج الراية اليمانية هذه إلى بيئة اجتماعية تدعم القتال وتمدّه بالعدّة والعدد، وبما أن هذه الراية متعلقة بالهدى، فإن احتياجاتها الموضوعية ستتمحور في بيئة شيعية خالصة يمكن لها أن توفر هذا الطلب وتلبي الاحتياج.

ثانياً: إن هذه البيئة لا ينشأ فيها الاهتمام التفصيلي بالشأن العراقي في عشية الحدث، وإنما هي تعايشه بآلامه وآماله منذ فترة سابقة كافية لتبلور معه دوافع التضحية والفدائية ونكران الذات من أجل ما يجري في هذا الشأن، حتى تستطيع أن تلبي متطلبات ذلك، وبصورة يمكن معها أن تربي قواعدها الاجتماعية على عملية التلبية لاحتياجات الراية ومتطلباتها.

ثالثاً: إن هذه البيئة تقبل اليماني كقائد لها ضمن النسق الطبيعي لقبول القيادات، فالأحداث هي التي تبرز القيادات وتظهرها، ولا تبرز هذه القيادات بقرار من أي جهة، اللهم إلا أن يكون القرار من جهة تطمئن إليها الناس، كالمرجعية وما إلى ذلك، وهذا الأمر قد يصلح لعامة

الناس، ولكنه لا يصنع من اليماني قائداً ميدانياً، إلا من خلال المكابدة الحقيقية لمسائل الميدان، ولا يوجد في البال تصور بأن هناك جهة عليا ـ مرجعية أو غيرها ـ تسمي قيادةً للناس من دون أن تعرف أن هذه القيادة قادرة على فعل المطلوب، نتيجة لما تراه من تجربة وتفاعل مع مختلف مسائل الدفاع عن المظلومين، ولاسيما أن من غير المعقول أن يأتي اليماني ويطرح نفسه للناس بأنه هو اليماني الموعود.

وتساعد على ذلك نظرية إخفاء شخصه بسبب ظروفه الأمنية على ما يبدو، التي حرصت الروايات على التأكيد عليها؛ ولهذا، فلا يعقل أنه سيعلن للناس أنه هو اليماني[1]، بل ربما لا يعرف هو نفسه أنه هو اليماني المقصود، بل قد يتصدى الإمام (صلوات الله عليه) للتعريف به بعد خروجه، كما أشرنا من قبل، ولا يوجد أي دليل بأنه سيعرف باليماني أثناء خروجه، فضلاً عن مرحلة ما قبل خروجه.

ولعل تشديد القول في الذين لا يتبعوه وحرمة عصيانه والتخلف عنه ووجوب نصرته ـ كما أشارت الرواية الشريفة ـ يبرز لنا أن تشخيص قياديته سيمر بالمراحل الموضوعية لبروز القيادات، أما التنصيب فإنه حتى لو حصل من قبل المرجعية أو غيرها، إنما يأتي لبروزٍ سابق له في الميدان، وليس بالضرورة أن تكون المرجعية أو غيرها عالمة بأن هذا الرجل المنصوب من قبلها هو اليماني الموعود.

---

(١) وحتى لو أعلن ذلك، فإنه سيكون بحاجة لآليات تجمع الناس يصدقونه، ولا يوجد عندئذ غير الميدان الذي يثبت وحده أنه صادق في ما يدعي، مما يؤكد نظرية الانبثاق الطبيعي له داخل ساحته، وإن كنتُ أعتقد أنه لن يكون مشغولاً في إثبات كونه هو اليماني، فالانشغال الوحيد الذي ترينا إياه الروايات، هو التمهيد للإمام (صلوات الله عليه) ورايته وحقّه وطريقه المستقيم.

رابعاً: إن هذه البيئة ورايتها الميمونة لديها بوّابات طبيعية لدخول ساحة الحدث، فهي إما عراقية تعمل من الداخل، وبالتالي تستطيع أن تتواصل مع الحدث دون جهد، فهي داخله فيه ومتشابكة معه أساساً؛ أو غير عراقية لكن لديها مكنة وقدرة متاخمة للحدود العراقية، بحيث تستطيع أن تخترق هذه الحدود للوصول إلى ساحة الحدث لتشترك فيه دون عناء يُذكر.

وعليه: فإن عملية البحث عن ساحة اليماني عشية خروجه ستقترن باحتمالات ثلاثة، هي:

أ ـ إما أن يكون قائد الراية عراقياً، وجيشها عراقياً، وساحتها عراقية.

ب ـ أو يكون اليماني وافداً كقائد من خارج العراق، بتكليف مباشر من الإمام (صلوات الله عليه)، أو نتيجة لوعيه وبصيرته بالروايات الواردة عن أهل البيت (صلوات الله عليهم)، ذلك الذي يجرّه إلى اعتماد خيار العراق للنهوض، نتيجة لما يجد في بيئة العراق من استعدادات لكي يستنهضها للخروج برايته، أو يعمل على أن تكون بيئة العراق بيئة لنهضته وحركة رايته.

جـ ـ وإما أن يكون اليماني وجيشه كله من خارج العراق، ويتعامل مع الموضوع العراقي بدواعي رفع الظلم الذي يقع على شيعة أهل البيت عليهم السلام، وتبدأ حركته بمجابهة حركة السفياني الملعون نتيجة لذلك.

ولا كلام لنا فيما إذا كانت الراية عراقية هي وصاحبها؛ لأن الأمور ستتخذ نسقاً طبيعياً دونما تعقيد، وعندئذ ستتوفر الشروط الموضوعية للحركة بشكل تلقائي، فما دام هو في العراق، فإن قيادته ستكون منبثقة

بشكل طبيعي من رحم الأحداث العراقية، وبالتالي فإن مقبوليته بالنسبة لخاصة المؤمنين ستكون تلقائية، وهي لا تنجم عن كونه هو اليماني، وإنما تنجم عن كونه صادقاً في حمل أعباء قضية هؤلاء المؤمنين، وبالتالي فإن تلبية العدة والعدد فضلاً عن الدخول إلى ميدان المعركة كلها ستتم بطريقة انسيابية طبيعية.

ولعل التلازم الزماني بين حركة الرايات الثلاث، كما أشير إليها في الروايات المتقدمة، وبالطريقة التي تُحدّثنا في شأن التسابق كفرسَي الرهان بين السفياني والخراساني واليماني، والتلازم الذي رأيناه بين الخراساني واليماني، وكذا ما أشير إليه في طبيعة الرواية الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام حول نظام الخرز، التي تجعل ردة فعل اليماني متقدمة على ردة فعل الخراساني، ما يشعرنا أن اليماني هو الأقرب للسفياني في ساحة المعركة من الخراساني.

كما أن التلازم الزماني الذي طرحته الروايات تشير إلى أن الاستعداد المعنوي لمعركة العراق لا يقتصر على اليماني، وإنما يرتبط بجيشه أيضاً؛ لأن إقناع هذا الجيش بخوض معركة في خارج أراضيه واستعداده لها يتطلب وقتاً ليس بالقليل حتماً، وهو بالنتيجة مهما قلّ لا يتناسب مع سرعة التحرك الذي وصف بأنه في ساعة واحدة مع تحرك السفياني الملعون والخراساني.

وهذا بمجموعه يعطينا تأكيداً مهماً للغاية لهذا الاحتمال، ولما بعده في الاحتمال الثاني، بل لعله الأهم؛ فتأمّل!

أما الكلام في الاحتمال الثاني، فهو من حيث الأصل مقبول،

ومحتمل الوقوع أيضاً، بل ربما تساعد الروايات عليه؛ لاستخدام الروايات مفردة الإقبال، كما في روايتَيْ الكافي والنعماني المتقدمتين[1]، على فرض أن الإقبال سيكون من خارج الحدود العراقية، وهو ـ أي مصطلح الحدود ـ لا تنظر إليه الروايات؛ لأن هذا المصطلح من مستحدثات الزمن المعاصر، ولكن هذا الإقبال هل سيكون في وقت حدث خروجه؟ أم أنه سيأتي إلى العراق قبل ذلك؟[2] وقد يكون بوقت طويل لعدم وجود دلالة على الإقبال من الخارج في وقت قريب من الحديث، كما قد تبين قبل ذلك.

فإن كان الإقبال وقت خروجه، عندئذ سنترك الحديث عن ذلك للاحتمال الثالث، أو أن يكون قبل حصول ذلك بمدة، فإن هذا الأمر سيلتقي عندئذ مع الاحتمال الأول، وبالنتيجة لن تكون هناك معوقات، ولا يعنينا هنا هل سيكون اليماني عراقياً أو غير عراقي؟ بمقدار أهمية أن يكون قادراً على خلق انبثاق طبيعي لقياديته ومحوريته الدينية والسياسية بالشكل الذي يجعله يخوض في الشأن الأمني بصورة طبيعية جداً لا تخلق أمام تعقيدات هو وحركته في غنىً عنها.

---

(١) الكافي ٨: ٢٢٥ ح٢٨٥، وغيبة النعماني: ٢٧٨ ب١٤ ح٤٢.

(٢) استخدمت الروايات الشريفة أفعال (سار، وأقبل، وتحرك) وهي تتحدث عن حركة اليماني، وهذه الأفعال لا تتعلق بالضرورة بمسألة خروج اليماني التي تم التوقيت لها بشكل محدد، وأطلق عليها مصطلح (الخروج)، التي أشير إليها ضمن دائرة (نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً)، أي بشكلٍ متسلسل ومتوالٍ، مما يعني تزامن خروجه لدفع الظلم السفياني مع حركة السفياني اللعين، ولكن كلمة (سار) و(أقبل) وما شاكل يمكن أن تتم قبل تفعيل هذه الدائرة، فقد يقبل من مكان إلى آخر ولكنه لا ينشر راية القتال الدفاعي بمجرد إقباله وسيره وتحركه إلى مكانه الأخير، ذلك بالرغم من أن كلمة (التحرك) تنطبق على الاثنين، أي يمكن أن تصور عملية خروجه من مكانه الأول إلى الثاني أو أن تشير إلى تحركه بمعنى خروجه.

وعليه: فإن الإقبال الذي نتحدث عنه سيكون بحاجة إلى مدة كافية، ولو أخذنا بذلك ـ أي كونه ليس من العراق ـ فإن هذا يعني أن وجود هذا الرجل في الأراضي العراقية سيكون قبل خروجه بمدة طويلة نسبياً، فلا تغفل!

أما الاحتمال الثالث، الذي يجري له الترويج في أوساط عديدة، وبإسقاطات غريبة لبعض أشخاص اليوم على هذه الشخصية، فإنه سيضعنا أمام المعطيات الأساسية التالية:

أ ـ إن التجمعات الشيعية خارج العراق التي يمكن أن نفترض إمكانية أن يكون فيها بيئة مهيأة للإمداد اللوجستي لجيش اليماني هي لبنان والبحرين وإيران وشمال الحجاز وشرقه، وتجوّزاً نضع اليمن على فرض أن المستقبل ـ حتى يوم خروج اليماني ـ ربما يتكفل بإيجاد مثل هذه البيئة المنعدمة حالياً.

وقد لاحظ البعض إن التجمعات الشيعية المنتشرة في بلدان أخرى يمكن لها أن تلعب مثل هذا الدور، كما ويمكن لغير البحرين أن تلعب مثل هذا الدور إن كان المقصود الإمداد اللوجستي بصورته العامة، فشيعة الخليج وشيعة أوروبا على سبيل المثال يمكن لها أن يلعبوا أدواراً جوهرية في هذا المجال، ولكن مع إقرارنا بذلك، ولكن ما نقصده يختلف تماماً عن ذلك، فنحن لا نتحدث عن الحاضرة الشيعية، بقدر ما نتحدث عن التجمع ضمن بعيديه الجيو ـ سياسي أي المكان والجماعة، فالمكان الذي تنشأ فيه الجماعة الداعمة وتنطلق منه بعنوانها جيشاً، لا بعنوانه جماعات داعمة ومساندة هو المقصود.

ب: إن التجمع الذي سيُنتخب من هذه الدول لديه إمكانيات دولة أو

ما يشبه ذلك، بالصورة التي يكون معها قادراً على مجابهة الطغيان السفياني الذي يمكن أن يوصف بأنه قائم على أساس عسكري قوي جداً، وبالشكل الذي نراه كما هو منطوق الروايات يقاتل في أكثر من جبهة بعد انتصاره العظيم في قرقيسيا، وتدين له الأمصار الخمسة، ويتحرك باتجاه مكة والمدينة.

ويجب أن لا نغفل عن حقيقة أننا هنا لا نتحدث عن مجرد جماعة يجمعها الحدث وتتحرك بعد نشوئه، بل هي جماعة مستعدة بكامل طاقتها وتجهيزها قبل الحدث، وهذا وحده الذي يستطيع أن يمكنها لكي تخرج مع السفياني والخراساني في عام واحد في شهر واحد في يوم واحد، كما هو وصف الحديث الشريف، ومثل هذا التقدير يجعلنا أمام حقيقةِ مجموعةٍ قادرة على أن تكون آمنة في محل تجمعها قبل الانطلاق، بالشكل الذي يمكنها أن تبني أوضاعها دونما مخاطر وإعاقات جوهرية من جهة جانبية، مما يرجعنا إلى القول بأن مكان هذه الجماعة إما أن يحكي عن دولة تتسلط عليها هذه الجماعة، أو أن يكون وضع الدولة مشلولاً أو ضعيفاً أو مطاوعاً لها بالطريقة التي لا نجد فيها تأثيراً سلبياً يعتدّ به.

وبملاحقة هذه القضايا ميدانياً وفق حسابات يوم اليماني، لا حسابات زماننا هذا، فإننا سنجد أن **شيعة لبنان** سيكونون ـ في أفضل الاحتمالات ـ محجوزين وممنوعين عن التدخل في الشأن العراقي ـ هذا لو أرادوا التدخل ومكّنتهم ظروفهم من ذلك ـ بسبب وجود جيش السفياني الذي سيستولي على مقدار كبير من لبنان في الأقل، فضلاً عن حجزه الحدود العراقية من الجهة الغربية للعراق؛ لأنه سيكون على الحدود العراقية السورية والعراقية الأردنية.

ولهذا، فإن افتراض شيعة لبنان سيسقط بسبب عدم وجود حدود مشتركة أو أي منفذ لهم لدخول ساحة معركة اليماني، هذا بالرغم من أن بعض الروايات تشير إلى انشغال اللبنانيين بجراحاتهم يومذاك، ولعل ما يؤكد ذلك قلة أبدال الشام القادمين صوب الإمام (روحي فداه) في الروايات، وهو ما لا يتناسب مع كون جيش اليماني منهم.

أما شيعة البحرين، وما يفترض أن منفذهم سيكون هو البصرة بناء على المنفذ البحري، فعلاوة على كونه مستبعد جداً من الناحية العملية، لأنه لا يشار لهم في الروايات بإشارات ذات دلالة في هذا المجال، رغم أن تعاطف البحرينيين مع الموضوعات الشيعية في البلدان كافة شهد حرارة يُشهد لها في التاريخ، إلا أننا هنا نتحدث عن إمكانيات دولة أو ما يشبهها تستطيع أن تحارب في دولة أخرى أمام جيش له إمكانية دولة إقليمية كبرى؛ ولهذا فانتبه!

أما اليمن، فإن عدم وجود حدود مشتركة تقضي على أي احتمال في هذا الصدد، ولاسيّما أن الروايات تشير إلى وجود دولة مركزية يومذاك في الحجاز تعمل ضد الإمام (روحي فداه) وشيعته، وهي بالنتيجة ستكون حاجزاً جغرافياً أساسياً ضد أي تحرك من هذا القبيل لو كان له وجود؛ فلا تغفل!

أما إيران، فرغم الإشارات الواضحة في الروايات التي تشير إلى إمكانياتها العظيمة آنذاك، إلا أن من الواضح أن لديها مشروعها الخاص، المتمثل بجيش الخراساني، وضمنه مجاميع الطالقان المشار إليها في الروايات.

أما الخراساني فإنه يتحرك ـ كما هو معلوم ـ متزامناً مع جيشَي

اليماني والسفياني كفرسَي رهان؛ إذ تشير الروايات إلى أن الحدود الإيرانية العراقية ستكون مستنفرة من جهتَي البصرة وخانقين لجيش الخراساني على ما يبدو.

وربما سيكون الوضع بقربها مهيئاً لجيش الغضب، الذي يتجمع قزعاً[1] كقزع الخريف (أي المجاميع والأفراد القليلة) كما تشير إلى ذلك رواية الشيخ النعماني في (الغيبة) عن أمير المؤمنين(صلوات الله عليه) وهو يتحدث عن جيش الغضب، قال: «أولئك قوم يأتون في آخر الزمان، قزع كقزع الخريف، والرجل والرجلان والثلاثة من كل قبيلة حتى يبلغ تسعة، أمَا والله إني لأعرف أميرهم وأسمه، ومناخ ركابهم؛ ثم نهض وهو يقول: باقراً باقراً باقراً؛ ثم قال: ذلك رجل من ذريتي، يبقر الحديث بقراً»[2].

وفي حديث آخر عن الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وهو يجيب عن تبريرات بعض الخوارج بأنهم إنما خرجوا طلباً لجيش الغضب، فقال: «ويحكما! وهل في ولايتي غضب؟! أوَيكون الغضبُ حتى يكون من البلاء كذا وكذا؟! ثم يجتمعون قزعاً كقزع الخريف من القبائل ما بين الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة والخمسة والستة والسبعة والثمانية والتسعة والعشرة»[3].

على أن فرض وجود قدرات تكنولوجية قادرة على إلغاء الحدود المباشرة، كما هو الحال في الطائرات وغيرها، مما يفسح المجال

---

(١) القزع: قطع رقيقة من السحاب.
(٢) غيبة النعماني: ٣١١ ب٢٠ ح١.
(٣) غيبة النعماني: ٣١٢ ب٢٠ ح٢.

لليمن ولبنان وربما دول أخرى للدخول في هذا الموضوع، مستبعد جداً، بل هو إلى المحال أقرب، فبالرغم من أننا لا نمتلك دليلاً على أن التقنية الجوية ستنتفي آنذاك، بل العكس هو الظاهر؛ إذ إن طريقة نقل أصحاب الإمام (روحي فداه) المشار إليها في بعض الروايات هي عبر السحاب[1]، وكذا نزول الإمام (بأبي وأمي) في الكوفة في قباب من نور، كما في روايات أخرىٰ، تتحدث عن تأكيد وجود التقنية الجوية، ولعلها متقدمة على ما موجود لدينا اليوم، ولكننا حينما نتحدث عن نقل جيش بكامله، مع ما يحتاجه هذا الجيش من أسلحة ومعدات، فسنتحدث حتماً عندئذ عن مطارات وجسر جوي وطائرات قتال جوي لحماية الجسر وما إلى ذلك، مما يعني أننا سنتحدث عن دولة لليماني يتصرف فيها بعنوانه القائد لها، وهذا مما لا نجد له أي أثر في معركة اليماني والسفياني.

فمن الواضح أن المعارك ستكون برية، وتشير إلى ذلك كلمة اللحاق بجيش السفياني أثناء انسحابه من الكوفة لاستخلاص ما غنمه منها، وهي كلمة معركة برية وليس خلافها؛ فتأمّل!

وعليه: فإن حدود المعركة من الناحية الموضوعية لا تسمح لقيادات من الخارج تريد أن تدخل المعركة في عشيتها، فضلاً عن قيادات لها جيوش وامتدادات داعمة، وبالتالي فإن هذا الاحتمال يسقط عن دائرة القبول؛ فتأمّل! عصمنا الله وإياكم من الزلل.

---

(١) في رواية للنعماني بسنده إلى المفضل بن عمر الجعفي، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: منهم (أي أصحاب الإمام عليه السلام) من يفقد من فراشه ليلاً فيصبح بمكة، ومنهم من يُرى يسير في السحاب نهاراً.. (غيبة النعماني: ٣٢٦ ـ ٣٢٧ ب٢٠ ح٣).

ملاحظة مركزية ختامية لهذا الفصل:

إن هذه الملاحظات المثبتة أعلاه، لا نريد لها أن تسقط تاريخياً على فترة زمانية حالية أو مستقبلية، بالشكل الذي يمكن معه أن يقال: إن هذا الزمن هو زمن الظهور، أو عكسه، فهذه الأمور ليست بيدنا، فقد يكون خروج اليماني الموعود بعد عشرات أو مئات السنين، وقد يكون العكس صحيحاً، أي أن خروجه قريب جداً، فلقد مرَّ التشيع بظروف غاية في القسوة فيما سبق، حتى بدا للناس أن ما حصل أيام المغول ـ على سبيل المثال ـ حين غزوهم بغداد من ظلم وجور وأهوال وفجائع هو عين ما تحدثت به روايات ما قبل الظهور المباشر، ولهذا توقعوا نهاية المطاف، ولكن شاء الله أن يحوّل المغول على أيدي علماء الإسلام كنصير الدين الطوسي وابن العلقمي وأمثالهم، من وثنيّي الديانة إلى موحّدين مسلمين، لتنقلب المسيرة إلى شكل مختلف.

وإن هذا يقودني إلى تنبيه عشّاق الإمام (روحي فداه) ومنتظريه، أن لا يعوّلوا كثيراً على معرفة الأشخاص والتعريف بهم، فهذا الطريق فيه مخاطر كثيرة، وفيه إغراءات كبيرة لأصحاب الأهواء، وأن يعتمدوا بدلاً عن ذلك التركيز على معرفة مناهج عمل الأشخاص، فليس المهم أن نعرف من هو اليماني كهوية شخصية، ولكن من المهم جداً أن نتعرف على منهجه وطبيعة عمله، حتى إذا ما شخّصنا أن رايته هي الراية المطلوبة من بين الرايات تحركنا لتطبيق هذا المنهج، الذي لا ضرر في تطبيقه، لأنه يقوم على أسس لا تخل بالمسيرة العامة، فإن كان الزمان زمانه وجدنا أنفسنا قريبين منه وفي ساحته، وبالنتيجة لن نصاب في مشكلة

الالتواء عليه وعدم نصرته، وإن لم يكن الزمان زمانه فزنا بتوفيق نصرة الشيعة والسعي لاتّباع خطى الإمام (صلوات الله عليه).

أما الانشغال بأن فلاناً أو علاناً هو اليماني أو شعيب بن صالح أو الخراساني أو ما إلى ذلك، مما يجري في بعض منتديات المنتظرين ومحافلهم وتصوّراتهم، فهو انشغال بلا طائل وبلا ثمر، إن لم يتوخّ الوصول إلى مناهج الهداية لدى هؤلاء، بل هو إلى إرضاء الفضول الشخصي أقرب منه إلى الحرص على المعرفة من أجل العمل، فالانتظار مطلوب دوماً بوجود هؤلاء وبعدمه، والعمل بمعايير التدين والتقوى مطلوب في كل آن، وهو الذي يقرّب من هؤلاء، وغير هذا العمل يبعد عنهم، أما معرفتهم لو تيسرت لبعضهم فلا فائدة منها من دون أن يكون الإنسان في محتواه الداخلي موفقاً، وحين يكون موفقاً فلا ريب أنه لن يستعجل التعرف على هذه الشخصيات، ومن يريد التوفيق عليه أن يحسن العمل من أجل الوصول إلى المنهج الخاص بالشخصيات الهادية.

أقول ذلك لا من أجل أن أثبّط أو أحبط مسعى التائقين لظهوره وهم يرجون أن يكون هذا الزمان هو زمانه، وهذه الأيام هي مقدمة أيامه، فأنا أجد أن إرهاصات الظهور الشريف باتت في متناول الأفق إن شاء الله تعالى، ولكن علَيَّ التنبيه إلى أن المطلوب من الظهور بالنسبة لنا أن يكون الإمام (روحي فداه) راضياً عنا.

ولهذا، فإن الأصل في الاستعجال في ظهور الإمام (صلوات الله عليه) يجب أن ينصبّ على أن أكون مرضياً عند الإمام المهدي (روحي فداه)، وبغيره فقد يتحول الظهور نقمة علَيَّ (نستجير بالله من ذلك) بعد أن

يتحول رحمة لشيعته وعاشقيه، ولهذا فإذا كان أصل الظهور ليس من تكليفنا، وإنما هو أمر خاص بالإمام (بأبي وأمي) ولطف من الله تعالى، فإن المطلوب عندئذ أن نعمل بتكليفنا في كسب رضا الإمام (صلوات الله عليه) عنا، والعمل بمقتضيات الانتظار الفاعل له، وهذا التكليف يتعلق بنا سواء ظهر الإمام أو لم يظهر، فالتكليف المتعلق بنا هو طاعته (صلوات الله عليه)، وليس أكثر من ذلك، ولا أقل.

الفصل الرابع

راية اليماني والدلالة عليها

المبحث الأوّل: لماذا أهدى الرّايات؟

في رواية طويلة لأبي بصير يرويها عن الإمام الباقر (صلوات الله عليه)، وصف فيها الرايات الثلاث، ثم قال عن اليماني: **وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني، هي راية هدى لأنه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليماني، حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم، وإذا خرج اليماني فانهض إليه، فإن رايته راية هدى، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم**[1].

وفي رواية بكر بن محمد الأزدي، عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه)، قال: **وليس فيها راية أهدى من راية اليماني، يهدي إلى الحق**[2].

مثل هذه الروايات الشريفة تدفع بالباحث إلى أن يثير جملة من التساؤلات أهمها: لماذا عُدّ اليماني أهدى الرايات دون غيره من الرايات؟! مع العلم بأن الرايات الشيعية المؤمنة التي تمّت الإشارة إليها ليست بقليلة، وفي بعضها من الخطورة ما يجعل حظها في هذا الوصف

---

(١) غيبة النعماني: ٢٦٤ ب ح١٣.

(٢) غيبة الطوسي: ٤٤٦ ـ ٤٤٧ ح٤٤٣.

عالياً، كما هو الحال في راية الخراساني، التي يتقدمها قائد جيوش الإمام المهدي (صلوات الله عليه) شعيب بن صالح، وراية الحسني الذي سيكون له دور كبير في عصرَي التمهيد والظهور الشريف للإمام، ولكن رغم ذلك لم تحظ هذه الرايات بهذا الوصف!! ولذلك لا بُدّ من توقف عند هذا السؤال لكي نعرف حقيقة الأمر.

ولعل حرمان راية الخراساني من هذا الوصف بالرغم من أنها تنطوي على عدد كبير من أصحاب الإمام (روحي فداه)، وفيها جنود الطالقان ـ على ما يبدو الممدوحين بشدة[1]، كما أن فيها مثل شعيب بن صالح، ما يجعل الوصف مثيراً ومقلقاً في آن واحد.

فهو مثير؛ لأن مثل هذه الكفاءات قد حُرمت مثل هذا الوصف، وهو مقلق؛ لأن رجالاً بهذا المستوى لم ينالوا مثل هذه الدرجة، فمن الذي سينالها؟!! وعن أي هدىً تتحدث الروايات الشريفة حتى إن مثل هؤلاء لا ينالون ذلك؟!

وتتأكد هذه الإثارات حينما نجد أن مصطلح «**أهدى الرايات**» لا يمكن القول بأنه جاء مدحاً اعتباطياً لا يستهدف التأثير على واقع القاعدة

---

(١) ورد في طالقان ورجالها أحاديث عديدة تمدحهم بشدة في كتب العامة والخاصة، منها: ما رواه الشيخ الصدوق بإسناده عن الإمام الجواد عليه السلام، عن آبائه، عن جدّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في حديث طويل، قال: وله بالطالقان كنوز لا ذهب ولا فضة، إلا خيول مطهمة، ورجال مسوّمة. (كمال الدين وتمام النعمة: ٢٦٨ ب٢٤ ح١١). ومنها: ما رواه الحسن بن سليمان الحلي في (مختصر بصائر الدرجات) بإسناده عن المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل، قال: فتجيبه كنوز الله بالطالقان، كنوز وأي كنوز، لا من ذهب ولا من فضة، بل هي رجال كزبر الحديد، لكأني أنظر إليهم عن البراذين الشهب، بأيديهم الحراب، يتعاوون شوقاً إلى الحرب كما تتعاوى الذئاب، أميرهم رجل من تميم، يقال له: شعيب بن صالح. (مختصر بصائر الدرجات: ٤٥١ ـ ٤٥٢ ح٥١٢).

الاجتماعية والدينية التي سيعايشها اليماني وبقية أصحاب الرايات، وإنما هو بالتأكيد أطلق من أجل إيجاد التأثير اللازم لإنجاح مهمة اليماني وتقوية قاعدته الناهضة للتمهيد المباشر للإمام (عجَّل الله تعالى فرجه).

ولكن هذا الحرمان من موقع «**أهدى الرايات**» لا يحسم الأمور كلها بالضرورة بهذا الاتجاه[1]؛ إذ يمكن القول بأن هذا الحرمان ينظر إلى حدود معينة، دون أن نجد دليلاً على أنه ينسحب لأمور أخرى، فربما يكون الخراساني وثلة من أصحابه من حيث التدين والالتزام الذاتي الشخصي في موضع قد لا ينطبق مع هذا الحرمان، وقد يكون اليماني بشخصه وذاته من حيث بعض المواصفات لا يرقى إلى استحقاقات هذا المستوى من دون تسديد وتوفيق خاص؛ إذ إن الملاحظ أن الهدى الذي تتحدث عنه الرواية متعلق بطبيعة ما يحمله من همّ، ويسعى إليه من هدف.

فالتعليل الوارد في الرواية الشريفة منصبٌّ على دعوته ورايته، فهو وفق وصفها «**يدعو إلى صاحبكم**»، و«**يدعو إلى الحق**»[2]، وفي النواهي الواردة أيضاً لم يُنظر إلى الشخص، وإنما النواهي صدرت بخصوص

---

(١) نقول ذلك على مستوى الجدل في القضايا، وإن كان المانع من حصول ذلك مرتفعاً؛ إذ يمكن أن تكون الأمور بهذا الشكل، ولكن طبيعة القضايا، ومثل هذا التوفيق يرتبط في كثير من الأحيان بطبيعة المواصفات الذاتية والمؤهلات الخاصة التي تسمح لمثل اليماني الموعود بأن يتبوأ هذا الموضع الجليل، وإلا لما وجدنا تلك الأوصاف العظيمة تنهال عليه من قبل الأئمة (صلوات الله عليهم) ويحرم منها الآخرون، ولذلك فتأمل.

(٢) لا شك أن هذه الأوصاف تنظر إلى منهجه كما وتنظر إلى شخصه، فهو الذي يدعو إلى الحق، والدعوة إلى الحق لا تكون إلا بعد تيقن الداعي به، وبالتالي فإن هذه الأوصاف تنسحب على الشخص مع إنها واضحة في المنهج، وكما أشرت آنفاً فإن الحديث هنا للجدل، من أجل توضيح المواصفات الموضوعية المرتبطة بالمنهج، والله العالم.

الموقف من هذه الدعوة ومنهاجها «**وجوب النهوض إليه**»، و«**لا يحل الالتواء عليه**»، و«**فمن فعل ذلك فهو من أهل النار**».

وحينما يكون الأمر بهذه الصورة، فإن الروايات لم تطرح صفة «**أهدى الرايات**» وهي ناظرة إلى الكفاءات القتالية، أو نمطية الاستعدادات الإدارية، وآليات الإدارة لديه، أو أي أمر من أمور الدنيا، فهذه بطبيعتها مع إقرارنا بأهميتها إلا أنها أمور فنية يمكن أن يمتلكها البر والفاجر دون أن تعطيه أي نمط من أنماط الهدى وغيره، ولهذا فهي ليست أدوات الترجيح الفاصلة بين الطرفين كما حاول بعضهم أن يفسر ذلك في هذا الاتجاه[1].

---

(١) قال الفاضل مؤلف كتاب (عصر الظهور): يحتمل أن يكون السبب في ذلك أن الأسلوب الإداري الذي يستعمله اليماني في قيادته السياسية وإدارة اليمن (كذا) أصح وأقرب إلى النمط الإداري الإسلامي في بساطته وحسمه، بينما لا تخلو دولة الإيرانيين من تعقيد الروتين وشوائبه، فيرجع الفرق بين التجربتين إلى طبيعة البساطة والقبيلة في المجتمع اليماني، وطبيعة الوراثة الحضارية والتركيب في المجتمع الإيراني، فاليماني يستعمل السياسة الحاسمة مع جهازه التنفيذي، سواء في اختيار نوعياته، ومحاسبته الدائمة والشديدة لهم، وهي السياسة التي يأمر بها الإسلام ولي الأمر أن يتبعها مع عماله، كما في عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى عامله في مصر مالك الأشتر (رضي الله عنه)، وكما ورد في صفات المهدي عليه السلام أنه شديد على العمال رحيم بالمساكين.
بينما لا يتبنى الإيرانيون هذه السياسة، ولا يعاقبون المسؤول المقصر أو الخائن على ملأ الناس ليكون عبرة لغيره، خشية أن يؤدي ذلك إلى تضعيف الدولة الإسلامية التي هي كيان الإسلام. (عصر الظهور: ١١٦).
ومن الواضح أن الكاتب الفاضل أسقط روايات التمهيد على التجربة الإيرانية المعاصرة، وهو إسقاط قد يكون صحيحاً وقد لا يكون؛ لأن التمهيد قد لا يكون في هذا الزمن، وأمرٌ آخر هو أن هذه الأمور ليست هي معايير الهدى لكي تكون مرجحات، وإنما هي تحسينات فنية قد يمتلكها الكافر، بل قد يكون أشد من ذلك في التزام المعايير الإدارية الصحيحة من دون أن يعطيه ذلك فرصة في الترجيح؛ فلا تغفل!

وإنما طُرحت هذه الصفة وهي ناظرة إلى طبيعة هدف اليماني في معركة التمهيد، أو باستراتيجياتها، فعلى ما يبدو أن رايته لا ترتبط بأهداف غير هدف التمهيد، ولا تنشغل بأهداف سياسية لأغراض غير أغراض هذا الهدف، في الأقل في وقت الخروج، وإن كان ذلك مستبعداً؛ إذ إن الأمور تشخّص من بداياتها في العادة، ولكن على أي حال فإن اليماني في دعوته وأهدافه، يكون من الصدق في التوجه نحو هدف التمهيد بالشكل الذي يتميز عن بقية الرايات التي قد تنشغل بأهداف أخرى لا علاقة لها بالتمهيد، ولكنها قد تكون ضمن واجبها الشرعي أيضاً.

فلو افترضنا أن يكون الخراساني صاحب دولة في إيران على ما يبدو من ظاهر الروايات، ولهذا فهو يحمل هموم نجاح هذه الدولة ببعدها الوطني بشكل تلقائي، وقد يعدّ ذلك من أهم واجباته الشرعية الدينية، ولكن لا يكون توجهه الرئيس ناظراً إلى أهداف التمهيد للإمام (روحي فداه)، ولكنه تسلّم مسؤولية يَعدّ النهوض بها هو الواجب الشرعي الملقى على عاتقه، فهو من المعتقدين بالحق، ولكنه لا يحمل همّ التمهيد للإمام (روحي فداه) كعنوان رئيس، بل قد يحمله بالعناوين الثانوية المتأخرة.

وهكذا الأمر بالنسبة إلى شعيب بن صالح ونظرائه من أصحاب الطالقان، أو أنصار الإمام (روحي فداه) الذين يعملون في بادىء الأمر تحت راية الخراساني.

وهو نفس الأمر بالنسبة إلى الحسني، الذي يبدو لنا أنه عراقي، ويدخل الوضع السياسي في واجهته المعلنة ببعده الوطني لا بالعنوان المهدوي، فهو من المعتقدين براية الحق على ما يبدو ورايته أيضاً، ولكن هموم هذه الراية المعلنة على الأقل بقدر الأبعاد الوطنية لها؛ فتأمّل!!

ومن الناحية الإستراتيجية، فإن كون اليماني هو في أرض الحدث المفضي مباشرة إلى الظهور الشريف والمؤثر به، أي في العراق، والخراساني وشعيب وأمثالهما يكونان في أرض خارجة عن أرض الحدث، وتؤثر فيه بالتبع وليس مباشرة، ولهذا فإن رايته قد توصف بهذا الوصف بشكل تلقائي؛ لأنها الأكثر مساساً في شأن الظهور الشريف للإمام المنتظر (صلوات الله عليه).

وقد يعلل الأمر ـ كما رجّح ذلك في تحليله أحد الأفاضل ـ بأن الإمام (عجَّل الله تعالى فرجه الشريف) يشرّف هذه الراية بالتوجيه المباشر منه، وأنها جزء مباشر من خطة حركته عليه السلام، وأن اليماني يتشرّف بلقائه، ويأخذ توجيهه منه[1].

وهذا التعليل وإن كان محتملاً من حيث المبدأ، إلا أنه ليس سبباً مقبولاً للترجيح لكي يمكن التحاجج به، ولا سيّما أن ذلك لا يمكن أن يكون سبباً ظاهراً لكي يمكن تشخيص أن اليماني هو أهدى الرايات، فمع منع الحديث عن مشاهدة الإمام (روحي فداه) التي تعني التشريع وما يقرب منه، والأمر بتكذيب من يدّعيها[2]، كيف يمكن الاستدلال بوقوع هذا الأمر؟!

---

(١) عصر الظهور: ١١٧.

(٢) ورد في أحاديث عديدة تكذيب من يدّعي مشاهدة الإمام المهدي (عجَّل الله تعالى فرجه) قبل ظهوره، ولا شك أن هذه المشاهدة ليست هي مطلق رؤية الإمام روحي فداه، بل هي المشاهدة التي تفضي إلى التأسيس لتشريع أو ما يشبه ذلك بالطرق غير المعتمدة شرعاً، كأن يأتي شخص ـ كائناً من كان ـ فيدعي أنه رأى الإمام (بأبي وأمي) وأنه استفتاه في أمر ما، فأفتاه بالطريقة الفلانية.
وهذه الدعوى يمكن لكل دجال أن يتحدث بها، وبالنتيجة يؤسس لفقه أو تشريع لا يعتمد على أساس علمية يمكن الركون إليها؛ ولهذا أمرنا بتكذيب كل من يدعي المشاهدة؛ وذلك وفقاً لما جاء في التوقيع الشريف الصادر عن الإمام المنتظر (صلوات الله عليه) إلى سفيره الرابع علي بن محمد السمري (رضوان الله عليه):

وهل يمكن لليماني أن يدّعي أنه موجّه من قبل الإمام (صلوات الله عليه) في وقت يجد كل هذا التأكيد من الإمام (بأبي وأمي) على النهي عن ذلك؟! رغم أنه لا يمنع من حيث المبدأ أن يتحقق أصل اللقاء والتأييد، ولكنه حتماً سيكون بعيداً عن الطرح للمجتمع، عامّه وخاصّه.

على أنه يمكن أن يلتقي الإمام المنتظر (روحي فداه) بالخراساني وغيره أيضاً، ومثل ما أن هذا محتمل في ذاته للاثنين، فإن احتمال انتفائه عنهما وارد أيضاً وبالنتيجة: فهو لا يصلح لكي يكون سبباً مقنعاً في هذا المجال، ولا سيّما أننا نلحظ أن الأمرين[1] لا دليل عليهما في الروايات.

ولو صحَّ؛ فإن ذلك لا يغدو سبباً مطلقاً للترجيح بهذا المستوى، لأن الهدى هنا ليس لمؤهلات ذاتية في راية أو شخصية اليماني بالضرورة، وإنما هو من الإمام (روحي فداه) دون موضع تفضيل لدى اليماني على من سواه، بمعنى إن اللقاء بالإمام (صلوات الله عليه) لو حصل، لا يعني بالضرورة أن اللقاء تم بناء على مواصفات ذاتية عالية المضامين لدى من التقى به، فقد يلتقي الإمام (روحي فداه) ومواصفات الملتقى به، ليست بالضرورة هي الأعلى ممن لم يلتق بهم لمصلحة يراها نفس الإمام بتحقيق اللقاء ومنعه عن آخرين.

ولكن علينا لاستيعاب الصورة بكاملها أن نتساءل أيضاً: لماذا خصّ الإمام (صلوات الله عليه) اليماني ولم يخص الحسني أو الخراساني بذلك؟!

«ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة، فهو كذّاب مفتر». (غيبة الطوسي: ٣٩٥ ح٣٦٤).

أما الرؤية التي لا تفضي إلى ذلك فلا شك أن لا إشكال بمدّعيها.

(١) أي أمر رؤية الإمام المباشرة والتوجيه المباشر منه.

ولن نتخلص ـ حتماً ـ من الإشكالات العقائدية المرتبطة بذلك، إلا أن نقول بين حكمة الإمام (صلوات الله عليه) لا بُدّ أنها نظرت إلى وجود مرجّح ذاتي في هذه الراية دون غيرها من الرايات، بحيث وصفت بذلك، وإلا وقعنا في مصيدة العقيدة الأشعرية التي ترى بإمكانية الترجيح بلا مرجح، وهو ما ينطوي على مباحث لها خطورتها المعروفة في عالم العقيدة، فلا تغفل!

إن لقاء الإمام (صلوات الله عليه) إذا كان ممكناً، وهو ممكن حتماً، فهو إما أن يكون لشأن ذاتي يتعلق بالشخص الملتقي به، كاليماني، وغيره، وهذا وإن كان يتم لأمور عديدة يتعلق قسم منها بمنزلة هذا الشخص، وقسم منه قد يرتبط بتوجيهه أو إرشاده أو وعظه أو حتى تأنيبه بالشكل الذي يتناسب مع طبيعة دوره ومسؤولياته المناطة به، وما إلى ذلك.

ولهذا، فإن هذا الصنف من اللقاء لن يجدي نفعاً في تثبيت سبب الإعلاء بهدايته حتى لو كان اللقاء قد تم لأسباب رفعة شأنه وتقريب منزلته، فهو أمر لن يُعلن، ولو أُعلن فإن جهة الإعلان ستكون متعلقة باليماني نفسه حصراً، ولا أعتقد أنه سيضع نفسه في موضع مَن سيطلق عليه ألسنة المتقوّلين والذين يمكن لهم أن يخدشوا بسهولة بقياديته وصدقه؛ فتأمّل!

أو أن يكون لشأن موضوعي يتعلق بحركته وبصفاته، وعندئذ سيكون المرجح هو الصفة وليست الرؤية أو المشاهدة؛ وبالتالي، فإن الترجيح سيكون مرتبطاً بمرجّح موضوعي، مما يرجعنا للبحث في شأن هذا المرجّح، وما هو الموضوع الذي يتفق بموجبه اليماني على غيره في شأن الهداية؛ فتأمّل!!

ولهذا، فإن الراجح هو أن راية اليماني وصاحبها، وإن دخلوا في عالم السياسة والشأن الأمني والديني العراقي على الأغلب، ولكنها إنما دخلت فيها ـ من خلال شخص اليماني ـ وعملت فيها فمن أجل التمهيد للإمام (روحي فداه)، لا من أجل السعي لما تمليه الدوافع الوطنية أو المرجحات السياسية والحزبية وتقديرات المصالح التي تدفع عادة بالسياسيين إلى دخول هذا المعترك، وتدعوهم ليبرمجوا حركتهم ضمن معادلات هذه الدوافع والدواعي.

لكل هذا وذاك يبدو أنه حظي بمرتبة (**أهدى الرايات**)، وهذه المرتبة ليست بالضرورة ـ وأقول ذلك جدلاً ـ تعبّر عن نفس اليماني وشخصه، ولكنها ولا ريب مشوِّقة وداعية لرايته ومشرِّفة لها، وإن كان وصفه في الروايات بهذا الوصف من العلم وبذلك الوصف من التفرد بالدعوة للإمام (روحي فداه) يشير إلى زكاوة نفسٍ خاصّة، وإلى نقاءِ سريرةٍ أخصّ! اللهم أرنا يومه، ومكّنَا من خدمته وإعانته ونصرته.

المبحث الثاني:
هل اليماني من أهل العصمة؟

لم يكن في خلدي أن أتصور وجود من يقول بأن اليماني معصوم إلا حينما اطلعت على بعض كتابات دجّال البصرة، المدعو (أحمد الحسن)، الذي يسمي نفسه باليماني! فداعية الضلال هذا ـ وإن لم يك له شأن وٱعتبار ـ إلا أنه أثار هذه المسألة بغية إقناع الجَهَلة الذين غرَّر بهم، وضحك منهم، وٱستخف بهم، حتى ادّعى أن ما يفعله فوق مناقشاتهم وتفسيراتهم لأنه معصوم، فقال في منشور له تحت اسم «السيد أحمد الحسن اليماني الموعود»، وهو يستند إلى نفس الرواية التي صدّرنا حديثنا بها: «إن الدعوة إلى الحق والطريق المستقيم أو الصراط المستقيم تعني أن هذا الشخص لا يخطئ فيدخل الناس في باطل، أو يخرجهم من حق، أي أنه معصوم منصوص العصمة»!! إلى أن قال: «إن اليماني حجة من حجج الله في أرضه، ومعصوم منصوص العصمة»!!

ومع أن كلمات هذا الدجال وطبيعة كذبه على الناس من أوضح الواضحات، ومع أن دجله وأكاذيبه بلغ به إلى أن يدّعي لنفسه المهدوية

بعد أن كان باباً لها!! إلا أن مناقشة الفكرة من حيث الأصل دون النظر إلى قائلها أمر مطلوب.

إن من الواضح أن المنصوص على عصمتهم في عقيدتنا، هم الأربعة عشر من أهل بيت العصمة والطهارة (صلوات الله عليهم)، أي النبي الأكرم والزهراء البتول والأئمة الأطهار الاثنا عشر عليهم السلام، ولم يرد أي نص في أي شخص آخر غيرهم.

لهذا، فإن الالتزام العقائدي منصبٌّ على هؤلاء الأربعة عشر، وبالرغم من إمكان وصول بعض الأولياء الخاصين إلى درجة العصمة المكتسبة وليست المنصوص عليها، كما في كلمات بعض العلماء إزاء مثل الصدّيقة الحوراء زينب وأبي الفضل العباس (صلوات الله عليهما)، ولكن في خصوص النص يبقى الأمر محصوراً بمن أشرنا إليهم من الأنوار الأربعة عشر (صلوات الله عليهم).

أما نص الرواية فلا يوجد فيه أي دليل على العصمة، وقوله عليه السلام: «ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه»، فهو ناظر على ما يبدو إلى أن هذه الراية في الظرف الذي ستتقلص فيه الخيارات أمام المسلمين، وحين يكون الاشتراك مطلوباً في معارك ذلك الزمن مع الحفاظ على الزخم المطلوب، فلا مندوحة من الاشتراك في راية الهدى الأسلم، وعندها لا يوجد أي مسوّغ شرعي لعصيان صاحب هذه الراية، ليس لأنها معصومة، ولكن لأن عملها هو الأصح وهو المطلوب، ولعله يكون آنذاك خيار الضرورة الذي لا مجال للتخاذل عن الالتزام به.

وبالتالي، فإن التوصيف هنا ـ كما أشرنا سابقاً ـ منصبٌّ على الراية وليس على الشخص.

وحتى كلمات الإمام المتبقية كلها تدخل في الحديث النسبي دون الإطلاق، أي أن اليماني لا يدعو ـ بصورة عامة ـ إلى الباطل، ولا يدعو إلّا إلى الحق. وهذا ضمن إطار الدعوة وليس ضمن إطار ما يفعله، وهذا ليس تقليلٌ من شأنه، وإنما هي طبيعة الأمور، فإن الدعوة أمر، وداعيتها أمر آخر.

كما إن هذا الأمر لا يعني أن الدعوة معصومة بعكس صاحبها غير المعصوم، فكما قلت إن الكلام هنا في الإطار النسبي، وليس في مطلق الأمور؛ فلا تغفل!

* * *

المبحث الثالث:
كيفية الدلالة على اليماني

تحدثت روايات أهل البيت (صلوات الله عليهم) عن طبيعة مجتمع المنتظرين في الساعات الأخيرة قبل ظهور الإمام (روحي فداه)، وما يعاني من أزمات، وبيّنت في عدد كبير من الروايات تفاصيل كثيرة لِما سيجري في ساحات الانتظار الرئيسية، وقد حظيت ساحت العراق بشكل أكبر من غيرها من مجموع هذه الأحاديث وتفاصيلها.

وبالتالي يمكن لنا القول بأنه من الممكن رسم صورة الساحة عشية خروج اليماني الموعود، بالشكل الذي يسمح لنا من أن نجعل ذلك معلماً للدلالة على اليماني الموعود، والتفريق بينه وبين من يدَّعي هذه الصفة من دجّالي الزمن وأفّاكي الدهر، وهذه الدلالة وُضعت أساساً من أجل تشخيص الإمام المهدي الموعود (روحي فداه) في عهد سيظهر فيه دجّالون كُثر.

وإذا ما كنا قد تحدثنا آنفاً عن منهج اليماني ومحتواه المعنوي والعقائدي وجانباً من الصفات الذاتية لهذا العبد الصالح، وإذا ما كنا قد

تحدثنا ـ أيضاً ـ عن مكان حركة اليماني بعد إقباله وسيره، فقد آن الآوان لنا لكي نتحدث عن زمان اليماني، لكي يكتمل لدينا عقد كيفية التعرف على اليماني.

بدايةً، فإن اليماني عُدّ أحد الشروط الحتمية لظهور الشريف، وهذه الشروط سيظهر قسم منها قبل اليماني، وقسم آخر سيظهر بعد اليماني، وباعتبار طبيعة الروايات التي لم تتحدث عمّا قبل اليماني بشكل صريح، فإن غالبية تركيزنا سيكون في تشكيل خريطة زمانية لكي تكون هي دالّتنا على اليماني، وحركته؛ لأننا لا نتوقع أن يأتي حدثٌ ما قبل خروج اليماني، ليعلن عبر الحدث أن هذا هو اليماني، فمن هي الجهة التي ستشخّص؟ ما دام أن ادّعاء المشاهدة للإمام المنتظر (عجَّل الله تعالى فرجه) قبل السفياني مردود وغير مقبول، هذا إذا قلنا بأن الإمام (صلوات الله عليه) هو الذي يشخّص ذلك.

والخريطة الزمانية التي نحن بصددها تفترض أن أي تشخيص لليماني قبل خروج السفياني غير ممكن وفق الروايات، ولهذا فلا مندوحة من أن نمسك الخيط من حركة السفياني نفسه، ونستعين بذلك بما حدده أهل البيت عليهم السلام بأن ثمة نظام لهذا الأمر كنظام الخرز يتبّع بعضه بعضاً، كما مرَّ في حديث الإمام الباقر عليه السلام: «خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز، يتّبع بعضه بعضاً»[1]؛ أي أن الأحداث فيه متسلسلة وتأتي واحدة تتبع الأخرى.

---

(١) غيبة النعماني: ٢٦٤ ب١٤ ح١٣، وقد مر.

وقبل أن نعرض للمجمل من حركة السفياني[1]، لا بُدّ من القول بأن الروايات الشريفة الواردة في كتبنا وفي كتب العامة كثيرة في التحدث عن العلامات التي ستصاحب حركة اليماني والسفياني، ولكن لكون هذه العلامات ليست حاسمة وقاطعة في شأن توقيتها، ولهذا لن تنفع الإشارة إليها في حديثنا هنا. فهي قد تحدث في زمن اليماني وقد تحدث في زمن غيره، وهذا هو السبب في إعراضنا عن أن نعدّها ذات دخل في بحثنا هنا.

وعلى أي حال، فإن التشخيص المجمل لحركة السفياني يدلّنا على أن الإشارات الروائية تتحدث عن النسق التالي من الأحداث، وكل الأحداث ستكون متقاربة زماناً:

١ ـ اختلاف أهل الشام إلى رايتين، هما: راية الأبقع وراية الأصهب، وتنازع شديد بينهما.

٢ ـ ثم يحصل خسف في قرية الجابية في دمشق[2]، ورجفة أو خسف في حرستا[3]، ويمكن القول بإمكانية تعدد الحدث، وليس ثمة مجال للقول بأن الخسف هو نفس الرجفة كما ذهب إلى ذلك أحدهم، بل إن رواية أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) تؤكد تعدد الحَدَث.

وعلى أي حال فإن رواية أمير المؤمنين (عليه صلوات الله) تؤكد الحدثين الأول والثاني، فيقول: «إذا اختلف الرمحان بالشام لم تنجلِ إلا

---

(١) لعلنا نتوفر عما قريب على دراسة مستقلة عن حركة السفياني، فدراسة هذه الحركة مهمة للغاية لمجتمع المنتظرين، وما توفيقنا إلا بالله.

(٢) غيبة النعماني: ٢٨٩ ب١٤ ح٦٧.

(٣) الجابية، موضعان، الأول محلة داخل دمشق القديمة، وتقابل سوق مدحت باشا الموازي لسوق الحميدية، والثانية قرية في منطقة مرتفعات الجولان، قرب مرج الصفر، أما حرستا فهي من مناطق غوطة دمشق وأمتداداتها الشمالية.

عن آية من آيات الله، قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام، يهلك فيها أكثر من مئة ألف، يجعلها الله رحمة للمؤمنين، وعذاباً على الكافرين؛ إلى أن يقول: فإذا كان ذلك فانظروا خسف قرية من دمشق يقال لها: حرستا»[1].

٣ ـ رجوع السفياني الملعون ـ وهو من بني كلب ـ من بلاد الروم، وفي عنقه صليب[2]، ودخوله معركة الشام بعد تردد لمرتين من الوادي اليابس[3]، فتضطرب الشام بين ثلاث رايات، هي رايات الأبقع والأصهب والسفياني، فيتغلب عليهما السفياني، ويكون ذلك في شهر رجب، ومدة بقائه بعد ذلك هي خمسة عشر شهراً، لا يتأخر يوماً ولا يزيد عليه، كما تشير إلى ذلك رواياتنا الشريفة.

فعن النعماني، بإسناده إلى عيسى بن أعين، عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه)، قال: السفياني من المحتوم، وخروجه في رجب، ومن أول خروجه إلى آخره خمسة عشر شهراً، ستة أشهر يقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً[4].

---

(١) غيبة النعماني: ٣١٧ ب١٨ ح١٦.

(٢) لعل ذلك إشارة إلى أنه قد يتزوج من امرأة مسيحية من بلاد الروم، أو أنه يتحالف مع الروم، أو أنه يدين لهم بالولاء.

(٣) اختلف في موضع الوادي اليابس، وفيما يشير بعضهم إلى محل في الأردن، يشير بعض آخر إلى أريحا، وثالث إلى درعا، فيما يشير رابع إلى موضع في الشام، كما فعل السيد مصطفى الكاظمي في كتاب بشارة الإسلام في ظهور صاحب الزمان عليه السلام: ٢١؛ وقد أشار الحموي إلى موضع جبل يبوس أو يباس في وادي التيم في الشام (معجم البلدان ٥: ٤٢٨).
ولعل هذا هو الأنسب؛ لكثرة من استوطن في الشام وحواليها من بني كلب؛ والله العالم.

(٤) غيبة النعماني: ٣١٠ ب١٨ ح١.

٤ ـ استيلاء السفياني على كور الشام الخمس: دمشق وحمص وفلسطين والأردن وقنّسرين[١]، ولعل المراد بالأردن هنا هي درعاً وما يليها على الحدود الأردنية المعاصرة، مع التنويه بأن التسمية هنا هي تسمية أطلقت في زمن لم تكن التسمية المعاصرة منطبقة عليها بالضرورة.

٥ ـ وجود الترك في الجزيرة ونزولهم فيها هم وإخوانهم[٢]، وهي المنطقة الجنوبية من الموصل وتسمى الآن بربيعة، وهذا الوجود قد يكون تاماً قبل ذلك، ولكن في هذه الفترة بالتحديد سيكون الأتراك أو إخوانهم في هذه المنطقة، ونشير هنا إلى أن الروايات ذكرت الترك تارة وذكرت إخوانهم أو أبناء عمومتهم أخرى، ولعل المراد بإخوان الترك حلفاؤهم، أو الروم.

٦ ـ انحسار الفرات عن كنز أو ما أشبه.

٧ ـ وقوع معركة قرقيسيا وانتصار السفياني الكبير فيها، وقد وصفت المعركة بأنها ستكون شرسة جداً، حتى إن رواية الكافي عن الإمام أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) تعدّها: «مأدبة للطير تشبع منها سباع الأرض وطيور السماء، يهلك فيها قيساً»[٣].

وفي رواية الإمام الصادق عليه السلام: «إن لله مائدة (مأدبة) بقرقيسياء،

---

(١) الإمامة والتبصرة من الحيرة: ١٣٠ ب٣٥ ح١٣٤، وقنسرين مدينة بين حمص وحلب وصلها الرومان بالبحر الأبيض المتوسط، وتسمى اليوم بقربة العيس، ولعلها تشمل اليوم مناطق صافيتا وما يليها من مدن الساحل السوري وهي مرابع قبيلة بني كلب.

(٢) في حديث الإمام الباقر عليه السلام: وسيقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة. (غيبة النعماني: ٢٨٩ ب١٤ ح٦٧).

(٣) الكافي ٨: ٢٩٥ ح٤٥١.

يطّلع مطّلع من السماء فينادي: يا طير السماء ويا سباع الأرض! هلموا إلى الشبع من لحوم الجبارين»[1].

٨ ـ إقبال السفياني إلى العراق وٱرتكابه الفظائع في بغداد والكوفة وغيرهما.

في هذه الفترة تحديداً سيكون اليماني خارجاً برايته بالإضافة إلى الخراساني لأنهما ـ وفي روايتين مرتا ـ يتسابقان مع السفياني كفرسَي رهان، وقد وقع الكلام هل أن الرواية التي أشارت إلى أن اليماني والخراساني والسفياني سيخرجون في عام واحد وفي شهر واحد وفي يوم واحد، تعني منذ يوم خروج السفياني لقتال الرايتين المضطربتين في الشام، أم أن هذا الخروج محسوب من فترة انتهاء معركة قرقيسيا؟

وأعتقد أن هذا الكلام لن يكون مجدياً بشكل كبير، ما دام أن الفترات هي في الأصل متقاربة، وإن كان أغلب الظن يقود إلى أن الخروج بمعنى نشر الراية للقتال يكون بعد إقبال السفياني إلى العراق، ولكن على أي حال يمكن للمرء أن يترقب الفرج ـ كما وصفت الروايات ـ إذا ما اضطربت الشام!

وقد أفادتنا بعض الروايات بأن قبل أحداث الشام بقليل سيكون خروج الشيصباني..

فعن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن السفياني؟ فقال: وأنّى لكم بالسفياني حتى يخرج قبله الشيصباني؟!

---

(١) غيبة النعماني: ٢٨٧ ب١٤ ح٦٣.

يخرج من أرض كوفان، ينبع كما ينبع الماء، فيقتل وفدكم، فتوقعوا بعد ذلك السفياني وخروج القائم عليه السلام[1].

وبناء عليه، فإن الشيصباني هو رجل ربما يدّعي التشيع، ولكنه سيتميز بخلق فتنة كبيرة للمجتمع الشيعي في الكوفة وما حواليها، وإن جماعته تتكاثر في حال الأزمات بشكل فجائي كما يندفع الماء حين صدوره من النبع.

كما إن هناك علامات دالة أخرى، يمكن أن تدلّنا عليه وإن كانت بشكل متأخر نسبياً، وهي علامات دالة على الإمام المنتظر (عجَّل الله تعالى فرجه)، وأقصد بها: الصيحة في ليلة القدر، ليلة الجمعة، بعد خروج السفياني، وقتل النفس الزكية في مكة المكرمة بين الركن والمقام قبل ظهور الإمام (روحي فداه) بخمسة عشر ليلة.

ولهذا، فإن أيّ ترقب لليماني من دون حصول الأحداث الشامية سيكون ترقّباً بلا طائل، ولا سيّما أن السفياني هو من المحتوم أيضاً؛ والله العالم.

* * *

(١) غيبة النعماني: ٣١٤ ب١٨ ح٨.

الفصل الخامس

اليمانيّ وفترة ما قبل الظّهور الشّريف

المبحث الأول

الفترة ما بين خروج اليماني والظهور الشريف

هناك جملة من الأحداث السياسية التي ستحصل بعد خروج اليماني، وقد أشير لبعض هذه الأحداث بعنوانها شرائط حتمية لظهور الإمام (روحي فداه)، وبعضها ليست بحتمية، وسنشير إلى أهمها هنا مما هو متيقن بأنه سيحصل خلال تلك الفترة، لعلّنا نستطيع من خلال ذلك أن نرسم صورة لفهم أفضل لظروف اليماني بعد خروجه وحتى يوم الظهور الشريف للإمام (بأبي وأمي).

ومن الواضح أن الروايات قد تحدّثت عن أن خروج اليماني والسفياني والخراساني يكون خروجاً متزامناً، وأهم ما لدينا هنا هي الرواية الشريفة التي أشرنا إليها، التي بيّنت بقول الإمام الباقر (صلوات الله عليه): «خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز، يتبع بعضه بعضاً».

وهذه الرواية تشير إلى أن السفياني اللعين يخرج أولاً لقتل شيعة المنتظِر (صلوات الله عليه) في العراق بعد انتصاره في معركة قرقيسيا على

الحدود بين العراق وسوريا، ومَن في تلك المنطقة من القوات الأجنبية (تركيةً كانت أو رومية) على أثر انحسار الفرات[1] على كنز عظيم.

وعلى ما يبدو من رواية أخرى، فإن أولويات السفياني (عليه لعائن الله) لم تكن معركة قرقيسيا وإنما العراق، وما يحصل في قرقيسيا إنما يكون لأمر يعرض في طريق توجهه إلى العراق كما تشير إلى ذلك رواية جابر الجعفي، عن الإمام الباقر عليه السلام، التي يرويها النعماني بعدة طرق والشيخ المفيد بطريق واحد، قال: «فأول أرض تخرب أرض الشام، ثم يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات، راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني، فيلتقي السفياني بالأبقع، فيقتتلون فيقتله ومن تبعه، ثم يقتل الأصهبَ، ثم لا يكون له همة إلا الإقبال نحو العراق، ويمر جيشه بقرقيسيا فيقتتلون بها»[2].

وهنا يلحظ في الرواية أنه قدّم الهمّ السفياني على العراق على موقعة قرقيسيا، وهو أمر طبيعي لأكثر من سبب، ولو أزحنا الأسباب العقائدية التي يحتقن بها السفياني كما هو واضح، فإن مشروع السفياني حينما يأتي وسط أزمة انحسار الفرات ـ وهي أزمة لا تحصل بشكل دفعي على ما يبدو ـ، كما تشير إلى وجود أزمة اقتصادية ولوجستية كبيرة لدى السفياني لن يحلها حتى الكنز المعثور عليه في قرقيسيا، فلا بُدّ إذاً من إمداد أكبر.

وسيكون العراق حينذاك مهيّأً تماماً لسد النقص الذي يعتور أمر

---

(١) انحسار ماء الفرات أصبح الآن حقيقة موضوعية بعد أن كان فهمه عسير جداً، ولا سيّما بعد أن أتمت تركيا بناء السدود على نهري دجلة والفرات، وهي سدود قادرة على تصريف المياه داخل الأراضي التركية.

(٢) غيبة النعماني: ٦٧ ح٢٨٩، والاختصاص: ٢٥٦.

جيش السفياني، ففيه الغذاء، وفيه النفط، وفيه الميناء الذي يمكن أن يوسع المناورة العسكرية والاقتصادية الخاصة به، ولا سيّما أن الروايات تشير إلى أن معركة قرقيسيا سيتزامن معها نزول الروم في الرميلة[1]، مما يعني إمكانية محاصرة الموانىء التي يستولي عليها السفياني، فضلاً عن وجود إسرائيل، وهو وجود لن ينتهي إلا على يد الإمام المنتظر (عجّل الله تعالى فرجه)، كما هو صريح عبارات روايات الشيعة والسُنّة، فضلاً عن آيات مقدمة سورة الإسراء.

ومما يدعّم مثل هذا الأمر أن سوريا من الناحية الاقتصادية العامة تُعَدّ من البلدان القابلة للتجويع والعطب الاقتصادي بشكل سريع، والروايات تشير إلى جوع كبير قبل السفياني في سوريا[2].

ولهذا، فإن هناك أكثر من مبرر يدعو السفياني للهجوم على العراق.

وعليه: فيكون اليماني ـ من الناحية الواقعية ـ هو المبادر الأول لمجابهة حركة السفياني، ويكون خروجه متزامناً مع خروج السفياني في

---

(١) انظر الأصول الستة عشر؛ كتاب جعفر بن محمد بن شريح الحضرمي: ٧٩.
والرميلة اسم لعدة مواضع؛ منها رميلة البصرة المعروفة والقريبة اليوم من الحدود الكويتية السعودية مع العراق، ومنها رميلة بغداد والتي دفن بها السيد الحميري الشاعر الإمامي المعروف، ومنها موضع يقع بالقرب من مدينة صيدا عند مصب نهر الأولي في البحر الأبيض المتوسط، وهو المحتمل وفق سياقات الأحداث، ولعل الكلمة مصحفة عن كلمة الرملة، وهي المدينة الفلسطينية المعروفة، وعلى أي حال فإن المشار إليه متعلق بمدن تقع على البحر تكون موطىء قدم لجيوش الروم.

(٢) في رواية النعماني بسنده إلى جابر بن يزيد الجعفي، عن الإمام الباقر (صلوات الله عليه)، قال في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾: يا جابر! ذلك خاص وعام، فأما الخاص من الجوع فبالكوفة ـ إلى أن يقول: ـ وأما العام فبالشام يصيبهم خوف وجوع ما أصابهم مثله قط، أما الجوع فقبل قيام القائم. (غيبة النعماني: ٢٦٠ ب١٤ ح٧).

الشام نتيجة لرصد أمني مبكر لديه، أو لحاجة أمنية ملحة، وذلك لوجوده في أرض المعركة سلفاً على ما يبدو، ولأنه معنيٌّ أساساً بالساحة العراقية.

وٱندفاع الخراساني هو الآخر له مبرراته الواضحة، ولو أزحنا المبررات العقائدية ـ في حال وجودها ـ فإن كثيراً من المبررات الأمنية والسياسية ستكون ضاغطة عليه، فإقبال السفياني من سوريا، والفراغ الأمني الكبير الذي سيتسبب به خسارة الترك أو إخوانهم ومعهم مَن معهم من القوات العراقية سيعطي الخراساني كثيراً من المبررات للتدخل لملء هذا الفراغ.

والاندفاع السفياني هو الذي يعجّل بالخراساني لكي يتوجه هو أيضاً للسيطرة على بغداد، في مسعىً يستهدف على ما يبدو الحيلولة دون وقوعها بيد الطرف الآخر، ولهذا وصفت عملية اندفاع الطرفين وكأنها عملية تسابق بين فرسَي رهان، ولو قدّر أننا أدخلنا العنصر العقائدي، فلا أقل من أن وجود العتبات المقدسة في العراق وما يتبعها سيحرك هواجسَ كثيرٍ من أبناء الشعب الإيراني، مما يدفع بالخراساني إلى الإقدام على اقتحام الحدود العراقية بعد أن هتك الأتراك ومَن معهم والسفياني الحدود العراقية.

ورغم أن الروايات لا تشخّص بداية التزامن بين خروج السفياني وبين خروج اليماني ومن بعده الخراساني بعين الدقة، فهل هو أول خروج السفياني؟ أو أول خروجه باتجاه العراق؟ أو أول دخوله للعراق؟ وبالرغم أن ما يبدو من ظاهرها أن أول خروجه هو المعني، ولكن الناحية الواقعية ووحدة زمن الخروج المشار إليه بين الثلاثة يفترض أن الخروج الذي يتم

الحديث عنه هو أول دخوله للعراق؛ لأن معركة قرقيسيا لا نفترضها أن تقع خلال يوم وليلة، وهي لا تمثل خطراً مباشراً في صورتها الأولى على مثل اليماني، إلا بعد أن يتحول مسار الأمور فيها ضد شيعة الإمام (صلوات الله عليه).

ويساعد على ذلك أن الخروج إن كان يقتضي التزامن مع خروج السفياني إلى العراق، لاقتضى كون الاستعدادات من قبل اليماني ـ في الأقل ـ كانت أتمّ بالشكل الذي يمكن أن ينبىء عن معركة للسفياني مع اليماني قبل الوصول إلى الكوفة، ولكن ليس هناك ما يشعر بذلك في الروايات، بل إن الروايات صريحة في أن السفياني يصل إلى الكوفة قبل اليماني والخراساني، وفي بعض الروايات تأكيدات بأن الخطر من السفياني لا يبتدىء بشكل مبكر، وإنما هناك سعة من الوقت بالنسبة لشيعة الإمام (صلوات الله عليه)، ولا سيّما أن حركته الأولى تبدو وكأنها تخلص شيعة الإمام (بأبي وأمي) من أعداء كثيرين، يقفون عقبة أمام تقدّم السفياني الملعون نفسه.

وهذا هو مفاد رواية النعماني، بإسناده إلى محمد بن مسلم، في ما سمعه من الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال: «وكفى بالسفياني نقمة لكم من عدوّكم، وهو من العلامات لكم، مع أن الفاسق لو قد خرج لمكثتم شهراً أو شهرين بعد خروجه لم يكن عليكم بأس، حتى يقتل خلقاً كثيراً دونكم»[1].

وخروج هؤلاء الثلاثة وُصف بأنه من المحتوم، ووُقّت قبل ظهور الإمام (صلوات الله عليه) بمدة تتراوح بين خمسة عشر شهراً إلى تسعة

---

(١) غيبة النعماني: ٣١١ ب١٨ ح٣.

أشهر، وفقاً لوصف رواية عيسى بن أعين، عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه)، أنه قال: «السفياني من المحتوم، وخروجه في رجب، ومن أول خروجه إلى آخره خمسة عشر شهراً، ستة أشهر يقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس[1] ملك تسعة أشهر، ولم يزد عليها يوماً»[2].

فإن عنت الرواية الأولى خروجه هنا المتزامن مع اليماني والخراساني، بداية خروجه للقتال[3]، فبين الرايات الثلاث والظهور (١٥) شهراً، وإن كان ذلك مستبعداً جداً.

وإن عنت خروج السفياني إلى العراق ودخوله معركة قرقيسيا، فالمدة هي دون (٩ أشهر)؛ لأن الأشهر التسعة التي تحدثت عنها الروايات يبتدىء حسابها من بعد استيلائه على الكور الخمس والتي تعني دينونة الشام كلها وتبعيتها له، والواضح هو أن عملية الاستيلاء تكون قبل خروجه لقرقيسيا، وإن كان من غير الواضح أنه كم سيمضي في قرقيسيا حتى يدخل العراق؟

---

(١) حسب تعبير هشام بن سالم الجواليقي (رضوان الله عليه) فإن الكور الخمس هي: دمشق وحمص وحلب وفلسطين والأردن (غيبة النعماني: ٣١٦ ب١٨ ح١٣) ولعل كلمة فلسطين هنا ترمي إلى غير فلسطين المعروفة حالياً، أو إلى بعض منها تكون خاصة بالفلسطينيين دون اليهود؛ لأن من المتيقن أن دويلة الصهاينة موجودة في زمن ظهور الإمام (صلوات الله عليه)، ولكن يلاحظ على الرواية أنها تتعارض مع الرواية السابقة التي ذكرت قنّسرين بدلاً من فلسطين، ولعل الكلمة في رواية هشام صحّفت من قنّسرين إلى فلسطين؛ ولا سيّما أن منطقة قنّسرين فيها وجوه بني كلب الذين ينتمي إليهم السفياني؛ كما أسلفنا من قبل.

(٢) غيبة النعماني: ٣١٢ ب١٨ ح١.

(٣) الرواية هنا ليست صريحة في تحديد معنى الخروج الأول، فإن كان معنى الخروج هو: خروجه لقتال الأصهب والأبقع وهما رايتان داخل الشام تتصارعان، ينتصر عليهما السفياني، ثم يقبل ليدخل معركة قرقيسيا.
وعليه: فإن الحديث هنا تارة يكون فيه الحساب من معركة الشام حتى انتهاء ملكه، أو من معركة قرقيسيا إلى انتهاء ملكه.

وهذا يعطينا صورة واضحة عن أن بلاءه في العراق لن يكون بلاءً طويلَ المدة رغم أنه عظيم جداً، ولعل هذا هو سبب قول الإمام الباقر عليه السلام حين قال له بعض أصحابه: فكيف نصنع بالعيال إذا كان ذلك؟! قال: يتغيّب الرجال منكم عنه، فإن حنقه وشرهه إنما هي على شيعتنا[1].

وأيّاً ما يكن، فإن القدر المتيقن هو أن الإمام (صلوات الله عليه) يخرج في العاشر من المحرم، وبالنتيجة فإن بلاء السفياني العام ـ وليس الخاص ـ يبتدىء من رجب قبل عام وثلاثة أشهر من ظهور الإمام (روحي فداه)، وأما الخاص منه فهو ضد شيعة أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وفي أكثر الحالات لن يتجاوز عدة أشهر فيظهر الإمام (صلوات الله عليه)، ولعل اليماني يُبتلى بالقتال ضده قبل ظهور الإمام (بأبي وأمي) بمدة أقل من ذلك، ولا تزيد هذه المدة من الأشهر على أكثر من أصابع اليد الواحدة.

مع أننا ننبّه على أن ظهور الإمام (روحي فداه) لا يعني انتهاء بلاء السفياني، فإن الإمام (صلوات الله عليه) لن يُقبل إلى العراق بمجرد ظهوره، وإنما سيبقى مدة من الزمن في الحجاز قبل إقباله، وفي هذه الفترة سينكسر السفياني بطريقة مريعة فاحشة في الخسف الذي سيحصل لجيشه في بيداء المدينة بعد ظهور الإمام (صلوات الله عليه) بطلب من قبل والي الحجاز أو نجد حينذاك.

---

(١) غيبة النعماني: ٣١١ ب١٨ ح٣.

المبحث الثاني:
الشرائط الحتمية للظهور وأنماطها

وأيّاً ما يكن، فإن ما سيحصل من بعد ذلك هو أن الشرائط الحتمية ستتسارع في التحقيق، وهذه الشرائط علاوة على ما ذكرنا يمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام في مطالب هي:

المطلب الأول: الشرائط الاجتماعية

ونقصد بها الشرائط المتعلقة بالمجتمع، والتي تبرز منه وتتفاعل فيه، كما هو الحال في الرايات الثلاث المشار إليها، ويضاف إليها قتل النفس الزكية، وحادثة القتل أشير إليها في الروايات كحادثة دالّة على قرب ظهور الإمام (صلوات الله عليه) على ما يبدو لفظاعة عملية القتل، فالرجل يقتل بين الركن والمقام داخل المسجد الحرام، وفي شهر ذي الحجة الحرام، وأمام عدد كبير من الحجاج.

وهذه الحادثة من شأنها أن تكون حدثاً يأخذ صدىً عظيماً لدى المسلمين، ويجتذب اهتماماً كبيراً في الأمة؛ لأنه يهتك كثيراً من الأحكام الفقهية العظمى في الحج والمتعارفة عند المسلمين أجمع، ولا سيّما أن هذا العبد الصالح سينادي للإمام (روحي فداه) قبل ظهور الإمام (بأبي وأمي) داخل البيت الحرام، وهذا ما تؤكده الروايات الشريفة.

فلقد روى الشيخ الطوسي في (الغيبة)، بسند عامي، عن إبراهيم الجريري مرسلاً: النفس الزكية غلام من آل محمد، اسمه محمد بن الحسن، يُقتل بلا جرم ولا ذنب، فإذا قتلوه لم يبق لهم في السماء من عاذر، ولا في الأرض ناصر[1].

وروى الحافظ ابن أبي شيبة، بإسناده عن مجاهد، عن رسول الله ﷺ: إن المهدي لا يخرج حتى تُقتل النفس الزكية، فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض[2].

وستكون هذه الحادثة قبل ظهور الإمام (روحي فداه) بخمس عشرة ليلة، فعن صالح مولى بني عذراء، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «ليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكية إلا خمسة عشر ليلة»[3].

وصاحب النفس الزكية هذا هو غير صاحب النفس الزكية الذي يُقتل في سبعين من الصالحين في ظهر الكوفة[4]، وهو سابق لقتيل البيت الحرام، وكذلك هو غير النفس الزكية المقتول في المدينة المنورة[5]؛ فتنبّه!

---

(١) غيبة الطوسي: ٤٦٤ ح٤٨٠.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٧: ٥١٥ ح٣٧٦٥٣.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٤٩ ب٥٧ ح٢.

(٤) الإرشاد ٢: ٣٦٨.

(٥) النفس الزكية هذا غير صاحب النفس الزكية الذي يُقتل قبل ظهور الإمام (بأبي وأمي) في مكة المكرمة، وإنما هو صاحب المدينة، ولمقتله يشير أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في ما ينقل عنه سليم بن قيس الهلالي وهو يتحدث عن جيش السفياني في المدينة: ويقتل صاحب ذلك الجيش رجلاً من ولدي زكياً. برياً عند أحجار الزيت، ثم يسير ذلك الجيش إلى مكة، وإني لأعلم اسم أميرهم، وعدتهم، وأسماءهم، وسمات خيولهم، فإذا دخلوا البيداء أو استوت بهم الأرض، خسف الله بهم. (كتاب سليم بن قيس: ٧٧٥).

وكما إن هذه الحادثة دالّة على ظهور الإمام المهدي (صلوات الله عليه)، فإنها في نفس الوقت دالّة على تنجيز ظهور اليماني الموعود، وهذه الدلالة نحن بحاجة إليها بسبب وجود مَن سيحاول أن يقدح أو يؤثّر على قيادة اليماني وكذا الحسني في الأقل، كما هو الحال في شأن شخصية الشيصباني، التي جاءت في الروايات الشريفة.

ويبدو أنها راية داخل المجتمع الشيعي، لها أثر بيّن في وضعه الاجتماعي والسياسي في زمن مقارب لزمان خروج اليماني، كما في رواية جابر الجعفي (رضوان الله تعالى عليه)، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن السفياني؟ فقال: وأنّى لكم بالسفياني حتى يخرج قبله الشيصباني[1]، يخرج من أرض كوفان، ينبع كما ينبع الماء[2]، فيقتل وفدكم، فتوقعوا بعد ذلك السفياني، وخروج القائم عليه السلام[3].

ومن له أوصاف كهذه لا بُدّ أن يكون مناهضاً لليماني والحسني وغيرهما من الرايات الهادية والمؤمنة، ومعرقلاً لمسعاهم، ومنغّصاً لخططهم، ومربِكاً لقاعدتهم الاجتماعية، وقد يكون له ارتباط ما بالسفياني، بَيْدَ أنه لا ضرورة لوجود ذلك، فموضوعه مستقل عن ذاك، ولا نلمس أية إشارة في الروايات تدل على مثل هذا الارتباط، ولكنهما يشتركان على أي حال في المحصلة العملية في أذى الممهّدين للإمام (روحي فداه)، وإعاقة المشروع التمهيدي.

---

(١) على ما في لسان العرب فإن الشيصباني هو الشيطان (لسان العرب ٧: ١١١).
(٢) لعل المراد به أن أنصاره وجنده الذين يتدفقون فجأة وبكثرة أثناء دهمهم للناس وإلحاقهم الأذى بهم، وكوفان المراد منها النجف أو عموم محيطها.
(٣) غيبة النعماني: ٣١٤ ب١٨ ح٨.

هذا إذا بقي الشيصباني موجوداً في زمن خروج السفياني.

وما بين هذا وذاك، فإن الأحداث السياسية العامة المرتبطة بحركة اليماني في هذا الزمن ستكون ملامحها متلخصة في:

أ ـ تفكك كبير في سلطة حكّام الحجاز، حتى يكون فيهم ضعفاً كبيراً يلجئُهم إلى طلب النصرة من السفياني للوقوف بوجه الإمام (روحي فداه) سعياً للقضاء عليه، فيرسل اللعين جيشه إلى المدينة المنورة، فينتهك حرمتها ويسفك فيها دماءً كثيرة قبل أن يخسف بهذا الجيش بين مكة والمدينة جنوبي منطقة أبيار علي (صلوات الله عليه) الحالية[1]، من بعدما يقتل النفس الزكية[2]. في المدينة عند منطقة أحجار الزيت[3].

هذا، وقد يعبر في الروايات عن الأوضاع السياسية في الحجاز بأنه ملك اليوم والليلة، إشارة إلى قصر مدة الحكم وسرعة نهاية ولاية الحكام فيها، وزيادة الاضطراب والتفكك الأمني، كما يشير إلى ذلك حديث الإمام أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه): «إذا مات عبد الله لم

---

(١) أبيار علي (صلوات الله عليه)، كما يسمى اليوم: موضع قريب من مسجد الشجرة ميقات أهل المدينة، ولا يبعد كثيراً عن مسجد الفضيخ الذي درس آثاره الوهابيون في هذه الأيام، وهو المسجد الذي رُدّت به الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام، والموضع يشير إلى الآبار التي كان الإمام (صلوات الله عليه) يحفرها للحجّاج وغيرهم.

(٢) كما مرّ آنفاً في الصفحة ١٧٧.

(٣) موضع داخل المدينة وكان محل صلاة الاستسقاء، وقد كان الموضع محل استقرار التجار الذين كانوا يمتارون من الشام، وبه نزل دحية الكلبي في قصة صلاة الجمعة حينما ترك الأصحابُ رسولَ الله (صلوات الله عليه وآله) قائماً على منبر الجمعة وانهمكوا في ما جاء به دحية الكلبي، فنزلت الآية الكريمة؛ ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ سورة الجمعة: ١١.

يجتمع الناس بعده على أحد، ولم يتناه هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله، ويذهب ملك السنين ويصير ملك الشهور والأيام»[1].

ب ـ سطوة كبيرة للسفياني على الشام بكورها الخمس، وانقيادها له بعد معارك شديدة واضطراب داخلي كبير، وهذا يستتبع تأثيرات كبيرة وجمّة وبشكل متنامٍ من السفياني على كل من لبنان والأردن.

وعلى ما يبدو فإن سلامةً أمنيةً عامةً للشيعة في بلاد الشام ـ بشكل عام ـ ستكون هي صورة المشهد الأمني، وهذا قبل ذهابه للعراق، مع معاناة عامة لهم في لبنان على ما يبدو، وليس من الواضح أن هذه المعاناة ستكون مرتبطة به؛ والله العالم.

جـ ـ حيازة الشأن الأمني في المنطقة على اهتمام العالم أجمع، بصورة يمكن للحدث فيها أن يؤثر بشكل جدي على المنظومة الأمنية العالمية بالشكل الذي يمهد لاستقطابات أمنية عالمية كبيرة، وترينا أحداث اليوم أن أيّ حادث جاد في المنطقة يؤدي بطبيعة المنطقة الجيوبولوتكية إلى استقطابات جادة في المنظومة الأمنية العالمية، فما بالك لو كان الأمر أكبر من أحداث اليوم؟!

د ـ سيكون العراق في ذلك الوقت مفككاً إلى حد كبير، مع سطوة تتنامى بالتدريج لليماني والخراساني، بحيث تبتدىء خيولهم تنقض أطراف جيش السفياني قبل أن يولّي مدبراً من الكوفة، فيلحقه اليماني ويسترجع كل ماغنمه السفياني من نهب الكوفة، ولكن هذا يكون بعد

---

(١) غيبة الطوسي: ٤٤٧ ح٤٤٥.

وصول الإمام (روحي فداه) إلى العراق على ما يبدو، مما يؤكد أن أيام هذا الملعون في العراق قليلة.

أمّا ما يتبين من الروايات التي تحدثت عن سطوة كبيرة للسفياني في إيران وفي غيرها، وامتداد نفوذه وسيطرته إلى البصرة وغيرها، فإن ذلك ربما يشير إلى تعدد السفياني وتعدد أزمانهم.

أمّا المقصود بالسفياني المحتوم، فإن أيامه ستكون قليلة، ولكنه سيرتكب ـ ولا شك ـ مجازر كبرى وفظائع عظمى في بغداد والكوفة والنجف وكربلاء، قبل أن يهرب منها نتيجة لقدوم الإمام (روحي فداه) إلى العراق، ونظراً لظروف الاشتباك الذي يحصل في الكوفة بينه وبين اليماني من جهة، وبينه وبين الخراساني من جهة أخرى، فمن المؤكد أن هذا الملعون يخرج من الكوفة قبل إقبال الإمام (روحي فداه) إليها، وهذا الخروج ما كان ليكون لولا جهود اليماني بالتحديد ومن بعده الخراساني في إنقاذ الناس هناك.

ولكن هذا الخروج لا يعني أن سطوته قد زالت من بغداد التي ستشهد دماراً هائلاً كما تصف الروايات، ومنها ما يرويه المفضّل بن عمر الجعفي، عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه) وهو يتحدث عن بغداد: «ثم ليخربها الله تعالى بتلك الفتن وتلك الرايات، حتى لو مرّ عليها مارٌّ لقال: ها هنا كانت الزوراء!»[1].

وما من ريب فإن هذه الظروف ستضفي آثاراً كبرى على معنويات وحركة جيش اليماني، فدرجة الغضب ستكون في أوجها لما يجري من

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ٤٥١ ح٥١٢.

فظائع بحق شيعة أهل البيت (صلوات الله عليهم) في العراق، والتوجيه المؤكد لليماني لجيشه بأن هذه المرحلة هي العتبة الأخيرة للممهّدين الذين يجب أن يتحملوا أعباءها كاملة ويتجرّعوا استحقاقاتها، وما يرونه من فرصة كبيرة للتحرك للانتقام من تلك المظالم بحيث تغدو غايتهم الكبرى الأخذ بثارات من ظُلم.

ذلك ما تشير إليه رواية متقدمة عن الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حينما أشار إلى إقبال جيشَي اليماني والخراساني يستبقان كأنهما فرسَي رهان، شعث غبر جرد، فيكون نداؤهم العام معبّراً عن مشاعرهم في ما عرفوا به من فظائع للسفياني اللعين: «لا خير في مجلسنا هذا، اللهم فإنّا التائبون»[1].

وقد وقع صاحب كتاب (تاريخ ما بعد الظهور) في لبس إحدى الروايات فقال بأن السفياني سيقتل اليماني بشكل مبكر، حتى قبل أن يصل إلى الكوفة، فيقول في حديثه عن الفترة الواقعة بين معركة قرقيسيا وبين التوجه للكوفة: «فيدخل العراق، ويضطر إلى منازلة اليماني في أرض الجزيرة (ويعرفها بأنها أرض ما بين النهرين في العراق)، فيسيطر عليه أيضاً، ويحوز من جيش اليماني ما كان قد جمعه من المنطقة خلال عملياته العسكرية، ثم يسير إلى الكوفة ـ إلى أن يقول وهو يتحدث عن اليماني: ـ والسفياني سيجهز عليه، وسيخلي الساحة العراقية منه»[2].

ومنشأ اللبس ربما يعود لتصحيف في الكتاب الذي نقل الرواية

---

(١) سرور أهل الإيمان: ٥٤، وعنه في بحار الأنوار ٥٢: ٢٧٤ ح١٦٧.
(٢) تاريخ ما بعد الظهور: ٢٠٣ إلى ٢٠٧.

التي تتحدث عن معركة السفياني مع قيس في منطقة الجزيرة، وقد قلنا بأن الجزيرة هي ديار ربيعة الحالية، لا كما تصور بأنها ما بين النهرين، والرواية كما ينقلها الشيخ الطوسي في (الغيبة)، بسند عامي، عن عمار ابن ياسر، يقول: «ويسير صاحب المغرب (وهذا هو قائد جيش قيس) فيقتل الرجال ويسبي النساء، ثم يرجع في قيس، حتى ينزل الجزيرة السفياني، فيسبق اليماني [فيقتل][1]، ويحوز السفياني ما جمعوا»[2].

ولفظ هذه الرواية يختلف عما نقله الشيخ المجلسي في (بحار الأنوار) عن (الغيبة)، ففيه العبارة كالتالي: «حتى ينزل الجزيرة السفياني، فيسبق اليماني، ويحوز السفياني ما جمعوا»[3].

وعين العبارة في (الفتن) لنعيم بن حماد، وفي (كنز العمال) عنه: «ويسير صاحب المغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء، ثم يرجع في قيس حتى ينزل الجزيرة إلى السفياني، فيتبع اليماني فيقتل قيساً بأريحا، ويحوز السفياني ما جمعوا، ثم يسير إلى الكوفة[4].

وهنا نلاحظ أن لا وجود لأية إشارة لمقتل اليماني على يد السفياني، وإنما واضح العبارة ـ بعد إزالة التصحيف منها ـ أن السفياني يقتل صاحب المغرب، وهو قائد جيش قيس، في المناطق الممتدة بين الأنبار والموصل، وهذه المناطق هي مناطق قيس أساساً، والسفياني يسبق

---

(١) هذه إضافة من محقق كتاب (الغيبة) من بعض نسخ الكتاب.
(٢) غيبة الطوسي: ٤٦٤ ح٤٧٩.
(٣) بحار الأنوار ٥٢: ٢٠٨ ح٤٥.
(٤) الفتن: ١٧٠، وكنز العمال ١١: ٢٧٣ ح٣١٤٩٧.

اليماني في حركته للاستيلاء على هذه المنطقة، والكلام عن حيازة جيش السفياني لما جمعوا خاصة بقيس وما جمعت في حروبها، ولا يخصّ اليماني.

والأحاديث التي تشير إلى وجود اليماني في مرحلة ما بعد استيلاء السفياني على الكوفة، تؤكد وقوع اللبس في كلام صاحب (تاريخ ما بعد الظهور)، والدليل قائم على أن هذه الأوصاف العالية التي أوليت لليماني لا يعقل أن توصف بها حركة تبقى لمدة وجيزة قد لا تمتد لأكثر من شهر؛ فتنبّه!

ولعل ما يساعد على ذلك أن الرواية التي تحدثت على اجتماع الخراساني واليماني ما بعد اجتياح الكوفة من قبل السفياني وتصميمهم على عدم الخير بالحياة ونزوعهم الشديد إلى الأخذ بثأر الكوفة يتناسق مع الرواية التي رواها الطبري والثعلبي في تفسيريهما، وكذا صاحب (عقد الدرر)، فإنه قال بعد أن تحدث عن الأعمال الشنيعة التي يرتكبها السفياني في بغداد والكوفة: «ثم يخرجون «أي جيش السفياني) متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هدى من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش، منها على مسيرة ليلتين، فيقتلونهم، لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم»[1].

ولعل هذه الراية هي نفس ما يشار إليها بلفظ آخر في كتاب (الفتن)، فقد روى بإسناده إلى أرطأة ـ بعد أن تحدث عن جرائم السفياني في الكوفة ـ: «ويخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم: العُصَب، ليس معهم

---

(١) تفسير الثعلبي ٨: ٩٥، وتفسير الطبري ٢٢: ٧٢، وعقد الدرر في أخبار المنتظر: ١١٠، وبشارة الإسلام: ٢١.

سلاح إلا قليل، وفيهم نفر من أهل البصرة، فيدركون أصحاب السفياني، فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة»[1].

فلو صحت هذه الرواية ـ وعلى ذلك دلائل عديدة ـ، فإن راية اليماني هي الراية الوحيدة التي شُخّصت بالهدى في تلك الفترة؛ فتأمّل!

وقد احتمل صاحب كتاب (بشارة الإسلام) وغير واحد، أن هذه الراية يمكن أن تكون راية الحسني[2]، ولا دليل قوي عليه.

المطلب الثاني: الشرائط الكونية

ستتميز هذه الفترة بالذات بأحداث كونية متميزة جداً، وما نعني بالفترة هنا لا ينحصر بالضرورة بين خروج اليماني وبين الظهور الشريف، ولكنها ستكون متقاربة جداً، وإن كنت أميل إلى أنها ستكون في الفترة ما بين خروج اليماني وبين الظهور الشريف، وتحديداً لعلها ستكون منحصرة بين شهري رجب ونهاية شهر رمضان السابق لظهور الإمام (روحي فداه) مباشرة، بناء على ما اعتُقد أن هذه الآيات الكونية التي لم تحصل من قبل مترابطة بحدث واحد يترتب عليه حصول هذه الآيات الكونية، وباعتبار أن حدوث الخسوف والكسوف يؤرخ له في بداية ومنتصف شهر رمضان، فإن مدار حدوث آية طلوع الشمس من المغرب وآية الدخان ستتعاقبان وتفضيان إلى حصول الكسوف والخسوف المشار إليهما، وهذا الأمر ينسجم مع حصول الآية الملكوتية المتأتية في حصول الصيحة الجبريلية، ضمن تفصيل سنتعرض له في محله إن شاء الله.

---

(١) الفتن: ١٧٤.

(٢) بشارة الإسلام: ٢١.

وهذه الأحداث ستعطي البعد التعبوي لعموم المؤمنين ولخصوص الرايات المقاتلة، ولا سيّما رايات اليماني والحسني والخراساني زخماً معنوياً هائلاً، نتيجة لما يرونه من صدق ما حدّثهم به أئمتهم (صلوات الله عليهم) عنها، وما يعرفون أن ما سيترتب على ظهور هذه الأحداث هو تحقق أملهم الأعظم بتحقق الظهور القريب للإمام المهدي (بأبي وأمي)، ولك أن تتصور هذا البعد وما يضفيه على قلوب المؤمنين بشكل عام، وعلى المقاتلين بشكل خاص، وعليك أيضاً أن تتصور اليأس في قلوب النواصب حينما يرون هذه الأحداث، لما يعرفون منها قرب ظهور الإمام بناء على تحقق هذه الأحداث وٱنتهاء شوكتهم على أثرها.

كما يمكن رصد حالة عامة ستتشكل لدى عامة المسلمين، نتيجة لما يعتقد غالبيتهم العظمى ـ بناء على مقتضى اعتقادهم في الروايات التي يعتمدونها عن رسول الله ﷺ ـ بأن ظهور الإمام (عجَّل الله تعالى فرجه) أو قيام الساعة قد بات قريباً جداً؛ لأن هذه الآيات الكونية التي نحن بصدد التحدث عنها هي جميعها واردة من طرق العامة فضلاً عن طرق الخاصة، وهي مؤطرة لديهم إما بظهور الإمام أو بقيام الساعة، تبعاً لطبيعة المحدّثين، وهي على أي حال ستطلق موجة من الأوضاع المعنوية التي ستمهد لاستسلام كبير للمقولة المهدوية وفقاً للأطروحة الإمامية.

وطبيعة هذه الأحداث لن تكون كما عرف العالم من أحداث كونية اعتاد عليها، كالزلازل والبراكين وما إلى ذلك، فهذه الأحداث سيتميز بعضها بكونها تحدث لأول مرة فيما يُعرف من تأريخ البشر، وهي في

ظاهرها قد تبدو مخالفة للنظام الكوني الذي اعتاد عليه البشر، ولهذا فإن قلب العالم سيكون متوقفاً ـ إن صح التعبير ـ وهو يرى هذه الأحداث لأول مرة، وما قد تتسبب به من انهيارات عقائدية وفكرية في أكثر من اتجاه، أو تمهّد لذلك، وهذا كله يدخل ـ حتماً ـ في خدمة قضية الإمام (عجَّل الله تعالى فرجه).

وقبل أن نتطرق إلى سرد هذه الأحداث علينا أن ننتهي من قضية أساسية، وهي؛ هل إن ما سيحدث من آيات كونية يدخل في إطار الإعجاز أو في إطار النظام الكوني الطبيعي؟

وبالرغم من أن الأمرين محتملان في حد ذاتهما، ولا يتنافيان مع طبيعة النظام الفلكي الكوني، فهو بالنتيجة بيد الله سبحانه وتعالى، والله تعالى بيّن أنه ـ جلّت قدرته ـ أجرى الأمور بأسبابها ومسبباتها ضمن نطاق العلة والمعلول، ولكنه لم يوقف الأمر عند هذا الحد، وتركه مفتوحاً لمقتضيات عملية الهداية الربانية، التي قد تستلزم ما بين فينة وأخرى استخدام الإعجاز لكي تسقط الحسابات المادية البحتة، ويزداد تعلق الإنسان بخالق هذه الحسابات، ولكي تصدّق الحجج الربانية وأقوال الأنبياء وأوصيائهم.

ولهذا، فإننا نعتقد ـ في بداية المطاف هنا ـ أن هذه الأحداث سواء جاءت إعجازية أو جاءت طبيعية، فإن حصولها وحدوثها ليس بمستغرب ضمن مسارات عملية الهداية الربانية، فلقد حصل مثيل لها في ما مضى من الزمان، كما هو الحال في انشقاق القمر، وفي نقل عرش بلقيس من خرق للقوانين الفيزيائية الطبيعية المعتادة من قبل وصي سليمان عليه السلام، وما إلى ذلك.

وكذا، فإنه حينما يحصل هذا الخرق، فإن هذا الحصول لا يتحدث عن تفرّد سرمدي لهذه الحادثة، ومجرد حصولها يؤكد إمكانية حصولها مرة أخرى من دون ضرورة لحصوله، وقد أثبتنا في بحث آخر أن هذا الخرق لم يك خاصاً بالأنبياء عليهم السلام، ولا حتى بالأوصياء عليهم السلام، وإنما هي ميزة ربانية منحها لعباده ضمن استحقاقات معينة، ضمن تفصيل يراجع في محله[1]؛ هذا أولاً..

أما ثانياً، فإن ما يمكن أن يكون حدثاً إعجازياً هل سيكون عبر تدخل إلهي مباشر؟ أم إن هذه الأحداث ستكون من جملة ما منحه الله من لطفه للإمام (روحي فداه)؟ بمعنى أننا لو قلنا بنظرية الإعجاز في نشأة هذه الأحداث، فمن سيتصدى لفعل هذا المعجز؟ رب العزّة والجلالة؟ أم نفس الإمام (صلوات الله عليه)؟

وبالرغم من أن القرآن أشار لوجود المنحيين، أي منحى الأمر الإلهي المباشر، كما في قوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾[2]، وهذا الأمر لم ينفّذ من قبل الله تعالى قطعاً، فالله سبحانه منزّه عن مجانسة مخلوقاته، ولذلك تتحدث النصوص الدينية المعتمدة هنا بأن المتصدي لذلك خاصة أنبيائه، ولكن الأمر كان منه سبحانه وتعالى.

والمنحى الثاني الذي يعبّر عن تدخل الإرادة الإنسانية المباشرة في نشأة الفعل، فقد أشير إليه في النص القرآني كذلك، فصاحب عرش بلقيس تحدث عن ذاته مباشرة حينما قال: ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ

---

(١) انظر كتابنا: الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم عليه السلام.
(٢) سورة الشمس، الآية: ١٤.

طَرْفُكَ﴾[1]، كما إن عفريت الجن عبّر ـ أيضاً ـ عن مباشرة الذات حينما قال: ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾[2]، ومن الواضح جداً أن هذه المباشرة إنما هي إرادة لاحقة لصلاحيات ومنح وعطايا ربانية سابقة، لا على نحو الاستقلالية بالفعل؛ فلا تغفل!.

أقول: بالرغم من أن المنحيين قد أشير إليهما في القرآن الكريم، ولكن هل نحن هنا أمام فعل معجز أساساً؟ أم أن هذا الفعل هو من طبائع النظام الكوني الطبيعي ولكن لم يره البشر، أو لم يحصل نتيجة لعدم اكتمال شروط وجوده؟ وإلا فهو ممكن الحدوث والحصول وفق السياقات الطبيعية للنظام الكوني.

ونحن في الوقت الذي لا نمتلك آليات القطع لنميل بالحديث إلى اتجاه دون آخر، ولكن من الواضح جداً أننا لا نمتلك أية إشارة في الروايات الشريفة التي تحدثت عن ذلك إلى أن ما سيحصل سينجم عن خرق للنظام الكوني الطبيعي، وأقصى ما تحدّثت به الروايات أن هذه الأحداث لم يسبق حدوثها من قبل، وبما يسقط حساب المنجّمين، كما في رواية الإمام الباقر (صلوات الله عليه)، قال: «اثنان بين يدي هذا الأمر: خسوف القمر لخمس، وكسوف الشمس لخمس عشرة، ولم يكن ذلك منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض، وعند ذلك يسقط حساب المنجّمين»[3].

ومن الواضح أن عدم الحدوث لا يعني عدم طبيعية ما سيحدث

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.
(٢) سورة النمل، الآية: ٣٩.
(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٥٩٤ ب٥٧ ح٢٥.

ضمن النظام الكوني، ولا توجد ضرورة للقول بأن عدم الحدوث هذا ناجم في نفس الظاهرة بل ربما تتداخل ظاهرة الخسوف والكسوف مثلاً بظاهرة أخرى فيتغلب سلطان تلك الظاهرة على سلطان الخسوف والكسوف، كما قد تتغلب قوانين الحركة على قوانين الجاذبية في محلٍّ، وتتغلب الأخيرة على الأولى في محل آخر؛ فتنبّه!

ولعل ما يساعد على ذلك أن هذه الأحداث كلها ستأتي سابقة لظهور الإمام (روحي فداه)، وبالتالي فإن إمكانية توجيه الفعل المعجز باتجاه ظاهرة الهداية تكاد أن تكون معدومة أو قليلة التأثير، بل سيمكن تحويل مسارات تفسير هذه الظاهرة باتجاه آخر بعيد تماماً عن عملية الهداية الربانية؛ إذ من المتوقع هنا أن تتولى المحافلُ العلمية عمليةَ تفسيرِ هذه الظواهر، لتدخل في سجالات التفسيرات العلمية البحتة، من دون أية إشارة للبعد الغيبي أو الروحي لهذا الموضوع، في وقت ربما نجد أن المعجزة الربانية حينما تتحقق، فإن المعصوم (صلوات الله عليه) يتدخل في تسيير أمر كوني معين يقترن في العادة بالتفسير الذي يبقي الحدث ضمن الأهداف التي أبرزته وأفضت إليه.

والأحداث ستكون متمثلة بالتالي:

أ ـــ طلوع الشمس من المغرب إلى المشرق:

وهذه الآية الكونية مما اتفق على أمرها الجميع، شيعة وسُنّة، وهي من المحتوم؛ أمّا الشيعة فإنهم يوردون حديثها ضمن العلامات الحتمية لظهور الإمام المهدي (صلوات الله عليه) فعن أبي حمزة الثمالي (رضوان

الله عليه) بسند صحيح، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: ـ إلى أن قال: ـ وطلوع الشمس من المغرب من المحتوم[1].

وأمّا أهل السّنّة فإنهم يوردونها بعنوانها من أشراط الساعة، فيروي أحمد بن حنبل، عن أبي هريرة قول النبي صلى الله عليه وآله: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت الشمس من المغرب آمن الناس كلهم[2].

وهذه الآية مما سيطّلع على شأنها كلُّ أهل العالم، إما بشكل مباشر فيتأثرون عملياً بكل ما يترتب على ذلك، أو بشكل غير مباشر، كما هو الحال في نصف الكرة الأرضية الآخر الذي لا يقابل الشمس، ولا يُعتقد أن هذه الآية ستتكرر بحيث ينتقل بزوغ الشمس من المشرق إلى المغرب، بل ولا يُعتقد أيضاً أن حدوثها سوف يستمر لأكثر من يوم واحد، كما ولا يعتقد أنها لن تثير هلعاً عاماً في عموم الكرة الأرضية، كما أن من المتيقن أنها ستثير المسلمين بشكل خاص ضمن اتجاهين:

أولهما: ما سيحصل لدى العامة من المسلمين، الذين رووا هذه العلامة ضمن شرائط الساعة، وبالنتيجة فإن الذي سيحصل سيدور ما بين الهلع وما بين الالتصاق أكثر بالحالة الدينية.

وعلى أي حال، فإن الغالبية من هؤلاء سوف تتربص الزمن كي تعرف ما الذي سيحصل من بعد ذلك، فالمتيقن لديهم أن هذا آية عظمى، وهي من الآيات التي ترتبط بنهاية الدنيا، وإن كان المتوقع أن الحدث لو

---

(١) غيبة الطوسي: ٤٣٥ ح٤٢٥.
(٢) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٣٥٠.

تم ضمن الظروف الطبيعية للنظام الكوني فإنه قد لا يثير انتباه العامة له، لأن الغالبية قد يتوقعونه حدثاً خارقاً بشكل فاقع للنظام الكوني، وبالتالي فإنه لو جاء وفق سياقات هذا النظام الطبيعية كما قد يشير إلى ذلك علماء الفلك والفضاء وغيرهم، كما هو دأبهم المعتاد، فقد يَعدّه هؤلاء ـ أي العامة ـ بأنه ليس الحدث المقصود الذي يتوقعون صورته الإعجازية للنظام الكوني، وسيبقون ينتظرون هذا الحديث.

وثانيهما: ما سيحصل لدى شيعة أهل البيت عليهم السلام، فإن من المتيقن أن المؤمنين منهم ستعتمر في قلوبهم أفراح غامرة، وسينتعش لديهم الأمل بعد طول عناء، وستتكون عندهم حالة تعبوية شاملة لطبيعة علاقة الحدث بظهور الإمام المهدي (صلوات الله عليه)، وبصورة يقينية سيتولد لدى جيش اليماني وبقية الرايات المؤمنة زخم هائل على الأصعدة المعنوية والتعبوية والفكرية.

ويمكن أن نتبين بعضاً من ذلك من خلال الروايات التي تتحدث عن أن قلوب المؤمنين ستتأثر بشكل هائل حين يظهر الإمام (روحي فداه)؛ إذ يروي ثقة الإسلام الكليني في حديث صحيح، بإسناده إلى عبد الملك بن أعين، قال: قمت من عند أبي جعفر عليه السلام فاعتمدت على يدي فبكيت! فقال: ما لك؟! فقلت: كنت أرجو أن أدرك هذا الأمر وبي قوة؛ فقال: أما ترضون أنّ عدوّكم يقتل بعضهم بعضاً وأنتم آمنون في بيوتكم؟! إنه لو قد كان ذلك (أي ظهور القائم) أعطي الرجل منكم قوة أربعين رجلاً، وجعلت قلوبكم كزبر الحديد، لو قذف بها الجبال لقلعتها، وكنتم قوّام الأرض وخزنتها[1].

---

(١) الكافي ٨: ٢٩٤ ح٤٤٩.

وعلى ما يبدو، فإن هناك اتجاهين في فهم وتفسير هذه الآية الكونية، فهي إما أن تتحدث عن خرق للنُّظُم الفلكية المعهودة التي تحكم الكون، وهذا الخرق لا يمكن حصوله بشكل عشوائي دونما نظام، ولهذا يكون التفسير بأن معجزة ما قد حصلت، باعتبار أن المعجزة وإن كانت خارقة لما نعرفه من النظام الطبيعي ولكنها لا تعبث بالنظام، وإنما تبقيه، غاية ما هنالك أنها كالقوة الغالبة التي تسيطر على أمر ما، وهذا الأمر يعود لسابق عهده حينما تزول هذه القوة، فهي لا تلغيه، ولكنها تؤثر عليه وتوقف تفاعيله.

وعندئذ يكون الكلام في هوية المُعجِز وغاياته، وقد قلنا سابقاً: إن طبيعة المعاجز تقترن عادة مع إيضاح أسبابها وأهدافها؛ ومن الواضح هنا أن خفاء هوية المُعجِز يقلل من أهمية عملية الإيضاح أو ينفيها، ولا سيّما مع عدم وجود من ينطق باسم المُعجِز؛ فتأمّل!

وإما أن يكون هذا الحدث وفقاً لطبيعة النظام الكوني وضمن آلياته ـ وهو المرجّح لدينا ـ ولكن هذه الطبيعة غير مألوفة، أو تنجم بشكل طبيعي ولكن نتيجة حدث نادر، وهنا قد تكشف هذه الحادثة عن ولادة فهم جديد يطلق ثورة في معرفة النُّظُم الفلكية، ومهما يكن يبقى التفسير العالمي قابلاً لاحتواء الموضوع وتفسيره.

فما يتم التحدث عنه الآن بشأن المريخ مثلاً، من بروز ظاهرة طلوع الشمس من مغربه، التي تسمى علمياً بظاهرة (Retrograde motion)[1]،

---

(١) للتفصيل يمكن الرجوع للمقالة التالية: Spacewath Friday: Reverse Course! Mars Motion Soon to be Backward; by joe Rao; http://WWW.space.com/ spacewatch/ mars-retrograde-030725.htmI.

وهو أمر اكتشف حديثاً من قبل وكالة الفضاء الأمريكية، لم يكن مألوفاً من قبل رغم أنه من آليات النظام الكوني، وربما لم يستطع العلماء الفلكيون لحد الآن من تفسيره بشكل كامل، ولكنه أطلق زخماً من المعارف لم تكن مألوفة من قبل، رغم بقائه أمراً طبيعياً، أي في حدود النظام الفلكي الطبيعي، ولهذا ربما ـ بطريقة أو أخرى ـ تتكرر هذه الحادثة ضمن النطاق الأرضي، ولا سيّما أن ما يجري في المريخ إنما يجري داخل نفس المجموعة الشمسية.

وقد يفسّر ذلك كله بأنه ربما ينشأ من دخول كويكب أو جُسَيم في المدار الفلكي بين الشمس والأرض لسبب أو آخر، مما يحجب رؤية الشمس عن الأرض وحينما ينحسر يكون بزوغها من المغرب.

وبعيداً عن هذا وذاك، فإن ما يعنينا هنا هو أن طلوع الشمس وحركتها من المغرب إلى المشرق موجودة في تاريخ المسلمين، كما هو الأمر في حالة رد الشمس لرسول الله ﷺ ولأمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، وهذه الحالة وإن فسرت بأنها معجزة، ولكن يغلب على الظن أنها كانت تسخيراً لأمر موجود في داخل النظام الكوني من دون أن يتسبب ذلك بخرق له، وعلى شاكلة ما حصل في قصة سليمان عليه السلام مع عرش بلقيس.

فالقرآن الكريم تحدث عن وجود نمط من العلم لدى آصف بن برخيا عليه السلام، وهو المعنيّ بهذه القصة القرآنية ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1]، غاية ما هنالك أن هذا

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.

العلم خفي علينا وآتضح عنده؛ لأسباب يمكن التعرف عليها في الكتب المختصة[1].

بمعنى أن حركة الشمس فيزيائياً تترابط بقوانين الحركة بشكل عام، ويرتبط انتظامها بقوانين الديناميكية الحرارية، وتطلق معطيات هذه القوانين تأثيرات متعددة على قوانين كثيرة حدة وضعفاً، كقوانين الجاذبية والمغناطيسية وما إلى ذلك.

ومن الواضح أن العلماء المختصين يكتشفون ما بين فينة وأخرى تداخلات في هذه القوانين تسبب ظواهر كونية تبدو للوهلة الأولى كأنها غريبة، ولكن حصولها ـ مع أنها غريبة ـ يحوّلها بالتدريج إلى ظاهرة معروفة علمياً، بحيث إن حصولها مرة أخرى لن يستقبل بالغرابة التي عرفت أول مرة.

كما إنه من الواضح أيضاً أن كثيراً من الظواهر العلمية وإن عُدّت ظاهرة علمية وكونية، غير أنها ما زالت غير قابلة للتفسير القطعي ضمن نسق النظام الفلكي الكوني، وعدم وجود التفسير لم يفسح المجال للعلماء أن يَعُدّوا ذلك خرقاً للنظام الطبيعي؛ غاية ما هنالك أنهم قالوا: بأنهم يجهلون أسباب حصول هذه الظاهرة.

ولهذا؛ فإن إمكانية وجود عوامل في القانون الطبيعي ما زالت مجهولة، من شأنها أن توقف قوانين أخرى معتادة، بدا اليوم كأنه أمر طبيعي، ولهذا فإن حصول كثيرٍ من الظواهر الكونية المجهولة أو الغريبة لا يعدّ اليوم من أشكال المعجزة الكونية، لأن العلماء يتعاملون مع

---

(١) يمكن الرجوع إلى كتابنا: الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم عليه السلام للإلمام بذلك.

مجهول كوني يعترفون بقصور علومهم من أن تصل إليه، ولا سيّما أننا نتحدث عن ملايين المجرات الفضائية، وفي كل مجرة هناك حشد هائل من المجاهيل، وهذا الأمر يسري بشكل واضح على مجرتنا التي نحن فيها، المسماة بمجرة درب التبانة، فما بالك بغيرها التي تبعد عنا مما أفلحت الحسابات الرياضية في اكتشافه ومما لم تفلح بعد؟!!

وعليه: فإن حدثاً ما، ولسببٍ ما يمكن أن يطلق تأثيرات متعددة على حركة الشمس وبزوغها من دون أن يلغي النظام العام لحركة الشمس هو أمر محتمل علمياً ولا يعدّ من صنف المستحيل بحيث ندخله إلى صنف الإعجاز، وإمكانية الحصول من الناحية الفيزيائية يؤكد إمكانية حصول المعجزة أو حصول ما نجهل كيفية وقوعه.

غاية ما هنالك أن نظرية المعجزِ تحتاج إلى التعريف عن هوية المتصدي لفعل هذا الإعجاز، وقد قلنا بأن عدم إمكانية وجود المتصدي أو التحدث بالنيابة عنه يضعف احتمال حصول هذه الآية الكونية بطريقة الإعجاز، باعتبار أن المتصدي لذلك إن كان هو الإمام المنتظر (عجَّل الله تعالى فرجه) فإنه يحتاج للإبلاغ عن كونه هو الفاعل، والإبلاغ لن يكون حتماً من خلاله؛ لأنه غائب في وقت حصول هذه الآية، ولن يكون حتماً من خلال وكيل له؛ لأن التحديث عنه (بعنوان الإبلاغ) ممنوع من بعد النائب الرابع (رضوان الله تعالى عليه)؛ فلا تغفل!

ب ـــ آية الدخان:

وهذه الآية هي إحدى العلامات الحتمية التي ستحصل في هذه الفترة أيضاً، وهي مورد إجماع المسلمين أيضاً، وقد عبر عنها أمير

المؤمنين عليه السلام في ما نقله عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «عشر قبل الساعة لا بُدّ منها: السفياني، والدجّال، والدخان...» إلخ[1].

ومن كتب العامة، ما رواه مسلم، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجّال...» الحديث[2].

ولربما من الناحية العلمية ستكون متصلة الحدوث بمسألة طلوع الشمس من المغرب ضمن حديث سيأتي، وفي تصوري أننا سنلمس نفس الآثار التي لمسناها في العلاقة السابقة في انعكاساتها الاجتماعية.

جـــ ـــ حدوث الخسوف والكسوف:

والمقصود به حدوثهما بصورة غير مألوفة، وذلك في شهر رمضان، ففي العادة يحدث الكسوف في أول الشهر، ويعقبه الخسوف في منتصف الشهر، ولكن ما سيحصل هو ما تعرب عنه رواية بدر بن الخليل الأزدي، قال: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: آيتان تكونان قبل القائم، لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض؛ تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان، والقمر في آخره؛ فقال رجل: يابن رسول الله! تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف؛ فقال أبو جعفر عليه السلام: إني لأعلم بما تقول، ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام[3].

والروايات هنا تبدو متضاربة في شأن التوقيت، فبعضها يشير إلى

---

(١) غيبة الطوسي؛ ٤٣٦ ح٤٢٦.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨: ٨٧.
(٣) غيبة الطوسي؛ ٤٤٤ ـ ٤٤٥ ح٤٣٩.

أول الشهر ومنتصفه، كما أوردناه سابقاً، وبعضها يشير إلى منتصف الشهر وآخره، وقد تعمدت أن أورد الاثنين، ولا جدوى كبيرة من التدقيق في أرجحية هذا على ذاك، ولا سيّما بالنسبة إلى وقتنا الحاضر[1]، وكيفما اتفق فإن الحديث هنا منصبٌّ على أن ثمة آية كونية أو ظاهرة كونية تحصل بصورة لم يألفها الناس.

ووفقاً لما أشرنا إليه سابقاً، فإن من غير المتصور أن تتم هذه الآيات الكونية لو أخذت بمفردها[2] بطريقة الإعجاز السماوي للتدليل على الإمام المهدي (صلوات الله عليه) كما حاول بعضهم أن يقول؛ لأن الإعجاز هنا لا دلالة واضحة فيه على الارتباط بالحجة التي يراد إقامتها على الناس؛ إذ من المعروف أن مصاديق الإعجاز في القرآن والسُنّة الشريفة كلها تحكي الارتباط بين المعجزة وبين هدفها، أي ما يراد إثباته من خلالها، ومن الواضح أن هذا النمط لا يحقق هذا النوع من الترابط؛ لأن حركة المعجزة هي حركة هادفة ترتبط بالمعجِز، وليست اعتباطية، وقد تقدّم الحديث عن ذلك فلا نعيد.

وأغلب الظن أن حدثاً كونياً يتم وفق القوانين الطبيعية للنظم الفلكية، يؤدي إلى حصول ذلك، والحادثةُ تُطلِق من بعد حصولها سلسلةً من التفاعلات التي يرى العالم غرابتها لحدوثها لأول مرة،

---

(١) هذا أمر يحتاج إلى وقت لا أمتلكه فعلاً.

(٢) نعم اجتماع كل هذه العلامات والآيات وفق نسق زماني أشير إليه سابقاً في الروايات الشريفة، لا بد وأن يحكي تدخلاً ملكوتياً في نظم الأحداث، وهذه الأحداث وإن كانت في ذاتها لا تعبر عن نظام المعجزة، ولكن اجتماعها ونظمها وحشدها في وقت معين فيه دلالات واضحة على تدخل إرادة خارجية عن النظام الطبيعي، هي ولا ريب من أنماط اللطف الإلهي المباشر.

وليس لأنها خارقة للنظم الفلكية، وهنا يمكن أن نقول بأن فرضيات علمية عديدة يمكن أن ترسم السيناريو الخاص بذلك، من دون القطع بأن الأمور ستنحصر بمثل هذه السيناريو أو تلك، كأن يقال: بأن جُسَيماً أو كويكباً أو مذنّباً يدخل بطريقة معينة ـ كمخترق ـ إلى داخل المدار الفلكي بين الشمس والأرض، بطريقة تكون حركة اختراقه معاكسة لحركة المدار الفلكي، فيؤدي ذلك أولاً إلى حصول ظاهرة طلوع الشمس من المغرب، لأنه سيحجز رؤية الشمس على الأرض إلا في وقت الغروب..

وهذا النمط هو أشبه بالكسوف الكلي للشمس ولكنه طويل الأمد، فالكسوف الكلي عادة يرتبط بمدة لا تتجاوز الساعتين أو أكثر بقليل، وهذا يدوم لأكثر من ذلك، ويمكن تصور ما يطلقه مثل هذا الحدث من تفاعلات على مستوى مقدار ثبات هذا الكويكب أو المذنّب في حال اختراقه المدار بعكس الاتجاه على سبيل المثال، فقد يفجّر بعضاً منه، أو يتفتت جزءٌ آخر منه، أو يدخل هو ومعه شظايا دخوله إلى المدار الشمسي، مما يمكن لنا معه أن نفترض حصول حاجز بين الشمس والقمر والأرض لنشاهد معه حالة الكسوف والخسوف في غير وقته.

ويمكن للسيناريو العلمي هذا أن يفترض إمكانية حصول تأثيرات في الضغط الجوي للأرض مما قد يؤدي إلى حصول ظاهرة نظير ما يسمى بظاهرة النينو (EL Nino) التي تشبّه علمياً بالدخان، بصورة ضخمة، مما قد يطلق ظاهرة الدخان على المستوى العالمي الواسع، بحيث يكون الدخان مصداقاً لما أشارت إليه الروايات؛ والله العالم.

وقد أشارت رواية عبد الكريم الخثعمي عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه) إلى موعد المطر، فقال عليه السلام: «وإذا آن قيامه مُطِر الناسُ جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم ير الخلائق مثله»[1].

وبالرغم من أن هذا التوقيت غير حاسم هل سيكون في سنة ما قبل الظهور؟ أو في غيره؟ لأن تكملة الرواية تشير إلى عملية الرجعة، ولهذا نذكرها للعلم دونما تعليق وافٍ.

ويلاحظ هنا أن الأجواء العامة ستكون مضطربة جداً قبل ظهور الإمام (روحي فداه)؛ إذ نرى زلازل وبراكين وعواصف وأوبئة، وغيرها من الحوادث والكوارث الطبيعية، في وقتها وفي غيره، وحركة الجراد ـ على سبيل المثال ـ يشار إليها في الروايات ـ أيضاً ـ بنفس الطريقة، والمطر هنا ـ كذلك ـ يأتي بمعدلات عالية جداً قياساً إلى جدب شديد قبله، حتى أن غزارة هطوله تخرب حتى التمر، ولكن الأمر ليس نفسه حينما يظهر الإمام (صلوات الله عليه)، فالمطر سيبرز بركاته وخيره للناس.

وعلى أي حال، فإن ظاهرة احتباس المطر ثم إغداقه بهذه الصورة ستكون دالة للناس على ترقب ظهور الإمام (صلوات الله عليه) بشكل جدي، في وقت سيكون القلق في مكان، والخوف في آخر على أشده، والقحط والجوع في مكان ثالث نتيجة لأعمال الظالمين، كما أشار الإمام الصادق عليه السلام في ما يرويه عنه أبو بصير، قال: «لا بُدّ أن يكون قدّام القائم

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٨١.

سنة يجوع فيها الناس، ويصيبهم خوف شديد من القتل، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات. . .» الحديث[1].

وكل ذلك بما يلقي من ظلاله الثقيلة على الأوضاع المعنوية العامة، سيأتي المطر المشار إليه كدلالة على حيان الموعد المرتقب بالنسبة لمتحملي الألم، وسيلعب دور تحفيز الهمم وإنعاش الآمال بما لا يخفى.

المطلب الثالث: الشرائط الملكوتية:

ونعني بها التدخل الإلهي المباشر في التمهيد الحاسم لظهور الإمام (صلوات الله عليه) مما لا يعدّ من سنخ الظواهر الكونية التي تنضوي تحت إطار النظام الطبيعي، ويكون حدوثها في الفترة ما بين خروج اليماني وبين ظهور الإمام المهدي (صلوات الله عليه).

وربما نجد في الروايات الشريفة أنها قد أشارت إلى علامتين يمكن أن تدخلا في هذا النمط من الشرائط، وقد أشير إلى إحداهما بعنوانها من المحتوم الذي لا بُدّ من حدوثه، وهي التي تعرف بالصيحة أو النداء، ولربما هي نفسها الفزعة التي يشار إليها في روايات أخرى، ولا نقاش في صحة كونها تقع في الفترة الزمانية الواقعة بين خروج اليماني وبين ظهور الإمام المنتظر (روحي فداه).

فيما بقيت الثانية، وهي الكف التي تطلع في السماء، والوجه الذي يلوح في القمر، وقد أُشير في رواية الكف بأنها من المحتوم، إلا أن

---

(١) غيبة النعماني: ٢٥٩ ب١٤ ح٦.

كلاماً يدور في شأن وقت حدوثها وكيف ستطلع، ولنتحدث عنهما بشيء من التفصيل.

أولاً: الصيحة: وقد أشير إلى هذا الحدث تارة بلفظ (الصيحة) وأخرى بلفظ (النداء) وربما ثالثة بلفظ (الفزعة)، وقد وردت روايات كثيرة في شأنها، ولم يقتصر ذكرها على مصادر الإمامية، فقد ذكرتها عدة من مصادر العامة كذلك.

فلقد روى الشيخ الصدوق بإسناده بطريق معتبر إلى عمر بن حنظلة، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»[1].

وبإسناده عن ميمون البان، عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه)، قال: «خمس قبل قيام القائم عليه السلام: اليماني، والسفياني، والمنادي ينادي من السماء، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية»[2].

وروى النعماني عن الإمام الباقر (صلوات الله عليه) قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾[3] فقال: انتظروا الفرج من ثلاث؛ فقيل: يا أمير المؤمنين وما هن؟ فقال: اختلاف أهل الشام بينهم، والرايات السود من خراسان، والفزعة في

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٥٠ ب٥٧ ح٧، ويلاحظ هنا إيراد مسألة الخسف بالبيداء، ومن الواضح أن ظهور الإمام (صلوات الله عليه) إنما يتم قبل الخسف، ولكن استخدامه لفظ (قيام القائم) ربما يشير إلى خروجه الحربي التام، أو ربما عنى به مجيئه إلى الكوفة؛ والله العالم.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة،: ٦٤٩ ب٥٧ ح١.

(٣) سورة مريم، الآية: ٣٧.

شهر رمضان؛ فقيل: وما الفزعة في شهر رمضان؟ فقال: أوَما سمعتم قول الله عزّ وجل في القرآن: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾[1] هي آية تُخرج الفتاة من خدرها، وتوقظ النائم، وتُفزع اليقظان[2].

وفي حدود بحثنا هنا، فإن اتجاهات عديدة ينبغي التوقف عندها حينما نريد أن نتحدث عن الصيحة، مع التأكيد أننا لسنا في صدد بحث كامل عن الصيحة، وإنما سنقتصر بالحديث في حدود متابعة آثار الصيحة على طبيعة حركة اليماني الموعود، ومن جملة الاتجاهات التي تعنينا هنا هي ما يلي:

أولاً: إن الروايات الشريفة تحدثت عن صيحات متعددة، وقد يراد بها التعدد في محتواها وأزمانها وأماكنها وطبيعتها، وما يعنينا هنا هو الصحية الجبرئيلية، التي تحدث ـ حسب تواتر الروايات ـ في ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان، أي في ليلة القدر الكبرى[3]، وهي التي ترد في الصحيحة المروية عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله الصادق

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٤.

(٢) غيبة النعماني: ٢٦٠ ـ ٢٦١ ب١٤ ح٨.

(٣) أشارت رواية الشيخ الطوسي ـ وهي صحيحة السند عن الحسن بن محبوب، عن الإمام الرضا (صلوات الله عليه) ـ أن نداءً من ثلاثة أصوات ستكون في رجب، قال: ينادون في رجب ثلاثة أصوات من السماء، صوتاً منها ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، والصوت الثاني: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ يا معشر المؤمنين، والصوت الثالث: يرون بدناً بارزاً نحو عين الشمس: هذا أمير المؤمنين قد كرّ في هلاك الظالمين.
قال الشيخ الطوسي: وفي رواية الحميري؛ والصوت الثالث: بدن يرى في قرن الشمس يقول: إن الله بعث فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا. (غيبة الطوسي: ٤٤٠ ح٤٣١).

(صلوات الله عليه)، قال: «الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة، لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان»[1].

وتفاصيلها هي ما تشير إليه روايات عديدة، وبألفاظ متعددة، وهي على أي حال غير متضاربة، ففي رواية المعلى بن خنيس، عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه): «صوت جبرائيل من السماء»[2].

وفي صحيحة أبي حمزة الثمالي، قال: فقلت له (أي للإمام الصادق عليه السلام): كيف يكون ذلك النداء؟ قال: «ينادي مناد من السماء أول النهار: ألا إن الحق في علي وشيعته»[3].

وفي رواية زرارة بن أعين، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ينادي مناد من السماء: إن فلاناً هو الأمير؛ وينادي مناد: إن علياً وشيعته هم الفائزون»[4].

وفي رواية أبي بصير، عن الإمام الباقر (صلوات الله عليه)، قال: «والصيحة فيه هي صيحة جبرائيل إلى هذا الخلق، ثم قال: ينادي مناد من السماء باسم القائم عليه السلام، فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب، لا يبقى راقد إلا استيقظ، ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلا قام على رجليه، فزعاً من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب، فإن الصوت الأول هو صوت جبرئيل الروح الأمين.

ثم قال عليه السلام: يكون الصوت في شهر رمضان، في ليلة الجمعة، ليلة

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٥٠ ب٥٧ ح٧.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٥٢ ب٥٧ ح١٣.
(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٥٢ ب٥٧ ح١٤.
(٤) غيبة النعماني: ٢٧٢ ب١٤ ح٢٨.

ثلاث وعشرين، فلا تشكّوا في ذلك، ولاسمعوا وأطيعوا، وفي آخر النهار صوت المعلون إبليس اللعين ينادي: ألا إن فلاناً قتل مظلوماً؛ ليشكك الناس ويفتنهم، فكم في ذلك اليوم من شاك متحيّر قد هوى في النار، فإذا سمعتم الصوت في شهر رمضان فلا تشكّوا فيه أنه صوت جبرئيل، وعلامة ذلك أنه ينادي باسم القائم وٱسم أبيه عليهما السلام، حتى تسمعه العذراء في خدرها، فتحرّض أباها وآخاها على الخروج...» الحديث[1].

ثانياً: يبدو أن كلمات الصيحة والنداء والفزعة في الروايات، تشير جميعها إلى حدث واحد، ولا يعتقد أن تعدد الألفاظ يشير إلى تعدد الحدث، اللهم إلا أن يقال بأن الحدث سيكون على ثلاث مراحل، أولها الصيحة التي تشدّ الانتباه العالمي لمضمونها، ثم المضمون ويعبّر عنه بالنداء، والفزعة هي طبيعة التداعيات المتعاقبة من بعد الصيحة والنداء، وهو محتمل في ذاته، ولكن لا دلالة على أن مراد النصّ هو هذا بعينه، وإن لم نلحظ أنه يتناقض معه، مثله مثل التعبير عن يوم القيامة بيوم الدين ويوم الحساب ويوم الجزاء ويوم التغابن، وهي مواقف متعددة ومختلفة ولكنها مؤطرة بعبارة (الآخرة) من باب ذكر الخاص بإرادة العام، والعكس صحيح تماماً؛ ولهذا فإن الحدث إن أُطلق عليه أي لفظ فإنه يراد منه مجموع ما سيحصل.

ثالثاً: إن الصيحة تحدث من بعد خروج اليماني وقبل ظهور الإمام (روحي فداه)، أي إن وقتها يكون مقارباً لأيام حصول الخسوف والكسوف من جهة، وأثناء وجود السفياني في العراق من جهة أخرى،

---

(١) غيبة النعماني: ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ب١٤ ح١٣.

وهي ـ لهذا ـ تحدث قبل ظهور الإمام (روحي فداه) بما يزيد قليلاً عن مئة يوم، باعتبار أن ظهور الإمام (صلوات الله عليه) يكون في العاشر من المحرم في السنة التي تليها.

رابعاً: بخلاف من يريد أن يقول بأن الحديث عن سماويتها يمكن أن يجري عبر الراديو والتلفزيون وسائر الأجهزة الخاصة بالاتصال الجمعي العالمي بما لا حاجة للقول بأن الحدث سيكون سماوياً، بمعنى أن شخصاً ما يذيع بياناً يحظى بأهمية عالمية فتنقله كل إذاعات الدنيا، لا أن يكون الصوت نابعاً من السماء بعنوان التدخل الملكوتي المباشر.

أقول: إن الروايات التي تشير إلى الصيحة صريحة جداً في كونها تأتي سماوية خالصة دون تدخل الوسائل المعتادة في نقل الصوت، وإلا لما وجدنا تصريحاً بطبيعة الفزع الذي يحصل حينما نرى العذراء تخرج من خدرها والقائم يقعد والقاعد يقوم، والنائم يستيقظ، وما إلى ذلك من أوصاف تشير إلى حالة من الانبهار الهائل المصاحب مع ذهول وخوف من طبيعة هذا الصوت.

أما في كون فهم القول من قبل جميع العالم، حتى إنه يفهمه أهل المشرق بلغتهم وأهل المغرب بلغتهم، ليكون ذلك وفق المعيار الطبيعي في ترجمة القول من قبل وكالات الأنباء العالمية مما يسمح بفهمه في كل العالم، فهو وإن كان غير ضار بأصل الموضوع، ولكن من يأتي بحدث سماوي كما في صيحة جبرئيل لا يعجزه ما هو أقل منه، ولهذا فإن أمر فهم النداء في ما نعتقد سيكون مباشراً بلا حاجة للترجمة، فمثل هذا الأمر ليس بعزيز على من قام بأعظم منه؛ فلا تغفل!

وعوداً على بدء حديثنا عن مجتمع اليماني وحركته، فإنه يمكن القول بأن الأزمة التي تخلقها جرائم وفظائع السفياني بحق مجتمع المنتظرين في ارتكاساتها المعنوية والنفسية، ستتحطم هي وغيرها أثناء حصول الصيحة، وبالرغم من أنها ستجابه بأساليب التشويه والتضبيب المعتادة من قبل أعداء أهل البيت (صلوات الله عليهم)، وهي الأساليب التي يعبّر عنها بالصوت الثاني من الأرض في قبال صوت السماء، والتي ستتركز في الرد على ما نادى به جبرئيل عليه السلام، وفي عدم فسح المجال أمام المستضعفين في أن يُقبلوا على الحق.

ولهذا، فقد مرَّ بعض صحابة الأئمة عليهم السلام في حيرة وهم يسمعون حديث الأئمة (صلوات الله عليهم) عن هذا الأمر، فمثل زرارة بن أعين يقول للإمام الصادق عليه السلام: عجبت أصلحك الله! وإني لأعجب من القائم كيف يُقاتَل؟! مع ما يرون من العجائب من خسف البيداء بالجيش، ومن النداء الذي يكون من السماء؟! فقال: إن الشيطان لا يدعهم[1]!.

وسيتم التلبيس على هذا الصوت ليكون في نظر الناس كأنه خدعة من خدع الإعلام؛ لكي يشككوا في مصداقيته، كأن يقال بأن هذا من سحر الشيعة، ونظير هذه الكلمات التي لا نعدم وجودها في الروايات التي تحدثت عن ذلك، ولا نستغرب صدورها نتيجة لتجربة التشيع مع أعدائه طوال هذه السنين.

وهذه بيّنة من خلال الرواية المعتبرة التي يرويها عبد الصمد بن بشير، عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، وقد سأله عمارة

---

(١) غيبة النعماني: ٢٧٣ ب١٤ ح٢٩.

الهمداني فقال له: أصلحك الله! إن ناساً يعيّروننا ويقولون: إنكم تزعمون أنه سيكون صوت من السماء؛ فقال له: لا ترو عني وأروه عن أبي، كان أبي يقول: هو في كتاب الله ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ فيؤمن أهل الأرض جميعاً للصوت الأول، فإذا كان من الغد صعد إبليس اللعين حتى يتوارى من الأرض في جوّ السماء[1]، ثم ينادي: ألا إن عثمان قتل مظلوماً فاطلبوا بدمه! فيرجع من أراد الله عزّ وجلّ بهم سوءاً، ويقولون: هذا سحر الشيعة، وحتى يتناولوننا، ويقولون: هو من سحرهم، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[2].

أقول: بالرغم من أنها ستجابه بكل ما من شأنه أن يعتّم على حقيقة الموقف السماوي والمدد الإلهي الواضح في هذا الموضوع من قبل أعداء أهل البيت (صلوات الله عليهم)، إلا أنها ستعطي زخماً هائلاً لمجتمع المنتظرين بشكل عام، ولرايتَي اليماني والخراساني بشكل خاص، بصورة نجد معطياتها بالطريقة التي تعبر بها الرواية التي مرت من أن يالعذراء المخدّرة تحرّض أباها وأخاها لكي ينتفض لنصرة حق آل محمد (صلوات الله عليه)[3].

وعموماً، فسنجد فيه صحوة كثيرٍ من المغفلين والمستضعفين للواقع الذي يجب أن يكونوا عليه، وهذا بطبيعته سيولّد عنتاً واضحاً في المناطق التي يسيطر عليها أتباع الشياطين على المؤمنين.

---

(١) هو وصف دقيق تماماً لحركة النقل الفضائي للأخبار كما هو حال اليوم.
(٢) غيبة النعماني: ٢٦٩ ب١٤ ح٢٠؛ والآية في سورة القمر.
(٣) غيبة النعماني: ٢٦٣ ب١٤ ح١٣، وقد مرَّ تفصيله.

ثانياً: وجه في القمر ويد في السماء:

وقد ذكرته أكثر من رواية، ومنها رواية داود بن سرحان، عن أبي عبد الله (صلوات الله عليه)، قال: «العام الذي فيه الصيحة قبله الآية في رجب، قلت: وما هي؟ قال: وجه يطلع في القمر ويد بارزة»[1].

وهذه الرواية تتضافر مع روايات عديدة تتحدث عن علامات سماوية من هذا القبيل، منها ما رواه الشيخ المفيد في (الإرشاد)، بسنده إلى أبي بصير، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: . . . إلى أن قال: ركود الشمس ما بين زوال الشمس إلى وقت العصر، وخروج صدر رجل ووجه في عين الشمس يعرف بحسبه ونسبه[2].

وفي رواية عمر بن حنظلة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: قبل القائم خمس علامات: السفياني، واليماني، والمرواني، وشعيب بن صالح، وكفٌّ تقول كذا وكذا[3].

وقد تقدمت رواية الأصوات الثلاثة في رجب ولفظها بطريق آخر غير الذي ذكرناه: «يرون يداً بارزاً مع قرن الشمس ينادي؛ ألا إن الله قد بعث فلاناً على هلاك الظالمين، فعند ذلك يأتي المؤمنين الفرج، ويشفي الله صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم»[4].

ولعل ما يتفق مع هذا السياق ما روته أم سعيد الأحمسية، قالت: قلت لأبي عبد الله: جعلت فداك يابن رسول الله! اجعل في يدي علامة

---

(١) غيبة النعماني: ٢٦١ ب١٤ ح١٠.
(٢) الإرشاد ٢: ٣٧٣.
(٣) دلائل الإمامة: ٢٥٧.
(٤) غيبة النعماني: ١٨٦ ب١٠ ح٢٨.

من خروج القائم؟ قالت: قال لي؛ يا أم سعيد! إذا انكسف القمر ليلة البدر من رجب، وخرج رجل من تحته، فذاك عند خروج القائم[1].

وعلى أي حال، فإن الروايات متعددة في الإشارة إلى طبيعة ما سيحدث في رجب، وما من دليل على رؤيتها بشكل شمولي في كل العالم، والدليل على خلافه منعدم أيضاً، وإن كان المظنون أنها ستكون في المنطقة التي سيحتدم بها الصراع ضد السفياني وأنصاره، ولكن ذلك مجرد ظن ليس إلا.

وهذه العلامة وإن لم تك من المحتومات إلا أنها ستأتي في غمرة التمهيد على ما يبدو للصيحة الكبرى في ليلة القدر، وهي تدخّل سماوي، وليس بحدث طبيعي غير أنها تفرق عن الأولى بأن الأولى هي من عمل الملائكة، أمّا هذه فيبدو أنها من عمل مَن لديهم ولاية على الظواهر الكونية، أقصد أهل البيت عليهم السلام، حتى إن الوجه الذي يظهر، واليد التي تبرز، تعبر عن صاحب الوجه واليد، وقدرته على التصرف بالأشياء.

وعلى ما يبدو، فإن هذا الحدث سيسبق الأحداث الكونية المتعلقة بالخسوف والكسوف وطلوع الشمس من مغربها وما إلى ذلك، وبالنتيجة يمكن أن يضفي على هذه الأحداث مسحة سماوية لتكون هاديةً أكثر للمؤمنين.

ولا بُدّ أن يثير هذا العدد الكبير من الظواهر السماوية والكونية في وقت قصير ما بين شهري رجب ورمضان، إلى طبيعة الحاجة إلى الاستعداد الفوري للمؤمنين، باعتبار أن خفاء وقت الظهور والتحول منه إلى الإعلان يستلزم وقتاً مهماً للإعداد والتعبئة، وقد حشد كل ذلك من أجل اختصار الوقت المطلوب لذلك.

---

(١) دلائل الإمامة: ٢٥٦.

كما أن ذلك قد يتحدث عن عمق الأزمة التي يعاني منها المؤمنون والمجتمع المنتظر، مما يعني أن موجة الظلم ستكون في أعلى درجاتها وأبعد مدياتها، وفي كل الاتجاهات.

وكيفما يكون، فإن من الواضح أن آثار هذه الظواهر ستكون عظيمة في الاتجاهين معاً، اتجاه المؤمنين، ومنهم المجاهدون تحت راية اليماني، واتجاه الظالمين، ومنهم أصحاب السفياني، لتقوّي الأوائل وتحبط مسعى الأواخر، ولله التدبير من قبل ومن بعد، سبحانه وتعالى عما يشرك الظالمون.

* * *

ومن كل ذلك نستطيع القول بأن مرحلة ما بين خروج اليماني وما بين ظهور الإمام المنتظر (صلوات الله عليه) ستكون مهمة اليماني الرئيسة فيها هي التصدي للسفياني أمنياً وعسكرياً، وعدم ترك الساحة الشيعية بلا قيادة سياسية متصدية لكي لا يستغل أعداؤها الفراغ الذي يحصل هنا، وتحصين قاعدة المنتظرين عقائدياً ومعنوياً، وتمتين أواصر التلاحم الشعبي مع القيادة الدينية المتمثلة بالمرجعية الدينية، وستكون ملحمته الأساسية هي في ملاحقة جيش السفياني الخارج من الكوفة، وتطهير المنطقة ـ بما فيها بغداد ـ من لوث السفياني وجيشه، الذي يبدو أنه لن يلبث فيها طويلاً، وسيمكّنه الله تعالى من ذلك، ليحقق نصراً ينعش به النفوس العاشقة للإمام الحجة (روحي فداه)، ومن ثم يمهّد الكوفة لاستقبال الإمام (صلوات الله عليه)، وسيقوم بقسم من هذه الأعمال منفرداً، وسيعمل في إنجاز قسم آخر منها بشكل مشترك مع الحسني والخراساني.

* * *

الفصل السادس

اليماني ما بعد الظهور الشريف

انتشر بين الناس حديث كثير، حتى آمتد إلى عديد من المؤلفات بأن اليماني سيكون وزيراً لدى الإمام المنتظر (روحي فداه)، وقد تشبث بعض الكتّاب بما يشبه قشّة الشعير لكي يثبتوا له مثل هذا الدور، وقد بحثت مطولاً عن أي أثر لذلك في الروايات فلم أجد أي شيء يمكن أن يغني في التعرف على طبيعة الدور الذي سيقوم به هذا العبد الصالح من بعد ظهور الإمام (بأبي وأمي)، ولربما يكون ذلك من قصوري أو تقصيري، ولكني أعرف في نفسي أني فتشت كثيراً عما يمكن أن يشكل دلالة على طبيعة هذا الدور، وزيراً أو غيره، فلم أجد عيناً ولا أثراً، وسأكون ممتناً لمن يعرّفنا بذلك.

وقد حاول بعضهم أن يستفيد من رواية عامية ذكرها النعماني في (الغيبة) على ذلك، وهي وإن كانت تدخل في نطاق الأحاديث المتعلقة بهوية اليماني، إلا أنني آثرت أن أؤجل الحديث عنها إلى هذا الموضع، لأنها به أليق.

فلقد نقل بعضهم عن النعماني روايته عن الطبراني بسنده، وفي طريق السند أحد النواصب، وهو مولى ليزيد بن معاوية (عليهما لعائن الله)، إلى مينا مولى عبد الرحمن بن عوف، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال:

وفد على رسول الله ﷺ أهل اليمن، فقال النبي ﷺ: جاءكم أهل اليمن يبسّون بسيساً (أي يبشّون لطلاقة وجوههم!)؛ فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال: قوم رقيقة قلوبهم، راسخ إيمانهم، ومنهم المصور، يخرج في سبعين ألفاً، ينصر خلَفي وخلَف وصيي. . . الحديث[1].

وبغض النظر عن طبيعة السند وضعفه، وعاميته من جهة، وهوية مينا الذي تعود إليه كثير من أحاديث مدح اليمن وأهلها، وواضح من الحديث حجم المدح الصادر في اليمن، وهو الموصوف بنعوت غالبيتها تورث عدم القدرة على تصديقه، ورغم أن القوم لم يوثّقوه، بل طعنوا فيه طعناً شديداً[2]، وبالرغم من أن بعضهم رد الطعن لغلوّه في التشيع، كما يشير إلى ذلك ابن عدي في (الكامل في ضعفاء الرجال)[3]، وقد ادّعى ابن حجر توثيق ابن حبّان له[4]، وهو غير صحيح؛ لأن ابن حبّان قد عدّه من المجروحين وطعن فيه[5]، ولكنه على أي حال لم يدخل في رواية الإمامية أبداً، ولم يشيروا إليه.

ولهذا فهو مع قطع النظر عن طبيعة طعن علماء العامة فيه، يبقى مجهولاً في أحسن الأحوال عند الإمامية، ولعل هذا هو ما جعل علماء الإمامية المختصين يعرضون عن ذكر هذا الخبر، وهو مما تفرد به النعماني نفسه.

أقول: بالرغم من الطعن الواضح في السند، فإن الخبر لا يشير إلى

---

(١) غيبة النعماني: ٤٦ ب٢ ح١.
(٢) تهذيب التهذيب ١٠: ٣٥٤ رقم ٧١٤؛ وميزان الاعتدال ٤: ٢٣٧ رقم ١٩٨١..
(٣) الكامل في ضعفاء الرجال ٦: ٤٦٠.
(٤) تهذيب التهذيب ١٠: ٣٥٥.
(٥) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ٣/ ٢٢.

أن المقصود هو اليماني، ودلالته على ذلك تبقى ضعيفة، وبالتالي فلا يعوّل عليه، ولا سيّما أنه يشير إلى النصرة لخلف رسول الله وخلف وصيّه، فإن كان المقصود بخلف الرسول (صلوات الله عليه وآله) هو أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، فعندئذ ما علاقة خلف الوصي بالإمام المنتظر (عجّل الله تعالى فرجه)؟، اللهم إلا أن نقول بأن الرجل قد مدّ في عمره بحيث يستوعب كل هذا الزمن؟!! أو أن المقصود بخلف النبي ﷺ هو الإمام المنتظر (روحي فداه) نفسه، عندئذ من المقصود بخليفته؟!

أياً ما يكن، فإن هذا الخبر لا يمكن الركون إليه أبداً، بقطع النظر عن إسناده، فما بالك والسند بهذه الصورة من الضعف؟!

وقد سبق لنا أن ذكرنا رواية المروزي في كتابه (الفتن)، وهي متهافتة جداً، تلك الرواية التي يتحدث فيها عن وجود منصور (وهو لقب لليماني في كتابه) مع الإمام المهدي (صلوات الله عليه) وهروبهما من السفياني أثناء هجومه على الكوفة، وانقلابهما إلى مكة ليلاحقهما السفياني من المدينة المنورة، فتخسف بجيشه البيداء[1].

ومن الواضح جداً تهافت مثل هذا الوصف؛ لأن السفياني في أقل التقادير ـ وكما هو حديث المعتبر من الروايات ـ يهاجم الكوفة قبل ظهور الإمام (بأبي وأمي)، فأين هذا من ذاك؟!

وسبق لنا أن رأينا أن روايات نعيم بن حماد تتحدث عن قتل منصورٍ هذا قبل هجوم السفياني على الكوفة، فأين هذا من هذا؟!

* * *

(١) الفتن: ١٧٣.

على أن الرجل لو امتدت به الحياة إلى عهد الظهور الشريف للإمام (روحي فداه) ـ وهو ما نتصوره ـ فإن من نافل القول بأن الإمام (صلوات الله عليه) سيوليه مهمات حساسة، كيف لا؟! وهو القائد الميداني الذي خاض معركة قاسية، في حين أن غالبية أصحاب الإمام (صلوات الله عليه) ربما لا يتمتعون بالخبرة الميدانية والتجربة العملية له، ولهذا ليس من المستغرب أن يخصّه بمسؤوليات كبيرة، سواء في مقر قيادته، أو في سائر المواطن الحساسة، وهذا هو المتصوّر بناء على مواصفات الرجل، وظنوننا بطبيعة الأمور، وليس على طبيعة ما تحدّث به المعصوم (صلوات الله عليه) في حديثه؛ لأن مثل هذا الحديث لا وجود له في ما وصل إلينا من مصادر حديث المعصوم (روحي فداه).

* * *

خاتمة المطاف

في خاتمة المطاف أجد لزاماً علي التأكيد على عدد من الأمور، هي:

أولاً: إن هذا البحث ليس بحثاً استقصائياً لعلامات الظهور، كما إنه ليس ببحث عن هذه العلامات، وبالتالي فإننا حتى في حديثنا عن العبد الصالح اليماني لم نتوخَ إدراج كل ما ذكر في مجال علامات الظهور، سواء أكانت في عهد اليماني أو خارج عهده تقدماً أو تأخراً.

ثانياً: إن انتقاءنا للروايات التي تحدثت عن العلامات المرتبطة باليماني، كان مبنيّاً على أساس الوصول إلى المنهاج الذي يحكم حركة اليماني الموعود، فلو لم نمرَّ على هذه العلاقة أو تلك، أو اختصرنا الحديث في هذه العلامة وأطنبنا في تلك، فليس لسبب إلا لرغبتنا في إيضاح هذا المنهاج وعلاقتها بهذا المنهاج.

وقد اعتمدنا ـ جهد الإمكان ـ على ذكر المحتومات المسلّم بها، وأبتعدنا عن غير المسلّم بها، وعلى الواضح من العلامات، وأبتعدنا عن غير الواضح منها، فمن الواضح أننا لم نأت على ذكر الدجال مثلاً، ولم

نأت أيضاً على ذكر خروج يأجوج ومأجوج، مما يشار إليه في بعض الكتب بأنه علامات حتمية، أو أنها ملازمة لظهور الإمام (عجَّل الله تعالى فرجه) لوجود نقاش في أصل المطلب قد تخرجنا عن أصل البحث.

ثالثاً: إن الكتاب حرص على منع محاولات الإسقاط الشخصي على الروايات، كأن يقال: إن هذا هو اليماني، أو ذاك، وإنما حرصنا كل الحرص على الإشارة للمواصفات والمؤهلات الذاتية التي أشير إليها مجملاً في الروايات عن شخصية هذا العبد، وهذه المواصفات هي وحدها الكاشفة عن حقيقة هويته.

ونعتقد أن من العبث بمكان أن ينشغل أهل الإيمان بالبحث عن الشخصية بعيداً عن هذه المواصفات، بالرغم من أننا لا ننصح ـ على العموم ـ في أن يكون شغل المؤمنين هو البحث عن الشخص، بقدر ما يجب عليهم التثبت من منهاج حركته، فالمنهاج هو مورد الحساب، وليس الشخص، وقد نخطىء بتعيين الشخص، ولكن إمكانية الخطأ بالمنهاج ضئيلة.

رابعاً: لقد حاولت أن أستقصي كل ما ذكر في المعلومات التي أوردتها، وأحسب أنني أجهدت نفسي كثيراً لكي أصل إلى كل ما ذكر من الروايات التي تحدثت عن هذا الموضوع أو ذاك، وقد راجعت جميع الكتب التي نقلت هذه الروايات، ولكني لا أجزم أنني قد استوفيت كل شيء، فلربما فاتني أمر هنا أو هناك، ولربما لم ألتفت إلى كل ما اطّلعت عليه، وأملي من الباحثين الأعزاء أن لا يركنوا إلى معطيات هذا البحث ركونهم إلى المسلّمات، وإنما عليهم أن يستمروا في عملية البحث

والتحقيق والتدقيق، فهذه مسؤوليتهم التاريخية التي يجب أن يبرّوا من خلالها دينهم ومذهبهم ومعتقدهم.

هذا، وقد وقع الفراغ من هذا الكتاب في ليلة الخامس والعشرين من شهر رمضان المبارك، من سنة تسع وعشرين وأربعمئة وألف للهجرة النبوية الشريفة، بمنّة عظيمة من الله تعالى علَيَّ.

وأستميح القارىء الكريم العذر الشديد في حال أخفقت أو قصّرت، فهذا جهدي القاصر، ومعرفتي اليسيرة أمام لجج بحار علومهم وأنوارهم (صلوات الله عليهم)، ولا أدعي العصمة في ما كتبت، ولا أدعو القارىء العزيز إلى أن يأخذ بما فيه من المعلومات أخذ المسلّمات، بل لا بُدّ من أن يحاكم المكتوب، ولا يذعن إليه إذا كان يمتلك قدرة المحاكمة الفكرية والعلمية، وإن لم يك قادراً، فإن حديث الأئمة (صلوات الله عليهم) هو الذي يجب أن يركن إليه، والأحرى أن تستقر النفوس عنده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً، وصلواته وسلامه على رسوله وآله أبداً.

جلال الدين علي الصغير

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الاحتجاج؛ الشيخ أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (حدود ٦٢٠هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ١٤١٠هـ.

٣ ـ الإرشاد؛ الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ)، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٤ ـ الاختصاص؛ الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ)، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٥ ـ الأصول الستة عشر؛ عدة مؤلفين من أصحاب الأئمة عليهم السلام، دار الشبستري للمطبوعات ـ قم المقدسة ١٤٠٥هـ ط٢.

٦ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى؛ الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم ١٤١٧هـ.

٧ ـ إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب؛ علي اليزدي الحائري (ت١٣٣٣)، دار أنوار الهدى ـ قم ١٤٢٦.

٨ ـ الأمالي؛ شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

٩ ـ الإمامة والتبصرة من الحيرة؛ والد الشيخ الصدوق علي بن الحسين بن بابويه (ت٣٢٩هـ)، دار المرتضى ـ بيروت.

١٠ ـ الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة؛ الشيخ محمد بن الحسن المعروف بالحر العاملي (ت١١٠٤هـ)، تحقيق مشتاق المظفر، انتشارات دليل ما، قم المقدسة ـ ١٣٨٠هـ.

١١ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام؛ الشيخ محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٢ ـ بشارة الإسلام في ظهور صاحب الزمان (عج)؛ مصطفى السيد حيدر الكاظمي (ت١٣٣٦هـ)، المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف ١٩٦٣م.

١٣ ـ بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد عليهم السلام؛ محمد بن الحسن الصفار (ت٢٩٠) مؤسسة الأعلمي ـ طهران.

١٤ ـ تاج العروس من جواهر القاموس؛ محمد مرتضى الزبيدي الحنفي (ت١٢٠٥)، دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

١٥ ـ تاريخ ما بعد الظهور؛ السيد محمد محمد صادق الصدر (ت١٩٩٨م)، منشورات ذوي القربى ـ قم.

١٦ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي؛ محمد بن عبد الرحمن

ابن عبد الرحيم المباركفوري (ت١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٠هـ.

١٧ ـ تفسير العياشي؛ الشيخ محمد بن مسعود العياشي (من أعيان القرنين الثالث والرابع)، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

١٨ ـ تهذيب التهذيب؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٥٨٢)، دار الفكر ـ بيروت.

١٩ ـ جامع البيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الطبري؛ محمد ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار المعرفة ـ بيروت.

٢٠ ـ الخصال؛ للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٢١ ـ دلائل الإمامة؛ الشيخ محمد بن جرير الطبري الإمامي (من أعلام القرن الرابع)، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٢٢ ـ رجال النجاشي؛ الشيخ أحمد بن علي النجاشي الأسدي (٤٥٠هـ) تحقيق محمد جواد النائيني، دار الأضواء ـ بيروت.

٢٣ ـ الزهد؛ الحسين بن سعيد الأهوازي (من أعلام القرنين الثاني والثالث الهجريين) ـ تحقيق جلال الدين علي الصغير، دار الأعراف للدراسات والنشر ـ بيروت.

٢٤ ـ سرور أهل الإيمان؛ السيد علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد النيلي النجفي (ق٨ هـ)، تحقيق قيس العطار، نشر دليل ما ـ قم ١٤٢٦هـ.

٢٥ ـ كتاب سليم بن قيس الهلالي؛ سليم بن قيس الهلالي

(ت٧٦هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر الأنصاري، نشر الهادي ـ قم ١٤١٥هـ.

٢٦ ـ الصحاح؛ إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٤ ط٣.

٢٧ ـ صحيح مسلم بشرح النووي؛ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٨ ـ عصر الظهور؛ الشيخ علي الكوراني (معاصر)، دار الهدى ـ طهران ٢٠٠٤م ط١٠.

٢٩ ـ عقد الدرر في أخبار المنتظر؛ يوسف بن يحيى المقدسي الشافعي السلمي (من علماء القرن السابع) تحقيق د عبد الفتاح محمد الحلو، منشورات نصايح ـ قم ١٤١٦هـ.

٣٠ ـ عيون الحكم والمواعظ؛ علي بن محمد الليثي الواسطي، دار الحديث ـ قم.

٣١ ـ الغيبة؛ الشيخ ابن أبي زينب محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني (حدود ٣٦٠هـ) تحقيق فارس حسون كريم، منشورات أنوار الهدى ـ قم المقدسة ١٤٢٢هـ.

٣٢ ـ الغيبة؛ شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، تحقيق عباد الله الطهراني وعلي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم ١٤١١هـ.

٣٣ ـ الفتن؛ نعيم بن حماد المروزي (ت٣٣٩)، بعناية محمود حلبي، دار المعرفة ـ بيروت ٢٠٠٥م.

٣٤ ـ فلاح السائل؛ رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، الدار الإسلامية ـ بيروت.

٣٥ ـ الكافي؛ ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٨ ـ ٣٢٩هـ)، دار التعارف للمطبوعات ودار صعب ـ بيروت. .

٣٦ ـ كامل الزيارات؛ الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (ت٣٦٨).

٣٧ ـ الكامل في ضعفاء الرجال؛ عبد الله بن عدي الجرجاني (٣٦٥هـ)، دار الفكر ـ بيروت.

٣٨ ـ الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي؛ أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري (ت٤٢٧هـ)، تحقيق محمد بن عاشور ونظير الساعدي، نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٤٢٢.

٣٩ ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة؛ الشيخ علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (٦٩٢هـ)، دار الأضواء ـ بيروت.

٤٠ ـ كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر؛ محمد بن علي الخزاز القمي (ت٤٠٠)، تحقيق عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، انتشارات بيدار ـ قم ١٤٠١.

٤١ ـ كمال الدين وتمام النعمة؛ للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٤٢ ـ المجروحين من المحدّثين والضعفاء والمتروكين؛ محمد بن حبّان البستي (ت٣٥٤)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة ـ بيروت.

٤٣ ـ مختصر إثبات الرجعة؛ منسوب للفضل بن شاذان، مجلة تراثنا، العدد ١٥، تحقيق باسم الموسوي.

٤٤ ـ مختصر البصائر؛ الشيخ الحسن بن سليمان الحلي (من أعلام القرن الثامن الهجري)، تحقيق مشتاق المظفر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم المقدسة.

٤٥ ـ المزار الكبير؛ الشيخ محمد بن جعفر المشهدي (أواخر القرن السادس)، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، نشر القيوم ـ قم ١٤١٩هـ.

٤٦ ـ مسند أحمد بن حنبل؛ أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، دار الفكر ـ بيروت.

٤٧ ـ المصنّف؛ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (٢٣٥هـ)، مكتبة الرشد ـ الرياض ١٤٠٩.

٤٨ ـ معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام؛ الشيخ علي الكوراني (معاصر).

٤٩ ـ معجم البلدان؛ ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (٦٢٦هـ) دار إحياء التراث العرابي ـ بيروت ١٩٧٩م.

٥٠ ـ الملاحم؛ أحمد بن جعفر البغدادي المعروف بابن المنادي (ت٣٣٦) تحقيق عبد الكريم العقيلي، دار السيرة ـ قم ١٤١٨هـ.

٥١ ـ مناقب آل أبي طالب؛ الشيخ محمد بن علي ابن شهر آشوب السروي المازندراني (٥٨٨هـ)، تحقيق يوسف البقاعي، دار الأضواء ـ بيروت.

٥٢ ـ منتخب الأنوار المضيئة في ذكر القائم الحجة عليه السلام؛ الشيخ علي ابن عبد الكريم بن عبد الحميد النيلي النجفي (من أعلام القرن التاسع)، تحقيق مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام ـ قم ١٤٢٠.

٥٣ ـ من لا يحضره الفقيه؛ للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٥٤ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال؛ محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة ـ بيروت.

٥٥ ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة؛ للشيخ محمد بن الحسن المعروف بالحر العاملي (ت١١٠٤)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت.

الفهرست

الإهداء ٥

المقدِّمة ٧

بين يدي البحث ١٧

الفصل الأول: اليماني في حديث أهل البيت عليهم السلام ٢٥

تمهيد ٢٧

المبحث الأول: الأحاديث الزمانية ٣١

المبحث الثاني: الأحاديث المكانية ٣٤

المبحث الثالث: الأحاديث الشخصية ٣٩

المبحث الرابع: المشخصات العامة لليماني ٤١

الفصل الثاني: هوية اليماني ٤٧

تمهيد ٤٩

المبحث الأول: يمنية اليماني في الروايات ٥٣

المبحث الثاني: نسبة اليماني من الناحية الموضوعية ٧٠

المبحث الثالث: الدلالات اللغوية للقب اليماني ٧٥

الفصل الثالث: منهاج التحرك لدى اليماني ٨١
تمهيد ٨٣
المبحث الأول: المحور العقائدي ٨٦
المبحث الثاني: المحور الوجداني والمعنوي ١٠٦
الأولى: وعي الذات الشيعية ١١٦
أ ـ التعريف بحقيقة الذات ١١٨
ب ـ التعريف بالهدف المنشود ١٢١
جـ ـ التعريف بالآخر وتعريته ١٢٨
الثانية: بناء الذات الشيعية ١٣٠
المبحث الثالث: المحور السياسي والأمني ١٣٤
ملاحظة مركزية ختامية لهذا الفصل ١٥٦
الفصل الرابع: راية اليماني والدلالة عليها ١٥٩
المبحث الأول: لماذا أهدى الرايات؟ ١٦١
المبحث الثاني: هل اليماني من أهل العصمة؟ ١٧٠
المبحث الثالث: كيفية الدلالة على اليماني ١٧٣
الفصل الخامس: اليماني وفترة ما قبل الظهور الشريف ١٨١
المبحث الأول: الفترة ما بين خروج اليماني والظهور الشريف . ١٨٣
المبحث الثاني: الشرائط الحتمية للظهور وأنماطها ١٩٠
المطلب الأول: الشرائط الاجتماعية ١٩٠
المطلب الثاني: الشرائط الكونية ١٩٩

أ ـ طلوع الشمس من المغرب إلى المشرق: ٢٠٤
ب ـ آية الدخان: ٢١٠
جـ ـ حدوث الخسوف والكسوف ٢١١
المطلب الثالث: الشرائط الملكوتية ٢١٥
الصيحة والنداء ٢١٦
الفصل السادس: اليماني ما بعد الظهور الشريف ٢٢٧
خاتمة المطاف ٢٣٣
المصادر والمراجع ٢٣٧
المحتويات ٢٤٥